obeikandl.com

- رد -

الفترة الجامعية كاملة (١٩٨٦- ١٩٩١م)

مجموعة قصص قصيرة

محمد نبيل الخربوطلى

اسم الكتاب	رد (مجموعة قصصية)
المؤلف	محمد نبيل الخربوطلى
دار النشر	دار سما للنشر والتوزيع
التليفون	٠١١١٩٥٧٨٤٢٧ - ٠١١١٣٠٦٨٤٠٩ - ٠١٢٨٤٣١٨٤٤
الطبعة	الأولى
العنوان	٣١ ش الإمام - جيزة - جمهورية مصر العربية
رقم الإيداع	٩٢٧١ - ٢٠١٤
الترقيم الدولى	٦ - ١٢ - ٦٣٧٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ولا يسمح بنسخ الكتاب أو جزء منه بأي طريقة كانت ورقية أو إلكترونية إلا بإذن كتابي من الناشر

للنشر والتوزيع

التنسيق والإخراج الفنى: المكتب العربى لخدمة الكتاب والتراث

٠١١١٥٧٤٢٣٠٣ - ٠١٢٢٠٣٧٨١٢٥ - ٠١١٤٥٣٢١٣٨٧

obeikandl.com

- رد -

الفترة الجامعية كاملة (١٩٨٦- ١٩٩١م)

مجموعة قصص قصيرة

بقلم: صيدلى

محمد نبيل الخربوطلى

عدد القصص (٥٩)

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

أين الملاذ؟

طرقت الباب الصلد طرقتين واهنتين.. أطلت زوجة ابن عم ولدها.. علت الدهشة المرأتين.. ولجت فى سرعة.. كانت عيناها تدور فى المكان متسائلة عن ملاذ.. اطمأنت أن هذا المكان ملاذها.. بعد الحديث الذى ارتوى من المطر الناقر للنوافذ ولجت إلى حجرة موحشة.. تمددت فى سرير مهمل.. كاد أن يصرعها بكاء الأبناء.. انهمرت دموعها.. إنها لا تصدق أن ابنها وابنتها قد طرداها من رحمتهما للأبد بحجة ضيق ذات اليد.. هتفت فى ألم الِهرم.. (سبعون عاماً- وبلا ملاذ).. شكرت فى صمتها المطبق حوارها مع زوجة ابن عم ولدها وابنتها.. وكذلك العشاء المتواضع.. لم يرحمها المطر إذ فجّر بها أمارات الشك- تساءلت: (هل هذا المكان ملاذها الأخير)؟..

obeikandi.com

قلبها الرحيم أبى أن يسخط على ولديها ولكن أحزانها كانت فوق الاحتمال.. قاومت ذاكرتها التى تئن بأنها هى التى ربتهما صغيرين.. أرضعتهما الحياة والحنان، وأن كل نفقاتها أقل من نفقة رضيع واحد من أحفادها- رفضت أن تُنزل بهما السخط والدعاء المكظوم الذى يصر أن يصهرهما فى الدنيا والآخرة جهنما.. أخذها النعاس.. استفاقت بعد بضعة ساعة اثر طرق عنيف كاد أن يحطم الباب الصلد.. توقعت أن يكون الطارق ابن عم ابنيها.. رفعت عينيها إلى السماء.. لأن بديل هذا المكان- هو التشرد- سمعت حواراً صاخباً كثيراً.. مفاده أنها غير مرغوبة فى هذه الدار.. لأن ولدها ربما تشاجر مع صاحب الدار منذ شهور.. أمر زوجته أن تطردها الآن، أسقط فى يد الزوجة- تجمدت فى مكانها- الزوجة استرحمت الزوج ولكن قلبه كان صلداً (أين الملاذ فى هذه البلدة المطيرة وهذه العواصف)؟، هكذا تساءلت الزوجة- كان رد الزوج عنيفاً (لتذهب إلى الجحيم)- أصرت الزوجة على عدم إطاعة زوجها وطلبت منه هو أن يطردها

أن أراد.. كانت مستعدة للخروج النهائى من الدار- فتحت الباب ونظرت نظرة المستضعفة.. شكرت الجميع.. فتحت الباب وخرجت- بعد برهة، سمع الجميع صوتاً ما- كان الصوت.. صوت سقوطها فى الدرج.. عندما وصل الجميع إليها كانت قد أسلمت الروح باكية.. ناقمة على الجميع.

openkandil.com

(٢)
ويا قلبى لا تحزن

لقد أدرك الآن كل شىء.. تساءل فى مرارة.. هل من الممكن أن تخونه بعد كل هذا الحب؟ بالطبع مستحيل.

راح يهرول فى المكعب الأسمنتى.. خطا إلى كل شبر.. ولم لا وكل موضع حدثه من قبل عنها.. يجب الآن أن يصحح أفكارها عنه.. سيقول لا أنها رفضت قلبه.. وسيسألها عن سر ذلك وهو على يقين أنها ستجيب.

وأثناء نزيفه أبرقت الفكرة فى رأسه.. إنه الأمل الأخير.. سيقول لها آخر كلمات أغمس سبابته فى القرص وأدار ما اعتداده.. انه لعلى يقين أنها هى.. ذلك هو الموعد الذى كان يتحدث فيه إليها.

أُقتلعت اليد.. كان يعرف لحنها.. تحدث.. مستحيل.. كيف.. كيف يمكنك بعد كل.. لا تغلقى طريقى بهذا العنف.. أريد فقط أن أعرف السبب.. أقسم لا أريد أكثر من ذلك..

obeikandi.com

ولكنك تعلمين أن كل هذا ليس بيدى.. سأبيع كل ما أملك.. الآن أنت تفصحين.. هات ما عندك.. الآن تدعين أنك مرغمة.

ساد الصمت

هوى بيده على الطريق المسدود.. أدمع.. هو نفسه لم يصدق أنه يبكى.. اتجه إلى المرأة.. التقط دمعة بثها بين أنامله.. تعجب.. أهذه دموعى؟

كان ينبغى أن تكون دماً.. لا أستطيع أن أعيش بدونها.. هذه الملامح التى حفرتها بوجه مكتبى أين أذهب بها؟

هذا اللحن الذى يهز كيانى.. هل يموت؟ هل أستطيع أن أنأى عنه؟

والدار التى شيدتها هناك؟ ليالينا سوياً.. رحلاتنا.. منازعاتنا.. ضغط بإبهامه.. انطلق الصوت الرخيم لكأنه كان يريد كل ما انطلق من موجات.

هوى بكفيه على دار العشق العتيق.. خرس الصوت.. انفجر.. هراء.. هراء.. كل ما تقولينه هراء.. كل ما تقوله هراء.. نعم.. عشت معكم تبزعون إليّ عبر طريق أسود طويل.. تثرثرون وتثرثرون.. أنتم أنفسكم من عُذبتم فكانت لياليكم.. أنكم لترسمون على الأمواج خطوط من الوهم.. أنتم مثلها.. كلكم خنتمونى.

obeikandl.com

كلكم خنتمونى.. ألف ومئتان وأربعة وخمسون ليلة معكم ومعها وفى النهاية لا شىء.. لا شىء.. لم يعد هناك لكم قيمة ولا لى.

فتح الباب فى كثير من الهدوء.. ابتسم لأسرتها المصغية فتحدث فى نفسه.. بلهاء.. هبط الشارع.. اصطدم بالأمواج فلاذ بشراع مما ينويه.. ها هو يصل إلى مكانهما المفضل الذى كان.. كل شىء يبدو هادئاً.. مياه النيل تمر على استحياء بجانبه.. عندما ظهر جحظت عينا الشحاذ الذى اشترى هذه الدار من قروش هذا الشاب.. مد يده وهو على يقين بما سيسقط بها.. أهمل ثرثرة سكان هذه الدار.. اقتربا.. أخذ الشحاذ يتظاهر بأنه غير مكترث بأى شىء أعمل الشحاذ يده فى النافذة فوصلته الكلمات ولكنه كان فى وادٍ آخر.. تظاهر بالانصات.. تقدم الآخر، أخذ يحدق فى الأمواج.. صدرت الموجات.. انطلق إلى الأعماق زاد إنصاته.. وقد بلغ عدد شهداء الانتفاضة ألف بعد مقتل شاب اليوم.. لم يستطع الانصات فقد ذهب مذعوراً بعيداً خوفاً من الاتهامات.

(٣)
رياح الغـُربة

مشى الرجل الكهل فى شارع ضيق بخطوات متهالكة ثقيلة حتى وصل إلى مبغاه وهى قهوة صغيرة حيث جلس فى كرسى معين وما أن استكان حتى فاضت عيناه بدمعتين ما لبث أن أزالهما. أحس بيد حانية تربت على كتفه.. أدار وجهه لم يكن سوى صديق عمره ولكن الصديق انزعج- ما بالك إننى أراك حزين جداً؟

- اجلس الآن وسوف أطالعك بما حدث.
- وجلس الصديق الوفى ها آنذاك قد جلست هات ما عندك.
- ودس الرجل يده فى جيبه الداخلى وأخرج منها خطاب ثم أعطاه إياه.
- خذ اقرأ هذا الخطاب.

وفعل الرجل وظهرت إمارات الحزن العميق على وجهه وقال:

obeikandi.com

لا بأس.. لا بأس.

- لقد ذهب.. عشت سنوات عمرى كلها أراقب نموه.. لقد كره الناس. جميعاً إحصاء السنين لأنها تذكرهم بالقبور والموت أما أنا فكنت أتعجل السنوات لآراه رجلاً وهذه هى النهاية، تركنى ولم يترك سوى خطاب رقيق المعانى قاسى الواقع.

- لا تحزن يا رجل سيعود.. سيعود ولكن اصبر ولا تتعجل.

لا يعود لن يعود.. كان ينظر إلى حجرتى باشمئزاز.. إننى فراش بإحدى المدارس ولكن هذا العمل استطعت أن أجعله طبيباً، كيف يتركنى؟

لقد عشت سنوات عمرى مسخراً لتحويل حلمه الوردى إلى حقيقة.. لم أبخل أبداً بالتعب والشقاء من أجله، لم أكن أعلم أن هذه هى النهاية.

- وهل تظن أنها النهاية؟ كلا يا صديقى لعلها البداية، بداية شقائه وتعبه لقد تخلص من أقوى روابط الحياة رابطة الابن بأبيه وذهب إلى طريق جديد لا يعلم أين؟ لقد أباحت له غريزة الترحال فليرحل وليتركك فى سلام ولكن اعلم أنك أب وهو ابن وهو دائماً

openkandil.com

محتاج إليك وما عليك الآن إلا أن تأمل فى يوم رجوعه إلا وهو رجل بمعنى الكلمة ولكن ما أظنك مقابله بعد الآن.

- إذن فسوف أعيد كره الوحدة وأعود أنا وأنت كما كنا فى البداية ليتنى لم أتزوج ولم أنجب مثلك لقد فقدت الحبيبة بموتها وفقدت عمرى بهروب الابن.

obeikandl.com

(٤)

الحب الذى ضاع

هو: أين حبك الذى جمع بين قلبينا؟ أين الأنشودة العذبة التى أضافت البهجة على حياتى؟

هى: لقد أختلط بأدران الحياة.، لم يصمد أمام تيار الواقع

هو: لقد كنت أعلم أن حبنا أقوى من أى شىء.

هى: لقد قلتها بنفسك كان وما مضى قُبرنى قبور النسيان.

هو: ليس كل شىء عُرضة النسيان.

هى: لا تحدثنى عن أوهام.

هو: إذن فحبى لك وهماً.

هى: بل حبنا وهماً

هو: أو مازلت تحبيننى؟

هى: إن الحب الذى أحببته لك لا يوجد له مثيل.

هو: ولماذا العذاب؟

obeikandl.com

هى: لأن العذاب جوهر الحب.

هو: لماذا الفراق؟

هى: لأن الحب وحده لا يكفى.

هو: إننا حبيبان.

هى: ولكننا لا نستطيع أن نحول حبنا إلى حقيقة، لا نستطيع أن نحلم بعش هادئ.. لا نستطيع أن نكون.. إنها حكمة القوى التى تزج بالحب فى حياتنا ثم تلعب لعبتها الشهيرة ويكتب على المحبين العذاب.

هو: ولكن..

هى: لا لكن لقد قُضى الأمر.

obeikandl.com

(٥)
إشراق الدمع

سار الصديقان على درب غائر فى يم من الزهور مفعم بالشذا ولكنهما لم يكونا حاسين بذاك المنظر البديع الذى أخرجته الطبيعة بقدرة البديع انحدرت دمعتان من مقلتى أحدهما أسرع بمسحهما ولكن يد الثانى ربتت على كتف صديقه سامح وهو يقول:

هدئ من روعك يا سامح إن هذه المرة الأولى التى أراك دامع العين فيها.

سامح: أو كنت تظننى بعيداً عن الدمع وأن القدر لن ينال من مقلى؟

سمير: إن عشمى لأكبر من ذلك.. أنا لم أعهدك ضعيفاً هكذا.

سامح: كل شىء يهون بعد أن نفذ كبريائى قطرة قطرة أمامها، بعد أن لفظ غرامى أنفاسه الأخيرة بعد أن أوقف الكره نبض الحب بقلبى.

بعد كل هذا كل شيء يهون.. كنت أظن أننا أقوى من القدر ولكنها.

obeikandl.com

سمير: ولكنها حواء المعهودة يا نديمى.. حواء التى أسقطت آدم من قبل إلى الأرض.. حواء التى خرجت من ضلع أعوج لتظلم الكون وتبدد الابتسامات.

سامح: أحقاً كانت حواء؟ لقد عشت فى كنف حبها سنوات عمرى الغابرة شيدت تحت ظلال حبها صروح مستقبلى القادمة.. هل هدمت كل شىء؟

هل أفسدت كل شىء؟ إننى أحلم، لا أصدق أننا قد اقترفنا وأنها حواء.

سمير: هكذا المرأة تُغرى بالمال.. لقد حلمتما ولكنكما كنتما كمشيدى بروج الرمال على الشاطئ فأطاحت بها أولى أمواج الحياة.

سامح: لقد ضحت بحبى من أجل المال لم تكن تعلم أن القلب لا يشترى بالمال لم تكن تعلم أن إنساناً لا يستطيع أن يضع بالبنك رصيد السعادة والهناء، لقد تناسيت أن الفؤاد هو موضع الثراء وأن الحب هو وسيلة التداول.

سمير: كف عن ذكرها وأقبر ذكرياتها وبدد صورتها حتى تجد حباً جديداً مع الفجر الجديد.

واتسعت حدقتا سامح وقال فى صوت يخنقه الدموع: أتريد أن

أنتظر حتى الحب الجديد أتريد أن أسلم قلبى إلى حواء مرة أخرى أتريد أن أحطم قلبى من جديد أتريد أن أنسى ذكرياتى الجحيمية وآمل من جديد؟

أتريد أن تجعل لقلبى موضوع لحب؟ كلا يا صديقى لقد انتهى أمر الحب.

openkandl.com

(٦)
(حى على الصلاة)

كانت الشمس تميل إلى الهروب وقد هبط إلى الشارع مختلفاً إلى أحد الالتزامات ها هو جاره السمين يحييه فيرد التحية ثم يستمر.

ها هو صديقه يتوجه إليه يسأله عن الحال فيجيبه بأنه فى أحسن حال- ثم يسأله عن ذاك الشخص الذى عاداه فلا ينس بكلمة ولكأنه يفيد بأنه لا يستحق الحديث عنه واستطرد المسير.. رأى الوجوه التى دائماً يراها وردد تحية كل فرد.

حتى جاء الشخص كان يقف على الرصيف فاختلف هو الى الآخر ليتفادى تحيته الا أن شيئاً قد حدث فلم يستطع كلاهما أن يمنع طرف عينه من التسلل إلى الآخر فما أن التقت شذرات النظرات حتى ساد الصوت الوجوه وزاعت الأبصار من المقابلة وحدثت نفس كل صدر عن الآخر.

ولم يعبأ هو بكل هذا لقد وصلت علاقته به إلى النهاية المحتومة

ولكنه لم يواجه نفسه قائلا من المذنب؟

فقد كان الأمر صعب الحسم ولاذ بالبراءة من بدء العداء ولم يعد لينافس نفسه مرة أخرى فى أمر كهذا..

ولا يعلم كيف استطاعت الكراهية أن تصل فى قلبه لمثل هذا الكم.. لكان قلبه ينبض كراهيته؟!

إنه لا يتصور مجرد التصور أن يتجه إليه وأن يلقى عليه تحية السلام ولا يتخيل أن يلمس يده مصافحاً فى يوم من الأيام.

ورغم أن البداية كانت ضئيلة إلاأنه لم يعلم كيف وصل الشقاق إلى هذه الدرجة وكيف بنى الخصام والجدال كل هذا الجدار الذى قصمهما رغم علاقتهما والتى لم تكن قوية إلا أنها لم تكن أيضاً ضعيفة.

وأنجز مهمته فى هدوء ويسر وسمع صوت المؤذن يقيم الصلاة فأتخذ سبيلاً إلى بيت الله وتوضأ واتخذ موقعاً فى الصف الثانى ومضت برهه فإذا بالعدو اللدود يدخل المسجل ويقف بجانبه.

(٧)
احبها

كل ما يسبب له القلق أنه أحبها.. ومبعث هذا القلب ليس هى بل تأثيرها عليه.. والشىء الآخر الذى كان يعانيه هو.. ماذا عنها؟

انها المشكلة الأز لية التى لطالما جمعت حواء وآدم والتى كان يسخر منها فيما مضى ولكن هذه اللحظات كانت دليل قاطع أنه أخطأ عندما سخر من شىء لم يعهده.. أخذ يسير على غير هوى وقد انفعلت ضربات قلبه وهو لن يدرى ماذا يفعل؟

هل يتجه إليها ويقحم نفسه فى عالم عينيها الزرقاوين الجميلتين ويقول لها كل ما يعتمل فى قلبه؟

ولقد هم بذات مرة ولكن لم يستطع عندما كانت الخطوة الأخيرة بينهما.. ومضت ساعات النهار التى كان يعهدها على أمل أن يراها وعندما يفشل فى ذلك.. يأتيه الليل الذى لا محالة يجيئه.

وساعتها تنشق سحائب الظلام عن وجهها وتطارده ابتسامتها

obeikandi.com

التى لم يرها إلا قليلاً ويشتاق إلى صوتها الذى لم يسمعه إلا مرة واحدة.. ولكن مداه لا يزال فى ذهنه.

ولما يستفيق على الواقع يعرف أنه لا يزال وحيداً.. فتكثر همومه.. ويعود لو أن يخرج إلى الشارع أو يحطم جدران الصمت التى تسجنه ولكنه لا يستطيع يود أن يرسم صورتها ولكنه سخرمن نفسه بابتسامة باهتة فقد كان يعلم أن عينيه لا تبصر من صوتها فهى أمامه فى كل حين.

وفى نهاية الليل لم يستطع أن يتحمل فدق الحائط بيده فانفجر الصوت وقرر أن يذهب إلى أى مكان وبالفعل شق له طريق وسط تيه الوحدة إلى وحدة أخرى.. كان ما يؤنسه بها النيل الصامت الذى لا يتحدث أبد الدهر والريح التى تسخر من حوله وتعذب غصون الشجر فتصرخ ويصرخ معها.

ود لو أن يقبض على الريح ولكنه لم يستطع.

فى مثل هذا الجو الهادئ بث الحب إليه التصميم فقال فى صوت رقيق سأقول لها الكلمة.

نعم.. أنا لست جباناً.. ولكن هل ستكون اللا بالنسبة إليّ بهذه السهولة التى تبتسم بها.. أو حتى تبكى بها؟

إن (اللا) شرخ لكرامتى من قبل قلبى.. نعم سأفعل كل شىء.

سأواجه عينيها الزرقاوين الرائعتين وأتملى فى ملامحها الملائكية.

لن أهاب أى شىء إننى أشعر أنها تحبنى لقد قالتها لى.. نعم لقد نظرت إليّ حتى الآن ثلاثين نظرة كل منها دهراً كاملاً..

وسار على هذا الأمر..

وبعد عام سار على هذا الأمر أيضاً.

opeikandl.com

(٨)
إنه أراد.. ولكن..

جلس فى كثير من الراحة والاسترخاء وأطلق الصعداء ثم أحكم قبضته على ما فيها من ورق ثم نظر إلى الورق بعد أن فرد دفته أمام عينيه وابتسم، وقال: الآن لا يستطيع أن يفعل شيئاً.. إنه ساذج يحسب أننى سأعطيه مليم واحد من مالى.

نعم أنا اعترف إنه أخى ولكن الخصام مستشرى بيننا منذ زمن طويل.. إنه طماع لص.. لطالما كنت أعطيه ولكن لم يعد هناك بد من أن أعدم هذه العادة، لقد علمت كيف سأذله بعد الآن حتى لا يتطاول عليّ بعد ذلك.. أن كل أموالى ستصير إلى ابنتى.

ثم أطرق برهة وأطلق رفرة ارتياح وقال: ابنتى.. إنها الجمال الذى يُجّمل حياتى.. الروح التى أعيش بها.

رقيقة كالنسمة جذابة كالبسمة وهادئة كالنظرة.

لا تقلقى يا بسمتى الحبيبة لسوف أعبد لك كل الطرق، لن

obeikandl.com

تشعرين بلحظة بؤس واحدة بعد مماتى.. لقد جمعت لك كل مالى وسأضعه تحت أقدامك ولسوف يكون هذا المال حارسك.. وحاميك.. إن البشر الآن مقيدون بقيود النقود مسجونين برائحة العملة ما إن تظهر لهم الأوراق حتى تنتهى كل أطماعهم لأنك ستسلمينهم ما يريدون وتمتلكين أنفسهم.

قال عمك أننى أضيع حقه.. هو حقه وليكن كذلك ولكنه طماع لا يشبع.. وقال إننى أُذهب حق الله الذى سيؤول له فى مالى ولكنى لن أعطيه مليماً واحداً، كل منازلى قد بعتها إليك والعقود كتبت وانتهى الأمر، أما هو فليحطم رأسه بصخور عناده.

سيقول بعد ذلك أشياء كثيرة ولكن لا يهمنى فقد ضمنت لك كل الراحة، وما ان انتهى من هذا الخاطر حتى رفع السماعة بعد رنين متقطع وبعد عدة كلمات ارتسمت أمارات الذهول والحزن على وجهه.. تجمدت الدموع فى عينيه وصارع الهواء معترضاً وهمس فى حرقة وحزن مندهشاً مذهولاً: أحقاً ماتت ابنتى؟

(٩)
(زائر الليل)

المكان بعيد والزمان بقلب الليل.. القمر مختبئ بين السحب والهواء يداعب الأغصان وصوت الزوجة الرقيق ينادى الزوج العصامى بأن العشاء قد أعد..

مضت دقائق وأجلب الهواء صوت طرقات فقام الزوج فإذا به يجد شحاذاً فلم يتردد فى دعوته إلى الطعام.

هذه هى عادته يحنو على كل الضعفاء ربما لأن قلبه قاسى ما قاسوا، ودخل إلى البيت فى وجل وقد التصقت نظراته بالأرض وشجعه الرجل بأن يدخل إلى حجرة الطعام.

مشى خطواته السبع فى أسماله الباليه وقد برزت لحيته على غير هدى وشعره الأشعث يعلو قسماته القانطة واستقر أخيراً على أحد المقاعد.. ودعى الرجل زوجته إلى الجلوس ومرت برهة قليلة.. كانا قد عرفا بعضهما فيها.. الشحاذ وهى

obeikandi.com

وزاعت نظراته حاول ألا ينظر اليها أما هى فقد أرادت أن تبتعد عن الجميع فاستأذنت فى الذهاب، ألا أن الزوج أبى ذلك وصمم على مكوثه.

لم تتحمل لحظات المواجهة.. لاحظ الزوج الشحوب الذى اعتراهما فوجدوا نفسيهما مضطران إلى الإفصاح عما كان بينهما، فلما تساءلت أعين الزوج فى دهشة فجرت المرأة الموقف فقالت:

لقد كنت زوجته فلما أتى شحاذاً لم يتصدق، إنه بخيل فأردتُ الطلاق فهو على غير سجيتى وإنى لآراه مثل الشحاذ، فضحك الزوج كثيراً بعد تفاصيل أكثر وأشعل الفتيل قائلاً: لقد كنت أنا الشحاذ!

openkandl.com

(١٠)
"لا"

كان لابد أن يفعل ذلك، لطالما حاول التملص من هذه الأزمة الا أن الموقف كان كخيوط واهية كلما حاول أن يتخلص منها تشبثت به، كل ما يتعجب منه هو ما هو بصدده الآن إذ كان يعتقد أن السذاجة هى ما سيفعل فقد كان يبحث بين ثنايا العالم عن الحب ولكن لم يكن يتصور أبداً أنه سيجد الحب ثم يسفحه بيده هو لا بيد غيره.

إنه يتذكر الآن وهو على وشك أن يقابلها كيف كان يحلم بهذا الموعد.. موعد حب خالد وتحقق حلمه لأنه الموعد الأول وبيده الأخير.

علاقته بها ترجع إلى أطياف الماضى الذى أنبته فى قلبها فأحبته.. كم كان يختلف إلى دار عمه ولكن لم يكن يعلم أنه فى كل مرة يروى بذرة غريبة لم يكن هو الذى بثها، ولم يعلم تماماً كيف علم بهذه

البذرة؟ ربما وجه صديق له نظره إلى هذه النظرات متعجباً ومقرراً أنها تحبه.. وكم كان مذهولاً حينما عرف ذلك.. كان يحبها نعم ولكن لم يشعر قط بأن حبها سينحرف إلي عاطفة الرجل والمرأة.. فقد كانت أخته نعم هى ابنة عمه ولكنه كان دائماً ينظر إليها كأخته.

وفى يوم، حدّقها، وأخذ يحدّث نفسه أهذه العينان الزرقاوين تريداه.. وهذه الملامح الملائكية تبغاه وهذه الابتسامة النيلية رسالة له؟

ما هذا؟ بالتأكيد أنا فى غفوة.. كيف يحدث كل هذا وهو لا يعلم.. أخيراً وجد المبغى.. أخيراً علم الطريق إلى حبه الذى كان دائماً يسعى من أجله، ولكن كم كانت حسرته فلم يستطع أن يحبها.. لم يستطع أن يحب العينين الزرقاوين رغم حبهما له ولم يستطع أن يبث ابتسامة صافية كما كانت تفعل هى ولم يستطع حتى إن يحيد عن كونها أخته.

حاول فى أطياف الأمسيات أن يتخيل مرآها الا أن صورتها كانت تهرب من بين جفنيه.. كان إذا سار فى الطريق رأى ابتسامات ويؤكد لنفسه أن ابتسامتها أبرأ نظرات ولكن نظراتها.. كما يحاول أن يؤكد

لنفسه- أهدأ، كانت النتيجة فشل.. فلم يستطع أن يقنع نفسه بها كحب وهو الذى يريد الحب، واعترف: لم أستطع أن أحبها، وفجأة أحب.. ولكن لم تكن هى، كانت أخرى واعترف بينه وبين نفسه أنها لن ترتقى إلى جمالها ولكن اعترف أيضاً: أحبها.

لم يستطع أن يعرف ماذا يفعل ولكن كل الذى كان يدور بخلده أنه وضع يده على الطريق وأن حبه الخالد الذى يريد سيدنومنه وسينادمه، إذن لم يعد ثمة خطأ لابد أن يقتحم تلك المصاعب لابد أن يقتحم الطريق إلى من أحب ويقول لها الكلمة.. وفعل بعد جهد جهيد ولكن كم كانت دهشته أنها رفعت يدها اليمنى توريه بنصرها.

فى نفس المساء قابل العينين الزر قاوين فشكتا إليه حبها دون إبداء التعريف وأخذت تسهب فى ألم عن قسوة من أحبت وكادت دموعها الساخنة أن تنحدر على خديها ولكن بصعوبة كظمتها.

كانت لديه الفرصة لكى يشعر بأنه يحب وبالفعل طلب منها أن يقابلها لأمر هام وكأن ذلك كان بداية تبدد لعبوث طويل احتكر ملامحها الملائكية ورياح عاتية أزاحت سحب الحزن عن عينيها..

قالت فى صوت يتقطر أمل أنها لن ترفض ذلك.. وبالفعل ها هو يراها الآن أمامه فقد انتظر وانتظر ولكن كان عذاب تفكيره هو الذى يطيل الزمان وحدقت فيه وبعد فترة قصيرة من المناقشة اعترفت خلالها بحبها قال وهو يقبض على المشرط يحرر القلبين: كنت أعلم أنك لابد أن تخضعين لى كغيرك.

openeikandl.com

(١١)
الشهيد

وأمسك الفتى بيد أمه وقبّلها قائلاً فى صوت دافئ: لقد حان وقت الرحيل يا أماه، انحدرت دمعة من كل مقله ونظرت الأم إلى ولدها بعينين ملهوفتين وقالت: أوحان الرحيل حقاً؟!

ووقف الفتى وهو يضع القبعة العسكرية على رأسه قائلاً: الآن أصبحت جندياً جاهزاً ولكن الأم أخذته بين يديها حيث توسد الابن صدرها ووضع رأسه بجانب قلبها الذى ظل بجانبه منذ عقدين من الزمان تسعة أشهر.. انهمرت الدموع من عينى الأم حتى كست وجه الابن ولكن الابن رفع رأسه إليها قائلاً: لا تبكى.. لا تبكى يا أماه ثم مد يديه ليمسح دمع أمه.

قالت الأم بعد أن استجمعت قواها: لو كان بيدى ما كنت تركتك يا ولدى، ورد الابن: إن هناك نداء يا أمى يعلو نداء الأمومة ويعلو نداء الحياة ذاتها إنه نداء الوطن.. النداء الذى من أجله نصهر

أجسادنا فى بوتقة الجهاد لنحمى التراب.

ولكن الأم قالت بأعين مستسلمة: إذن فإلى جهادك يا ولدى، وحيى الابن أمه تحية عسكرية وقال ممازحاً: سأعود إليك بعد أن أحمى التراب وأرجع ظافراً.

ذهب الابن ولكنه أخذ من أمه شيئاً الا وهو قلبها أخذ معه نبضها وحياتها، ودارت الأيام وانطلقت الشرارة وانطلق فتانا مع الجنود الأبرار يحرس قلب أمه الدامى ولكن ذاك القلب لم يستمر قرين الفتى كثيراً إذ ما لبث أن رفع الفتى علم الوطن حتى اخترقت رصاصة صدره فمزقت فؤاده ونز ف الفتى مبتسماً ووضع يده على ثقب بصدره ثم رفع يده إلى عينيه فرأى دماه فابتسم وقال: ليتك يا أمى كنت معى لترى وسام المجد لترى أن ولدك عاد إلى أصل البشر على أجنحة الملائكة.

دمياط فى ٨٧/٣/١٤

openikandar.com

(١٢)
(قطرة من نهر)

كان الجو شديد العبو ث.. الغيوم تهيمن على كل شىء تعبث بكل شىء.. والطريق طويل والسيارات الفارهة تمر لا تعبأ بما حولها، توقفت السيارة المكتظمة بالركاب ونظر بعضهم إلى بعض يتهامسون ولكن صوت السائق جاء يشرح كل شىء.

إن هناك حادث ويجب أن يروا ماذا حدث، بالفعل نظر بعضهم إلى بعض مرة أخرى وفتحوا الباب وخرجوا إلى الحادثة ولكن كل ما تعجبوا منه هو هذا المخلوق النحيف الهزيل الذى خلفوه فى السيارة، لقد أتى أول فرد فيهم بهذه العربة ولم يكتف بهذا بل أخذ ينادى فى الميدان حتى جمع كل هؤلاء الناس وعندها اتجه إلى ركن من الأركان ونام فيه، ولم تنجح محاولاتهم لإيقاظ هذا الرجل الغريب، أخذت جميع الوجوه تتطلع إلى الحادثة، فوجدوا أن عربة كبيرة قد سحقت أخرى صغيرة، ولكن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد

obeikandi.com

فقد صدمت أخرى ثالثة العربتان ولا يعرف أحد كيف نجا كل من فى هذه السيارة الثالثة، ولم يعرف أحد أيضاً كيف خرج هذا الرجل من السيارة ثم كيف عندما هوت قبعت على جسده.

وقد بدى الأمر واضحاً، المطلوب انقاذ هذا الرجل المحصور بين الأرض وهذا الثقل الفظيع الذى يكاد يحطم صوره، تكاتف الجميع حاولوا أن يرفعوا هذه العربة ولكنهم لم يستطيعوا حاولوا مرة ومرتين وثلاثة ولكن كل مرة كان الفشل من نصيبهم وفجأة اقتحم الصفوف هذا الرجل الذى خلفوه فى العربة معتقدين أنه نائم واستهزأ الجميع به فكيف يستطيع هذا النحيل الضعيف أن يفعل ما لم يفعلوه.

وهم العصبة..

وقف من بينهم يحدق فيهم بنظرات قوية.. لم يطلب مساعدة أحد.. نظر إلى الرجل الذى يرزخ تحت وطأة الموت نظرة مزقت نياط القلوب، وانتفض الرجل انتفاضة واحدة فإذا به يتبدل رجلاً مكان الأول ففى لحظة واحدة أضحى كالعملاق.. عيناه تفيضان بالقوة والصلابة، بشرته سمراء متقدة.. سواعده فتية عظيمة.. جسده فارع الطول مفتول العضلات، لم يعرف أحد كيف حدث هذا انكب الرجل على العربة الضخمة وأصدر من فمه صوتاً رهيباً أكبره الرجال وفى

لمح البصر كان يحمل المصاب إلى حيث سيعالج، أما هو فقد نظر إليهم نظرة الظافر فردوا عليه نظرته بنظرة تحمل معانى الانفعال فقد عاموا الا حياة لهم وهو موجود وبهذه الخلال، خاصة ذلك السائق الذى أدرك أن قيادته للسيارة أصبحت مستحيلة فى وجود هذا الرجل.

وتساءل السائق من هذا الرجل.. حك أحد الركاب ذقنه وقال: لقد رأيته مرة سابقة.. نعم لقد رأيته.. تذكرت الآن.. لقد رأيته عند سفح الهرم.. أما هو فقد رجع إلى العربة بعد أن أعلم الجميع أنه لم يكن نائماً ولكن أغلق عينيه وعقد يديه عند صدره.

opeikandl.com

(١٣)
(المنية)

هذا القَصّاص شديد الغرابة.. عندما يكتب يشعر أنه فى عالم آخر.. عالم بعيد عن كل من حوله رغم أن أواصره هى كل ما حوله.. وقد اعتاد أن يكتب من تجارب يشاهدها بنفسه ورغم أن ذلك لم يستطعه فى كل الأحيان الا إن معظم المواقف المؤثرة فى قصصه كانت لابد أن يعيشها قبل أن يشرع الشروع النهائى فى تسطيرها.

آخر قصصه كانت بعنوان: (المنية) ونهايتها هى اسمها إذ سيموت البطل فى نهاية القصة، لم يكن هذا البطل بطل عادى إذ عاش معه ثلاثة أجزاء كاملة وفند كل مشاعره وأحاسيسه وبالتالى لم يكن مشهد النهاية مشهداً عادياً إذ كان شديد الارتباط بماضيه وأفكاره وطريقة حياته.

كانت النهاية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعمق فكر كبير لا يتأتى إلا مع هذه النهاية، كل هذه العوامل جعلته يرجئ كتابة المشهد الأخير أسبوعاً كاملاً رغم أنه لا يتعدى ثلاثة صفحات، قرر أنه لن يكتب المشهد إلا إذا رأى بنفسه احتضار ليستغل رد الفعل فى صياغة النهاية، وكان شرطه لذلك أن يكون المحتضر فى سريره تماماً مثل بطله المقضى عليه، أخذ يعد قائمة باسماء من مرضوا فى الحى والعائلة وها هو القدر يبتسم له إذعرف أنه جاره على وشك الاحتضار وهو يعانى سكرات الموت منذ وقت غير طويل.. وهكذا لاحت له الفرصة فاتخذ المسرة طريقاً وأبدى انزعاجاً لما ألم بهذا الرجل ثم أصر أن يجئ.. بالفعل.. جهز الورقة والقلم وأسجاها على سطح مكتبه اللامع ورفض أن يضع أى وسيلة كتاب معه حتى لا يترك الرجل ميتاً ويستقر بأحد الأركان واصفاً إياه.

فى تمام الساعة العاشرة مساء قرع الباب مع أحد الأصدقاء ولما ولج أبدى انزعاجه لهذا الذى ألم بجاره الحميم فبكت زوجته التى

أصبحت على وشك الانهيار فأخذ يهدئ من روعها ويبث فيها كلمات الطمأنينة، وردت مندهشة أنها لا تستطيع أن تصدق ما حدث فقد كان على عهده بالدنيا، يبتسم ويضحك فإذا بالضحكة لم تكتمل ويعصر موضع قلبه.

وهز رأسه علامة الاندهاش والتعجب ثم قال: هكذا الدنيا يا سيدتى لا تأمن ولكن لدى ثقة أن هذا الجار الحبيب لسوف ينتفض قاتلاً المرض.

هزت رأسها علامة المجاملة فهى لم تعد تثق فى شىء على الإطلاق، دنت اللحظة المرجوة إذ تقدمتهما لتفتح خلالها الباب ولما سألها لماذا لا تلج معهما قالت إنها لا تتحمل هذا المشهد العصيب.. أغلقت خلفهما الباب وجلست على مقعد أمام الحجرة وهى تنتظر النهاية التى أكدها الطبيب.. بعد خمس دقائق تماماً سمعت جلبة غريبة تبنعث من الحجرة فأدركت أن النهاية قد حدثت فدفنت وجهها بين كفيها، ثم بعد لحظات.. عندمنا ولجت لتجابه الموقف ودموعها تنهر

وجدت ما أفقدها رشدها.. كان زوجها يمسك بيد القصاص ويضعها بجانبه وقد استلقى مكان زوجها على السرير وقال يخاطب زميلهما: كان ذلك مستحيلاً.. كيف داهمته هذه النوبة القلبية وهو لم يكن قط مريض بالقلب؟ انها كانت سريعة جداً لم تمهله دقيقة واحدة، ثم غطى وجه القصاص وخرج مع زوجته يطلبون زوجته وأولاده.. أما أوراقه فلم تتحرك من مكانها ولم يخط بها حرفاً واحداً بعد ذلك.

openkandl.com

obeikandl.com

(١٤)
(امرأة تتذكر)

كان الضباب يغشى كل شيء والسكون اسدل ستاره على الألسنة.. والهواء يعصف بأطراف الأغصان.. كل شيء صار فناء فلا أثر لحياة.. وفى لحظة جاء صوت يهدر من بعيد.. كان صوت عربة تشق فى قوة ذلك الهواء الكاسر، وعند نقطة بعينها وقفت السيارة.. تساءلت العجوز ماذا يمكن أن يفعل السائق بها؟

تبادلا النظرات عن طريق المرآة.. تساءلت مرة أخرى.. الطريق ممتد وهو طريق ترحال ماذا أوقفه هنا؟ جاء صوت السائق الأجش داعياً إياها إلى الخروج من العربة..ورغم وهنها فقد أطاعت.. وأغلق الأبواب وتقدمها ولكنها سألت عن مقصده فواجهها وجذبها من عضدها فى قوة، لم تستطع المقاومة فانقادت بين يديه فى سهولة وصرخت إلا أن صرخاتها ذهبت أدراج الرياح.

أخذت تتشبث بالأرض ولكن يبدو أن الأرض نفرت منها.. أخذ

يجرها إلى أدغال الحقول.. حاولت أن تمسك الهواء وتطلق صيحات الاستغاثة إلا أن أحداً لم يكن ليساعدها.. وهاهما وسط الأدغال.. استرحمته وذكرته أنها فى سن أمه إلا أنه أبى إلا إياها.. صارعته بكل ما أوتيت من قوة ولكنها لم تفلح فشق ملابسها وكان ذلك كفيلاً بأن يرتد إلى صوابته، أخذت تسير على غير هدى تغوص قدماها بالطين ولكن لم يكن أى شىء يعوقها عن السير فقد أخذت تسير كأنها بذلك تسترجع شريط الذكريات.

وفى النهاية وصلت إلى قهوة صغيرة وقد جهلت كل الجهل كم سارت ومتى هى الآن؟

دخلت إلى القهوة فلم تجتذب أنظار النظارة فكلهم مشدوهين إلى صاحبة هذا الجسد الأفوانى التى يطل عليهم عبر الأثير واتجهت إلى صبى القهوة وهى تمسك شقى ثوبها المسفوح تطلب منه مكاناً للمبيت، دبت الرحمة فى قلبه فأشار إلى مكان ضيق فى عمق القهوة المظلم خلف الجميع.. ذهبت بالفعل إلى هناك وافترشت الغبراء وأسندت رأسها إلى زاوية الركن ساعتها اطلقت زفرة أسى كأنها تتذكر أيام شبابها الأول.. تطلعت إلى من أمامها فوجدت شباباً ينظر إلى ذات الجسد الأفغوانى ساعتها أطلقت زفرة متألمة صريعة وحدثت نفسها:

أيتها الحسناء التى كانت.. أين وجهك الناضر من تلك التجاعيد التى تنشعب فى وجهك، لقد نفر ذاك القذر لأنه رأى صدرك المبتور.. ترى ماذا كان الأثر إذا ما رآك وأنت تعتلين عرس الجمال؟

وهؤلاء الواهمين الذين يحدقون بالأثير لم يلتفتوا إليك.. وفضلوا الشباب عن الشيخوخة، إلا إنهم لم يعلموا بعد دورة الأيام، وضحكت ساخرة منهم وهى تحاول أن تتخيل أن من يروها عبر الأثير فى حركاتها الأفغوانية والتى تبث فى نفوسهم الزيف هى تلك المخلوقة التى لا تبتعد عنهم سوى ثلاث خطوات وثلاثين عاماً.

openkandil.com

(١٥)
«اعتراف»

ها هى الشمس تميل كعادتها الأزلية إلى الموت وأشعتها الصفراء الشاحبة قد أغرقت كل شىء ولكنها كانت ضعيفة متهالكة حتى إن ظله كالشبح المتهالك.. كان يعلم أن كل أمله لسوف يتحقق بعد حين ولكن فى ذات اللحظة التى ستقضى فيها على كل الآمال!!

كان يعرف أنها هناك غارقة هى الأخرى بالأشعة الصفراء وعلى ضوئها الخافت كانت عيناها اللامعتين الزرقاوين تلتمعان وذلك الشحوب الذى تكاثف على بشرتها الحريرية قد أزاد من روعة وبراءة ملامحها، ها هو يصمم أن يذهب.. سار بأرجل ضاع عنها الطريق.. لم يكن يرى سوى أشباح البشر الا إنها كانت تبدو كل الوضوح.. تناسى كل ما حوله من أناس وكلمات واقترب حتى لاصق المنضدة فوضعت كتابها الذى وهب لمسة يدها وتساءلت عيناها فيصمت مندهش، لعلها كانت المرة الأولى التى تراها فيها ورد عليها دهشتها

obeikandl.com

بنظرة متشحة بألم رهيب وجلس دون أن ينبس بكلمة.. وازدادت دهشتها وروعة عينيها وخوف قد بدأ يتسلل إليها، بسط راحتيه على المنضدة وظل يحدق بالعينين الواجلتين، جاء صوته أخيراً كأنه يصدرمن بئر عميق.. قال وهو لا يعى ماذا يقول.. فقد كان يشعر أن ثمة شيئاً أخيراً يدفعه إلى التحدث رغم أنه لن يلقى أى فائدة من الكلم.. معذرة إن كنت اقتحمت عينيك وأجبرتهماعلى رؤيتى.. كم كنت أود أن أفعلها من قبل ولكن.. أرجوك لا تتحدثى لن أضايقك ان هناك شيئاً واحداً فقط سأقول.. شىء طالما نبض قلبى على أمله.. وصدر صوتى مترنماً به، إن كل أملى وأنا الإنسان الغريب الذى يفعل ذلك فجأة.. أن أقول لك كلمة واحدة.. أحبك.

لا تغضبى إن عينيك الزرقاوين كصفحة النيل الهادئ.. فلا تغضبى حتى لا تثور أمواجك الحالمة الناصعة.. لعلك تتساءلين لماذا؟

ماذا تظن النفوس فى، أنا سيدتى لست كذلك الإنسان الذى يقتحم ما ليس من حقه اقتحامه ولكن هل رأيت من قبل الفرخ المذبوح؟

أر يدك أن تقرنى هذه الابتسامة الباهتة الشاحبة كالجسد الغر يق الطافى وذلك الفرخ المذبوح.. إن ابتسامتى هذه ورقصات الفرخ شىء واحد، كانت أحلامى أن أقول لك تلك الكلمة ولكن لم

تكن أحلامى أن أقولها تحت تلك الظروف إننى أشعر أن جمجمتى تسحقها الطبيعة وأن أوهى العزائم تخور أشعرأن البساط ينسحب وأن عمن الأرض سيبتلعنى.. سيدتى الحبيبة.. كم أحببتك.. ولكن اعتقد أنك لن تفتقدينى إن أردت أن ترينى، فالمشهد القادم له هلال.. ومع هذاالهلال سأكون هناك، فإن أردت أن تعثرى على شبح ابتسامتى.. فلسوف أبعثها لك من أعماق أمى وأمك لأننى سأموت.

openkandil.com

(١٦)

«بين ثنايا الابتسامات»

صديقنا شديد الخجل، يتردد كثيراً فى كل أمر يشرع فيه ولكن فى هذا الأمر بالذات كان لابد أن يتخذ من الخجل موقفاً ما، وبالفعل، بعد ليلة ليلاء وجهد جهيد استطاع أن يقول ذاك اللفظ الذى عبّر فى فصاحة شديدة- رغم كونه لفظاً واحداً- عما يعتمل فى أعماقه، وبعد الحديث اكتسى وجهه بحمرة الخجل وتوقف لسانه عن الحركة فقد تحجرت الأعصاب وذهلت الألباب.

ورغم هذا الموقف العصيب إلا أن الفرج قد أتى فراحت أعصابه تلين من جديد وعقله يرجع إلى حيث كان- وهكذا بدت الخطوة الأخيرة تلوح فقد كان لابد أن يتقدم لينال المراد ويحقق الأمل ولكن كعادته لم يفارقه الخجل واحتار فى أمره خاصة أنه وحيد تماماً كتلك الورقة التى قذف بها الخريف إلى الأرض،ولم يجد بد من أن يتجه إلى صديقه الوفى الذى أسر له من قبل بالسر العظيم فرد الصديق

بصوت الفيلسوف: سنذهب سوياً ولتكن جاهزاً بما يعمر الجيوب، ولم يتردد صاحبنا فذهب إلى حيث يقطن وجاء فى الموعد المحدد بما يملك من مفاتيح وضعها كلها في جيب واحد يطرق بها باب المراد وسار الصديقان- كان صاحبنا يربت على كتف الصديق الحميم بينما الأخير ينظر بعين الخبير المطمئن حتى جاء المكان وتوقف الزمان إذ فاق صاحبنا على شيء بسيط، طعنة سكين هتكت التامور ودلفت إلى النخاع حيث استخلصت الحياة، ولم يترك صاحبنا سوى بعض الدماء المتجلطة وجسداً يستحيل إلى ما يحمله الآن وربما خلّف ذلك فقط ليثبت بشريته، انكب الصديق على الجيوب وأخرج إلى الوجود ما كانت به الجيوب وكانت عشرة جنيهات، فنظر إلى السكين والمسكين، دس الجنيهات فى جيبه ثم مضى تاركاً صاحبنا يحلم بشيء كان يظن أنه قريب بعد عدة أيام لم يتعجب المارة من وجود الأشلاء فقد ألّف الجميع مشهد الاشلاء الآدمية سواء فى الطبيعة أو عبر الأثير.

obeikandl.com

(١٧)
«المواجهة والنجاة»

الليلة أنجبت نصف قمر.. السماء ملبدة بالغيوم فيُحجب ضوءه تارة وأخرى تخلى سبيله.. الطريق الترابى المتعدد الألوان لا نهاية له، وقد حُفت ميامنه بشجر عتيق، أما الشمائل فتارة يرى حواءات وأخرى لا يرى أحداً البته.. تعجب مما هو فيه فتساءل: لماذا جئت إلى هذا الطريق؟ إلا أنه أهمل إجابة هذا السؤال فقد عقلت المفاجأة تفكيره.. حاول أن يلتفت إلى الخلف أو يدور على عقبيه وينطلق عائداً إلا أنه لم يستطع.. شعر أن شيئاً غريباً لا يفهمه، يدفعه بأن يواصل السير بهذا الطريق وكم أراد أن يعرف ما هو هذا الشىء؟ شعر على حين غره برغبة عنيفة تكتسحه تحثه أن يسبر غور مجهول اليسار وعندما كان على وشك سمع صوت رياح تهز فروع الشجر فهدأ من هذا الصوت رغبته فى ما كان ينويه ولكن الشىء العجيب أنه أيضاً لم يستطع أن يتجه إلى ذلك اليمين.. وكأن كل هذا

أخذ يدفعه إلى مزيد من تحدى هذا الطريق.. تساءل عما يستطيع أن يفعله.. فى هذه اللحظة ود لويصل إلى نهاية الطريق ليستريح أو حتى يستعير البصر الحديدى فيرى العمق الآخر من كل ما يرى.. فجأة انتهت صفوف الأشجار ثم يسمع خرير ماء.. فغر فاه غير مصدق.. تساءل: النيل؟!! اختفى النيل بعد برهة وعادت الأشجار.

هكذا تراكمت الاسئلة فراح غير مهتم بكل ما يحدث مهما كان.. أخذ يدق الطريق بقدميه فى قوة متحدياً إياه.. أجبرته الظروف إذن أن ينصت علّه يستخلص من الأصداء شيئاً ما فلم يسمع شيئاً.. فلما أرهف السمع سمع صوت ارتطام قدميه بالأرض ذلك الارتطام الذى أخذ يماثل دقات الساعة.. عندما أتاه هذا التشبيه تذكر موعد من مواعيده التى كان يعزم عليها.. تساءل: كيف استطيع أن أنسى هذا الموعد؟ انه هام جداً.. أطلق رفرة أسى لاعناً نفسه.. صمم أن يتقدم إلى موعده.. إلا أن الخوف الغامض اكتسحه.. فأخذ يلتمس شيئاً يفك به كل ما حوله من أسرار فى هذه المرة كان شيئاً ما غير عادى إذ أن الصوت الذى اعتاده اختلف فى إيقاعه فصار يسمع صوتين.. أبطأ من سيره فإذا بالأصوات تبطء من حدتها.. ها هو يدرك أن ثمة شخصاً خلفه وله بالمرصاد.. كيف إذن يتملص من هذا؟ يجب أن يجرى..

openkanal.com

أخذ يعدو وأذنه ترهف السمع فتصاعدت أصوات عنيفة مطارده.. تنافست أنفاسه.. هتف.. كان من الممكن تلافى كل هذا لولا كل هذا الانتظار.. ها هو يرى ضباب.. تساءل فى غضب: أأنا فى حاجة إلى هذا الضباب الآن؟ لا.. إنه دخان.. لم أعد أستطيع أن أعدو.. لقد اختار اللحظة المناسبة للهجوم إذن.. يجب أن أرجع. كيف؟ لم يعد للرجوع من سبيل.. ان الدخان يكاد يختفى.. أدار رأسه فإذا بنصل حاد يلتمع فى الضوء هنا أدرك ألا مناص.

استجمع كل ما لديه من قوة وأوقف نفسه.. إنه الآن يحتاج إلى شجاعة.. أوقف أنفاسه.. استجمع طاقاته.. دار على عقبيه.. تواجهوا.. هو وهما.. ظله وهو.

(١٨)
نداء الغريزة

اعتاد دوماً أن يجلس بين الأحبة والأصحاب يجتر الذكريات ويقتلع الضحكات وهو شاب فى العقد الثانى من حياته. عيناه السوداوان يستقر بهما الهدوء وقلة الحياة وخصلات شعره نصف المجعدة قد تتهاوى على جبهته الملساء فيرفعها بأصابعه فى حركة روتينية اتصل اليوم بأصدقائه الذين دعوه إلى شقة أحدهم أيان الغروب وقبلها بثلاث ساعات كان يقف أمام المرآة يتحسس بأنامله بشرته وقد ترك لحيته على غير هدى عن عمد وكذا شاربه ولا يعلم هو لماذا يجد سعاددة فى ذلك ثم أقر عوينات سوداء على عينيه أزادت من الأشجار بعدم الاكتراث بكل ما حوله حتى إذا ما استدار وكاد أن يخرج رجع إلى مرآته وأعمل أنامله فى شعره فزاد من شعثه عن عمد أيضاً ثم خرج كان عليه أن يذهب إلى حيث يذهب كل

obeikandi.com

ثلاثاء فى مثل هذا الحين.. عندما ولج إلى المكان رآها تجلس فى المائدة الخاصة لهما وجلس دون أن ينبس بكلمة وكذا هى ثم اطلق أنامله تصنع أصواتاً اثر اعمالها بوجه المائدة، ظل السكون مسيطر على كل شىء بينهما.

حك ذقنه ذات الشوك الدقيق وأخذ يتحدث مع نفسه: لقد آن الأوان.. كانت ولكنه لم يكمل وأنصمت لحظة وقال: سأجعلها تدفع الثمن.. خلع عن عينيه العوينات ووضعها بكثيرمن الرفق على سطح المنضدة وقال: لماذا لا تتحدثين:

غاصت بوجهها فى الأرض ثم رفعت عينيها إليه وقالت: اننى لا أجد ما أقوله فرد بعد أن دار ببصره حوله: قاموس العشق قد انتهى؟

ظهر كأنها تبتسم إذ انفرجت شفتاها عن شبح ابتسامة ساخرة وقالت: هل تعلم ماذا أريد؟

وعلى الفور نظر إليها وقال: أريد أن أتحدث معك؟ ليس هنا فردت: أين إذن؟

فنظر إليها مرة أخرى بهدوء شديد وقال: بالشقة.

فتساءلت: لماذا؟

فلاحقها: أود أن أقول لك شيئاً ما؟

على الفور ظهرت سحائب القلق فى مقلتيها.. فلاحقه وقال: تشكين بى؟!!

فقالت بعد لحظة صمت: لا.. بالطبع لا..

فاتجهت يداه إلى يديها وقال: هيا.. إن الأمر خطير، ظهرت أمارات الدهشة على وجهها وقالت: إنك تطلب هذا منى لأول مرة؟ فقال على الفور: أنت تعلمين أننى حر.. وأنت حرة.. أنا أحبك وانت تحبينى كل ما أوده هو الحديث معك بعيداً عن العيون وبعيداً عن البشر، هذا حقنا.. أنت وأنا- أم لا ترضين؟

وقبل أن ترد لاحقها: لقد اعتدت منك القوة والصلابة والدفاع عن حريتك بماذا تردين الآن؟

صممت لحظة وقالت: ماذا تريد؟

فرد بعد ابتسامة: ستعلمين عندما نكون بمفردنا.

ضحكت ثم قالت: إن كنت تُصر فهيا.

بعد لحظات كانا يسيران على قارعة الطريق.. كانت همهمات القلق تدب فى قلبها ولكنها كانت تريد أن تعرف ماذا يريد، هى تثق

openkandil.com

فى حبه لها وهذا هو العاصم كان يعلم كيف يستدرجها لقد عزف على وتر الحرية والمرأة اللذين استبدا بها حتى إنه علم أن مفتاح سلوكياتها يقع تحت هذا البند.. بند الحرية التى تريدها وتحرص عليها وبند التحدى منها لكل شىء حتى وإن عرضها لأمور قد تشك فى سلامتها.

كان يعلم أن أهل الدار بعيداً عنها هذا اليوم كاملاً لهذا لم يجد صعوبة فى شق طريق معها إلى حيث باب الدار، أعمل المفتاح فى القفل، فانفلق شقيه وفتح الباب ودعاها إلى الدخول ففعلت ثم أغلق الباب.

تقدم بها عدة خطوات حتى وصلا إلى الصالون وجلسا متقابلين.. ومرة أخرى عادا إلى الصمت.. بعد لحظات قام واقترب منها وأمسك بيدها.. فقامت واقترب منها أخذ يحدق فى ملامحها كأنه أول مرة يراها فيها.. رأى عينيها البنيتين الصافتين وشعرها الحريرى المتهدل الذى يغطى جبهتها وتتناثر أطرافه على عينيها رأى وجهها الجميل.. وعض على شفتيه ثم رجع خطوتين ودار على عقبيه كان من الواضح أنه فى صراع فهو بين أمرين.. وقد أدركت هى ذلك فاتجهت إليه

وهمست: ما بك؟

وكانت المفاجأة غريبة إذ دارعلى عقبيه سريعاً واحتواها بين يديه وأخذ ينهل منها القبلات ولأول وهلة صدمتها غيبوبة الصدمة فراح صوته إلى غياهب الكتمان.. شعرت أن صوتها يصدرمن حنجرتها المشنوق بحبل المفاجأة، وبدلاً من أن يمزق المكون كان يُقبر فى صدرها.

تمالكت نفسها وجمعت كل ما أوتيت من قوة فى ساعديها ودفعته فتراجع خطوتين ولاذت بالمنضدة الرخامية الكبيرة صاحت ماذا تريد يا مجنون؟ فرد فى صوت متقطع لاهث: أنت تعلمين ماذا أريد؟

فبكت وقالت: أنت مجنون، فضحك ضحكة هيستيرية وقال: نعم أنا مجنون.. مجنون بالحب.. شق صوتها طريق وسط العبرات: وما الحب فى نظرك؟ فصرخ فيها: كلكم ابتعدوا عنى.. كلكم تنأون عنى.. ماذا فعلت لك لكى تتركينى؟!

أمى وأبى منصرفان عنى منذ زمن طويل.. كل فرد منهما فى عالمه الخاص.. لا أحد يهتم بى.. كل أصدقائى يتندرون عليّ.. هل لأنى لا أمارس مثلهم الدعارة؟هل لاننى لا أحظى باهتمام الفتيات؟ هل لأننى لست فى مثل جمالهم؟ ماذا أفعل لكى ترونى بينكم؟

وأنت.. أنا يا من تدعين العفاف والطهر وتبكين لأننى أردت أن... ويصمت لحظة ثم يعاود الثورة، أنت.. ألست تحبين شريف...؟ لا تحاولى الانكار.. لقد قال كل شىء كان هذا بالخميس الماضى.. الأصدقاء كلهم كانوا يعلمون أننى وأنت نحب بعضنا البعض وجاء شريف وقص علينا جميعاً كل شىء، لقد قبلك ياحبيبتى بل... بل...

وجاء صوتها.. اننى عذراء، فضحك مرة أخرى ضحكة هيستيرية وقال: وما فائدة العذرية ان كانت تحمل مجرد وجود ورقة فى مهب الرياح؟

أنك لم تحبينى يوماً ما؟ لقد كنت تسليتك.. هذه هى الحقيقة.. هذه هى الحقيقة والآن تستكثرين عليّ أن أقبلك.. بالطبع أنا لست مثل شريف.. آه لو كنت تعلمين ماذا أريد أن أفعل بك؟ كان يصف للجميع شعوره معك.. هو بالطبع لم يكن يعلم قصتى معك ولكن الجميع كان يعرف ولم يستطع أحد أن يقول له كف عن حديثك ان العاهرة حبيبة هذا الجالس بجانبك.. لقد أصبحت حديث الألسنة.. وأنا معك.. كيف أسلمت له نفسك؟ كيف رضيت له بأن يحتوى جسدك؟ هل رخصت إلى هذه الدرجة؟

باسم الحب كان كل هذا؟ أليس كذلك، الحب عندك هو الجنس

واللذة؟ وان كان كذلك لماذا تبخلين بهما عليّ؟

فصرخت: أنت مجنون؟

فقال: نعم أنا مجنون لأننى لا أعجبك لأننى لست من أصحاب عيون قوس قزح.. ملامحى ليست أجنبية.. وقلبى لك لم يبعث اللذة فى نفسك.. اعذرينى يا حبيبتى.. اعذرينى لأن خبرتى فى هذا المجال قليلة، اعذرينى وعلمينى.. علمينى كيف أكون قذر.. وكيف أُقبل المرأة وكيف وكيف.. ومرة أخرى قالت: أنت مجنون.

فقال: نعم أنا مجنون ولكنى لن أتركك.

فقالت: هل تريد فتاة رغماً عنها؟

سقطت الكلمة على رأسه كالصاعقة وردد فى نفسه.. رغماً عنها.. أى أنك مثلهم لا تريدينى.. اخرجى.. اخرجى ولا أراك بعدها، وكأنها أمسكت الفرصة وفى غضون لحظات كانت خارج الدار.. أما هو فقد تهاوى على المقعد وقد تلاحقت أنفاسه وما كاد أن يستريح الا ومزق رنين المسرة السكون فقام وقال: حاضر سأتى فوراً.. وبالطبع كانت المكالمة من أحد الأصدقاء بدعوة إلى الجميع الذين يريدون رؤيته حتى تبدأ السهرة.

اتجه إلى مرآته أعدل أمامها هندامه انطلق إلى الخارج بعد أن

أعمل يده فى شعره كعادته وأغلق الباب وانحدر عبر السلالم الرخامية حتى كان أن يخرج فقابله خارجاً من الدور الأول شاب سرعان ما ابتسم وتصافح الصديقان فقال صاحبنا للشاب: أين أنت هذه المدة فرد الشاب: اننا جيران وقد كنا أصدقاء ورغم ذلك لم أعد أراك ماذا حدث؟

فرد: لا شىء.. أمور الدنيا.. فضحك الشاب صاحب الوجه النورانى والعينين الزرقاوين والشعر الأصفر القصير: وهل تُغنيك الدنيا عن الآخرة.. اننى اتجه الآن إلى المسجد للصلاة إن شاء الله.. لماذا لا تحضر معى؟

وعلى الفور رد صاحبنا ولكن هناك موعد هام تماماً الآن، سيسامحنى الله فرد الشاب: اسمع كلامى ما أجمل أن تخرج إلى المسجد قاصداً الصلاة ومرة أخرى قال صاحبنا: معذرة ان هذا الموعد هام جداً، فصمت الشاب وقال: كنت أريدك معنا.. عامة حاول أن تستيقظ لصلاة الفجر وتقرأ معنا القرآن.. حتى الشروق إن المسجد قريب قريب جداً ربت صاحبنا على كتفه وقال: إن شاء الله ثم أستأذن وانصرف.. بعد ربع ساعة كان صاحبنا يدق باب الأصدقاء وبعد دقائق كان بينهم ومرت نصف ساعة ولا أحد يضحك وقداستنفذ الوقت فى مناقشات جانبية.. أحدهم أخذ يشير بعض الإشارات إلى

آخرين فأخذوا يضحكون ثم واجهوا صاحبنا وقال أحدهم: ماهى آخر مغامراتك يا قيصر الغرام؟ تكهرب الجو لحظة ثم عاودوا الضحك منتظرين إجابة ولكنه قال فى هدوء: لا أعرف يا بروتس، فضحكوا جميعاً وقال نفس المتحدث: هل أنت خاجل يا عطيل؟

ورد بعد لحظة غيظ مكبوت بالطبع كلا، مرة أخرى ضحكوا وقال نفس الشخص: يا لها من ديدمونة.. ولكن فى حالة عطيل القرن العشرين ديدمونة خائنة حقاً.. وليتها خائنة فقط أننا الآن كلنا نعلم حنايا جسدها الجميل بل وبعض العلامات المميزة أيضا، كادت الدموع أن تغرق بين جفينه واستجمع قواه وقال فى صوت كسير: لماذا تقول هذا؟ انك تكرهنى ومرت لحظة صمت كانت قوتها من ضجيج الرعد وقوته تبادلوا جميعاً فيها النظرات معه ومرة أخرى قال الشخص: إننى لا أكرهك لشخصك ولكن أكره فيك شعورك بأنك مرغوب ولكن الحقيقة أنك منبوذ.. نعم منبوذ.. لو كنت اعترفت بذلك من البداية لكنا جميعاً معك نساعدك وندخلك فى دائرات الفتيات.. ولكنك أبلة.. تحسب أنك تستطيع خداعنا.. ان الحقيقة أنك لا شىء.

فى البداية أردت أن تسيطر على الجميع بالقراءات ولكن كل هذا ليس مفيد لأن هذا الجانب لا يهمنا ولن يهمنا، ثم أخذت تغير من هندامك وشكلك حتى تلفت نظر الجميع وكنا جميعاً نرى ذلك ونضحك لأنك فاشل فى ذلك أيضاً وعندما أردت أن تجرب حظك مع الفتيات صادتك عاهرة وتحولت فى النهاية إلى اضحوكة وأراجوز.

صرخ وقال: كلا.. أنا لست أراجوزاً.. لقد قرأت لأننى كنت أريد أن أعرف، أعرف من أنا ولماذا أعيش؟ قرأت عن الحب وقرأت عن القصص الأدبية العاطفية إن الحب هو الجنس كما قرأت الأدب صوّر أن الرجل هو الذكر وأن المرأة هى الأنثى وقد كنت خائباً فى اجتذاب الأنثى.. إننى أعترف أننى لا شىء لا أحد يهتم بى ولكنى قط لم أكن أراجوزاً. وإن كانت اللحظة لحظة اعترافات فإننى أود أن أقول رأيى فيكم: أنتم أيضاً لا شىء، سرعان ما ارتفعت الضحكات ساخرة منه ولكنه مرة أخرى صرخ: أنتم لا شىء وسأثبت لنفسى يوماً أننى أفضل منكم جميعاً.. جميعاً.. يخرج وهو يحبس دموعه بين جفنيه وصوت الضحكات يمزق أذنيه وكبريائه.. خرج هائماً لا يلوى على شىء وتساءل ماذا يفعل؟ وساقته قدماه إلى النيل، ارتكز بيده على

سور إحدى الكبارى وهو يحدق بمياه النيل السوداء، سقطت من بين جفنيه هذه المرة قطرتان امتزجتا مع مياه النيل الداكنة ثم أولى النيل ظهره واسنده إلى السور الحديدى ثم أخذ نفساً عميقاً ملأ به رئتيه وأخذ يتحدث.. كان يود أن يحدث أحداً ما ولكن شاءت ارادته الا يتحدث مع أحد ثم أخذ يهمس إلى نفسه: ماذا أستطيع أن أفعل؟ كيف أثبت للرعاع أننى أفوقهم؟ هل الذنب ذنبى؟

اننى مرعوب.. استطيع أن أحب وأن أمارس الجنس مع من أحب، الحب حرية والحياة حرية إذن يجب أن...

وهنا رأى من يمر من أمامه.. كانت آية من آيات الجمال.. عينان خضراوان شعر مهدل بلون الذهب.. جسد فاتن لم ير مثله من قبل.. اهتاج غروره وصرخ: فلأجرب لن أخسر شىء.. كانت تسير بمفردها وقدعقدت يديها فوق صدرها.. أخذ يسير خلفها، ويطلق من فمه صفارة لنغم غير معروف ربما يكون من تأليفه هو.. زادت سرعته حتى أصبح بجانبها تماماً ولاحظت هى ذلك واستمر الحال حوالى الدقيقة فتوقفت فتوقف فعاودت السير فعاد السير ساعتها قالت فى إنجليزية صحيحة: ماذا تريد: وفوجئ بهذا الذى حدث.. أجنبية؟!

وبالكاد عرف بماذا تحدثت فقال فى انجليزية ركيكة: هل تتحدثين العربية؟ فردت: نعم بصعوبة، فقال: إنك جميلة، فضحكت ملء شدقيها وقالت: أنت أيضاً، لم يصدق نفسه، وقال فى نفسه: هذه الأجنبية الفاتنة تقول عنى أنا أننى جميل؟ ما هذا الذى أسمع؟ إنه حلم واستجمع قواه وقال: إنك تعجبينى ومرة أخرى قالت: أنت أيضاً. وصرخ فى نفسه: يا رب السماوات.. ما هذا؟ إننى أُعجبك اننى أعجبها ثم دعاها إلى الجلوس فى مكان هادئ فوافقت على الفور ومرت ساعتان بعدها كانا يمشيان ومتأبطان ذراع بعضهما البعض وعند منطقة هادئة وقفا وقال لها: أحبك، لم تتحدث لأول وهلة وإنما قبلته قبلة عميقة استفاق من نشوتها بعد دقائق، قالت: وأنا أحببتك.

زفرة زفة عميقة ونظر إليها نظرة ذات معنى فقالت له بعد أن ابتسمت انى أدعوك إلى بيتى الآن، تذكر صاحبنا إحدى القصص التى قرأها وكانت تطابق حالته تماماً، وبالطبع وافق على الفور، وإنجر معها إلى فندق أخبرته أنها تقيم فيه مؤقتاً.. بعد قليل، انفردا ببعضهما البعض والوحدة ثالثهما.. بعد دقائق كانت أفخر أنواع

الخمور تُصب فى الكئوس ويزدرداها.. وفى يم الخمر تذكر إحدى القصص التى قرأها وقد قرأ فيها أن الحبيب فى هذه الأحوال يجب أن يشرب حتى يثير إعجاب حواء، فأثنى كثيراً على الأدب لأول مرة فى حياته، بعد دقائق قليلة كان معها فى أمر آخر فى مثل هذه الحالات يموت العقل والوقت لهذا لم يشعر منذ أن كانت الساعة العاشرة بشىء حتى هذه اللحظة.

داهمته نوبة من القلق فأيقظته ووجد نفسه ساعتها ممداً على السرير وهو عارى تماماً وقد تبعثرت ملابسه فى كل مكان وزجاجة خمر على الأرض ملقاه وبجانبهخا كأسين فارغين.. شعر بدوار فظيع وتعجب فأين (هيلين) ولماذا هذا الضوء مُرسل الآن؟ نظر فى ساعة يده فوجدها الرابعة صباحاً، تعجب كيف يستيقظ فى مثل هذا الوقت الغريب، حاول أن ينام ولكن آلام رأسه لم تعط له الفرصة فقام وارتدى بعض ملابسه واتجه إلى الحمام حيث غسل رأسه بالماء الدافئ.

ساعتها شعر بقليل جداً من الانتعاش، جلس إلى حافة السرير ودار ببصره إلى كل ماحوله حتى وقعت عيناه على ورقة بجانبه، كانت ورقة بيضاء كُتب عليها بخط أسود نسائى رقيق كلمات هى:

(أهلاً بك فى أسرة الإيدز يا مغفل)، ساعتها إنهار انهياراً فظيعاً.. كيف ذلك، إيدز؟ موت؟ إنه كان يريد أن يثبت لنفسه أنه أفضل من الآخرين فقط.. مستحيل؟ لن يموت.. لن يموت هذه الميتة الشنعاء؟

إ ذن (هيلين) هذه.. ولكن كيف هذا وبهذه البساطة؟.. انقض على رجل الاستعلامات بالاسئلة فأخبره أن (الآنسة) فرانسواز قد رحلت من ساعة ونصف الساعة.. خرج متالك لا يلوى على شىء لقد ضاقت حياته.. اللعنة على الحب والأصدقاء.. اللعنة على كل شىء.. كل شىء.. كانت الدموع تنهمرمن عينيه فقد أيقن أن كل شىء قد ضاع.. ماذا بقى له؟ لقد أراد الجنس فوجده.. وأراد اللذة فأصابها وأراد الغرور فتحولت وسيلته إلى مقصلة.. ودخل إلى شارعه وكأنه يراه لأول مرة كانت الساعة الخمسة والنصف فى يوم من أيام شهر فبراير.. مر على قوم يتجالسون وسمع من وسط الدموع صمت جاره يتلو القرآن (إتلُ ما أُحِيَ إليك من الكِتابِ وأقمِ الصَّلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمُنكر ولذكرُ الله أكبرُ واللهُ يعلم ما تَصنعون) ساعتها افترش الغبراء واسند ظهره إلى بوابة البيت وأخذ يستمع ما يصل إليه من القرآن ويخترق حاجز الذهول والدموع وعندها وصل

إليه (وما يجحدُ بآياتنا إلا الظالمونَ، ثم أو لم يكفهم أنا أنزلناه عليك الكتاب يُتلى عليهمِ إن فى ذلك لرحمةً وذكرى لقوم يؤمنون). ساعتها داهمته موجة شديدة من البكاء ودفن وجهه بين يديه وعاود السمع فوصله: ﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾، ثم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾. صدق الله العظيم.

open-kandil.com

(١٩)
«الدمعة والطوفان»

سكون.. الليل لف النصف المائى برداء الظلام فتبعثرت النجوم وهلّ الهلال.. فى هذه اللحظة كان يخرج من وكر قذر فى مكان نائى عن العمران.. ملابسه رثة عجيبة عيناه تفيضان بوميض من الفزع من مجهول وملامحه تبعث القلق فى النفوس، أغلق الباب فأحدث الصرير المكتوم.. أخذ يسير على غير هدى.. عيناه تجوبان الأمكنة ويداه تستعدان للانقضاض على أى شىء.. أخذته قدماه إلى طرق وعرة فها هو شطر المقابر، القى نظرة عابرة على تلك الأطلال ورغم أن الطريق كان معلوماً لديه إلا أنه فوجئ بمن يطلب منه ماله ولم يعلم ماذا يمكن أن يفعل؟ أدرك أن صراعاً لن يلبث أن يقع ولم تمر سوى بعض الدقائق حتى صار الآخر طريح الأرض مقتولاً، لم يأبه بما فعل، وعندما رأى أول ثغرة فى الأطلال سدها بجسد قاطع الطريق واستمر فى سيره.. عندما خرج إلى قارعة الطريق رأى الدم المتجلط

obeikandl.com

على ديه فعقد يديه خلف ظهره ومشى حتى النيل فغمس يديه فى النيل.

أخيراً وصل إلى هدفه.. وقف ينظر إلى كل الاتجاهات وها هو تأكد أنه فى أمان.. وضع يده فى جيبه فى ثقة وولج باب المنزل فى يسر ثم صعد دون أن يصدر حركة حتى وقف أمام بيت معين، أخرج يده من جيبه ودسها فى آخر فبزغت بمفتاح لامع.. فأولجه إلي القفل وفتح الباب ثم أخرج المفتاح وأغلق الباب دون أن يصدر صوت.. سار بالشقة التى يعلمها جيداً فى الظلام الحالك واجتاز خمسة أمتار بحرص وصعوبة ثم عرج إلى حجرة بعينها، وعلى أشلاء الضوء المنبعث من مصباح صغير فى نهاية الدار أبصر كل شىء كالأشباح فلم يكن هذا الضوء من قبل ولكن بعد لحظات أدركه.. ومد بصره إلى الحجرة فوجد ما توقع.. وجد امرأة لا يستطيع أن يحدد ملامحها مسجاه على سرير حريرى قد لاصق آخر صغير لا يعرف ماذا به.

فى ثوانى عرف طريق عمله فاتجه إلى الدولاب وفتح شقيه وأعمل يده فى محتوياته فخرجت بما خف وزنه وثقل ثمنه وعندئذ أراد الخروج فقد أنجز المهمة، لم يكن يعلم ماذا حدث فقد اكتسحته موجة من الارتباك فأحدث ذلك صوت لارتطامه بأحد المقاعد فتنبهت المرأة

المسجاة، فى هذه اللحظة كان عليه أن يُكمل فانقض عليها وكبت أنفاسها بمنديل مُندى فغابت عن الوعى واستقامت قامته واطمئن، ارتطم بالسرير الصغير فإذا بصوت يمزق سكون الليل.. صوت طفل رضيع.. انزعج شعر أن الأرض تخور تحت قدميه.. لابد أن يصمت هذا الصوت، كان قد أدرك ألا خوف من السيدة فاتجه إلى مفتاح الكهرباء فأنبعث الضوء وعلى متنه رأس الطفل الرضيع.. كانت عيناه الباكيتان بريئتان ووجه الطفولى يُشعر بالراحة.. ولكن صوته ارتفع وأخذت يداه ورجلاه تضربان وتركلان الهواء فى حركات طفولية.

انقض الرجل على المهد وضع يده على فم الطفل عله يسكت الا أن بعد برهة ارتفع الصوت أكثر وأكثر، فكر أن يترك الوليد ويفر ولكن هذا الازعاج قد يسبب له مصاعب عديدة.. كان الوقت حرج وقصير ويجب أن يتصرف بسرعة.. أخرج سلاحه من جيب بصدره وقربه من عنق الطفل مريداً سفح حنجرته.. وما أن حدث حتى ازداد صوت البكاء ارتفاعاً وازداد اقتراب حد السلاح من عنق الطفل.

مرت لحظة عصيبة لم تكن تعنى له اللحظة الا جزة صغيرة وينتهى الأمر ولكن شعر أن ثمة هائلاً يحول بينه وبين ما يريد.. مرت لحظة ميلاد جديد ووضع الرجل السلاح فى مكانه وقد أدرك أنه لن

يستطيع أن يسفح هذا الطفل كما فعل بذلك الرجل.. رغم ذلك الا أنه لم يكن ليخرج دون أن يصمت الطفل.

الثوانى تمر والصوت يمزق الليل والأم المسجاة فاقدة الوعى ستصحوا عما قريب لم يعد أمامه من حل آخر.. ربما لا يستطيع ذبحه ولكن يستطيع خنقه وإعدام الصوت فى جوفه وتفرقت الأنامل متجهة نحو الرضيع وانعدمت المسافة ولاصقت الأنامل العنق الرقيق.

فى هذه اللحظة هوت دمعة من دموع الطفل على يديه فخارت قوة يديه فابتعد عنه وأخذ يحدق تلك الدمعة الساخنة التى ردت بذرة كادت أن تموت بأعماقه.. اتجه إلى الرضيع وحمله بين يديه لم يكن يعلم ماذا يريد ولماذا يفعل هذا.. شعر أن ثمة خيطاً أثيرياً قد نُسج بين قلبه وبين قلب هذا الطفل.. أخذ يضمه الى صدره وكأنه لا يدرى ماذا يفعل فهى المرة الأولى التى يضم فيها إنساناً مثل هذا الإنسان الذى لا حول له ولا قوة.

أخذ يضحك صامتاً ولا يعرف لذلك سبباً- شعر أن عينيه تومضان ببريق من حب ثم أخذ يهز الرضيع بيديه المنغمسة فى النيل عما قليل وكم كانت مفاجآته لقد صمت الطفل.

حدق فى هذا الطفل الغريب فرأى عينين لم يراهما من قبل

وكم كان عقاب الطفل له رهيباً عندما ابتسم ابتسامة طفولية بريئة عظيمة، فوجد نفسه يضحك ويبكى ثم مرت دقيقة مثمرة فوجد الطفل قد راح فى سبات عميق.. قرّبه من نفسه وكأنه يرى شيئاً غريباً لم يره من قبل ثم قبلّه بكل ما أوتى من حنان هو ذاته لم يكن يعلم أنه به، نقل الطفل إلى المهد وغطاه بفراشه الأبيض الناصع ثم وضع بجانبه كل ما أودع من قبل جيبه. ألقى نظرة أخيرة على كل شىء وضغط ضاغط الكهرباء، خرج يُقبل موضع الدمعة.

operkandl.com

(٢٠)
(موقف)

لقد أنهكه التعب طوال هذا اليوم وأخيراً وصل إلى المنزل الذى يعلو الأرض بخمسة طوابق ويصله إليه عدة عشرات من السلالم الرخامية، وأدار مفتاحه فى الباب فى بطء وتثاقل وولج إلى المنزل وقد أطلق زفيراً طويلاً أسند جسده إلى الباب المغلق وأخذ يغالب النوم، بعد لحظات ولج إلى حجرته حيث استبدل ملابسه ثم إلى الحمام حيث اغتسل بالماء الدافئ الذى يبعث فى ثنايا الجسم الاسترخاء والكسل، ها هو يجلس أخيراً فى صحن المنزل وقد أصبح على استعداد تام لكى ينام فكل منطقة فى جسده تطلب الراحة وخاصة رأسه التى يمزقها الصداع، فى خطوات بطيئة وصل إلى حجرته الخاصة ومنها إلى السرير الوثير ها هو يستلقى كما لم يستلقِ من قبل وأولى تباشير النوم تبدو فى الظلام.. فجأة مزق ذاك السكوت الرهيب رنين جرس شقته.. لم يقم ظناً أن ما سمعه مجرد هاجس من هواجس ما قبل

obeikandi.com

النوم عاد من قفزته التى اعتلى بها السرير إلى مكانه الأصلى تحت الفراش، مرة أخرى سمع الرنين الحاد وفى هذه المرة تبين أن ثمة جرساً حقيقياً، ومن ثم لابد له أن يعرف ماذا يحدث؟

أزال عن جسده الفراش الدافئ وخرج وعيناه مفتوحتان نصف فتحة ويداه تتحسسان طريقهما، أخيراً وبعد جهد جهيد وصل إلى الباب وضغط ضاغط النور فانتشر فى سرعته الرهيبة فشعر أن عينيه تؤلمانه ولما اعتاد الضوء فتح الباب، وجد رجلاً طويلاً.. أنيق جداً.. أصلع بعض الصلع عيناه بهما وميض غريب شاربه رمادى كث وشعره أشيب وملامحه طبيعية تبعث فى من يراها الحزن والشفقة.. تردد صاحبنا فى الحديث فهو لم ير هذا الشخص مرة واحدة فى حياته إلا أنه قال: من حضرتك؟

الرجل لم يرد وإنما دفع الباب وقد أخذ يثبت نظراته الحزينة الفولاذية إلى عينى صاحبنا وبالفعل ولج من الباب الى الداخل واستقر فى صحن المنزل وجلس مطلقاً زفرة حزينة، تعجب صاحبنا أشد العجب، أغلق الباب فى اندهاش واتجه إلى الرجل وقال: من حضرتك: رفع الرجل بصره إلى صاحبنا ولم يتحدث وبعدها أخفض النظر مرة أخرى، جلس صاحبنا إلى جانبه وهو ينظر إليه إلا أنه لم

opeikandi.com

يسترح إلى ذلك الموقف فجلس مواجهاً إياه.. وقد أخذ يمعن النظر إليه استمرت النظرات لحظات طويلة دون أن ينبس أحدهما بكلمة. فى النهاية لم يطق صاحبنا أى مما حدث وقال: من حضرتك؟ ولكن فى هذه المرة لم يتجه حتى الرجل إلى صاحبنا ببصره وإنما قال فى صوت عميق حزين: قم وعد الشاى؟

ثار صاحبنا وصاح حانقاً: ماذا تريد؟ ومن أنت؟ هل قطعت المسافة إلى هنا من أى مكان حتى لو كان من الجحيم لتشرب الشاى؟!

لم يتحدث الرجل وإنما أعاد فى بطء مطلبه: اذهب وأعد الشاى.

- اللعنة عليّ وعلى الشاى.. ماذا تريد؟

- الشاى.

- سأتصل بالبوليس.

- أولاً أعد الشاى، إن الأمر جد خطير ولن يضبط الكلمات سوى الشاى.

- هل الشاى هو الذى يفك عقدة لسانك؟!

- الشاى يا بنى، إنها مسألة جادة قد تصل إلى حد الدماء.

- إذن سأذهب إلى المطبخ لأعرف ذاك الشىء الرهيب.. واللعنة على الشاى، ولكن لن أشرب هذا الشاى أقسم لن أشربه اننى أكاد أجن إن الصداع يقتلنى.

لم يتحدث الرجل وذهب صاحبنا يلعنه ويلعن كل شىء، إن رأسه تكاد أن تنفجر مرت ربع ساعة وهو فى حيرة من أمره ولكن على أى حال فقد أعد الشاى وها هو يجلبه إليه.

- الشاى..

ويبدأ الرجل فى رشف الشاى.

ألا تتحدث؟

- عندما يرشف المرء الشاى يجب أن يصمت لا يستطيع إنسان أن يفعل شيئين فى وقت واحد.

- ولكن.

- لا لكن دعنى أشرب الشاى فى هدوء أرجوك.. وصبر صاحبنا حتى انتهى الرجل من رشف الرشفة الأخيرة ثم وضع القدح على المنضدة ولم يتحدث.

ها أنت قد شربت ألا تتحدث إذن؟

- يجب أن تعيد الشاى إلى مكانه والاقداح إلى مكانها والسكر إلى مكانه هيا يبدو أنك شديد الكسل.

نظر صاحبنا إليه نظرة حانقة ونهض وغاب دقيقة فى الداخل فلما جاء وجد الرجل قد خلع نعليه ووضعهما على المنضدة..

openkanadi.com

فاندهش وقال ما هذا؟

ورد الرجل: بعد الشاى لابد من أن يحدث هذا؟

- بعد الشاى تضع الحذاء على المنضدة؟

- نعم.. أرجوك أنا أريد هدوء.

- أنا الذى أريد الهدوء.. أريد النوم.. أُقبّل يدك وقدمك أتكلم أو...؟

ولكن الرجل نظر إلى ساعته وقال فى هدوء وبرود: إن الوقت ليس وقت تقبيل حذاء أو قدم يا بنى...

- ورغم ذلك سأفعل ولكن تكلم.

- ماذا تريدنى أن أتكلم؟

- يبدو أن موتى قد قرب.. ألست أنت الذى أتيت؟

- نعم.

- إذن تحدث فى شأن حضورك.

- أنا لست دكتاتوراً يا بنى حدد أنت اتجاه الحديث.

- يا رب السماوات.. أنا لا أريد الحديث عن شىء مطلقاً.. وان لم تكن تريد التحدث إذن فاذهب.

- اتطردنى؟ يا لها من أخلاق.. ولكن أعلم أننى لم أجئ ظالماً أو

obeikandi.com

متطفلاً لقد جئت لشىء هاماً، بل هام جداً، ربما يصل إلى حد الموت.

- إذن أرجوك تحدث به.

- ولكن ألا تعلم أن لكل شىء بداية.. تمهيد؟

- الهام أن تعرف ماذا تريد.. ولتمهد كما تشاء.

- إذن فقد تركت لى دفة الأمور لأمهد ولأتحدث كما أشاء.

- أقسم نعم ولكن الهام أن تتحدث أن تنير ذهنى الغبى بما يعتمل فى ذهنك الرهيب.. بأن تصارحنى.. أرجوك

- إذن لنبدأ البداية الصحيحة.. تحدث معى إذن ولتحب بصراحة لماذا لا نهاجر إلى كوكب بلوتو؟

وقام صاحبنا داقاً الأرض وقد صاح: يا رب السماوات والأرض ثم اتجه إلى الرجل.. هل جئت إليّ فى ذلك الوقت لتناقشنى فى مشكلة الرحيل إلى كوكب بلوتو؟ أنت مخبول.. أرجوك.. ماذا تريد؟

ورد الرجل فى صوت به مسحة من الألم، أنا مخبول.. أنت يا سيدى الذي لا تفهمنى.. لقد قلت كثيراً أن ما جئت لك فيه أمر.

وتحدث صاحبنا: أمرصعب وقد يصل إلى الموت، أقسم أننى قد فهمت ولكن الآن أريد أن أعرف دون تمهيد هذا الأمر المغضى إلى الموت.

- إذن لن أحدثك عن الفلك والكواكب تبدو أنك لا تريد الحديث فى هذه الموضوعات المصيرية.. أنت يا فتى من أولئك الذين يسمحون للغير بأن يسحبونهم.. إنك كالبقرة يا سيدى.. لابد أن يسحبك أحد ما وعندما أهديك إلى السبل وأصغ أمامك مشاكل الرحيل إلى كوكب مثل بلوتو تريد أن تتنصل من تفاهتك وبقريتك بالهروب إلى النوم.

وصاح صاحبنا: أبعد أن فتحت لك الباب وشربت أنت الشاى تقول إننى بقرة.. اسمع انها آخر كلمة.. تكلم وإلا الخروج.

- أنت الذى وضعت دفة الحديث بين يدى.. إذن عليك أن تُضحى.

- أنا سأصغى ولكن لأننى أكاد أقع مغشياً عليّ لأننى أريد أن أنام.

إذن سأتحدث فى الموضوع ولكن بعد التمهيد اللازم.. سنتحدث فى شأن مناسب، مثلاً تُرى لماذا آثر هتلر ذاك الشارب الغريب الشكل.. دون غيره من سائر الأشكال؟

وقفز مرة أخرى صاحبنا وقال: يا رب الجحيم والنار والجنة.. هل تتحدث معى عن شكل شارب هتلر.. إننى أكاد أن أقتلك..

- لديك الحق فى هذا فالشارب وشكله من الحريات الشخصية ولكن دعنى أوجه إليك سؤالاً هاماً: لماذا لا نعيش فى حب وسعادة؟

- لأول مرة تقول شىء استطيع الإجابة عليه.. لأن كل شىء له

نسبته والسعادة لى تختلف عن السعادة لك وهكذا ومنه لا تستطيع أن نضع مفهوماً عاماً للسعادة.

- والحب؟

- كلنا نحب.

- أنا لم أحب.

- لماذا؟

- لا أعرف لماذا؟ لقد أحببت مرة واحدة.. كنت أيامها بطور الشباب كان شعوراً غريباً أن أحب.. ومازالت استغرب هذا الشعور.. تساءلت: ما الحب؟ ولماذا نحب؟ إن ثمة معضلات كبيرة تقف فى وجوهنا مستعصية الحل ولكن الغريب فى الأمر.. هو أن هذه المعضلات هى التى تشكل ذواتنا وتحدد خطوط أعماقنا العريضة. ألست معى فى ذلك؟

- بالطبع ولكن لن استمر معك لأننى سأنام جالساً.

- لا يهم هذا.. لقد وجدت أخيراً ضالتى.. وجدت إنساناً يسمعنى.. أرجوك لابد لك أن تسمعنى.. اننى أتوق إلى ذلك.

- بوسعك أن تجدنى آذاناً صاغية إن أتيت بالغد.

- ومن يضمن لى أن للغد شروقاً وأنا لا أزال أتنفس أو أنت مثلاً..

من الممكن أن تموت تحت عجلات سيارة فارهة مسرعة.. أو حتى تتمزق تحت عجلات ترام.

- أرجوك كفى.. هل الحب هو ما تريد أن تتبين؟

- والاشتراكية.. ما رأيك فى الاشتراكية؟

- كلنا نشترك فى أنا بشر.

- الاشتراكية هى المرحلة الوسطية للوصول إلى الشيوعية، أليس كذلك؟ إذن لماذا لا نعتنق الشيوعية؟!

- والله..

- الله.. كلمة تشعر معها أنك أمام الله القادر على كل شىء.. كلمة تجعلك تشعر وببشريتك وهذه هى الحقيقة.

- وعظمتك وسموك لقد أمر الله الملائكة فسجدوا لآدم.

- ولكن ترى هل يسجدون لى؟

- أنت لست آدم..

- بالفعل.. ولكنى ابن آدم.. لماذا إذن لا يسجدون إلى ابن آدم؟

- الملائكة تسجد بأمر الله.

- ولماذا لا يأمرهم الله؟

- ليس هذا السؤال فى حدود قدراتى.. ثم أنك تتحدث فى أشياء

obeikandl.com

غريبة ماذا تريد؟

هل تعلم أنك وضعت يدك على الجرح العميق؟ لقد سألت السؤال الصعب ماذا تريد؟ يا له من سؤال.

هل هناك إنسان يريد، ولكن قبل ذلك هل هناك إنسان يعرف ماذا يريد؟ أما عن رغبته فهى موجودة ولكن لماذا يريد؟ هذا هو السؤال.. ولكن لماذا يريد ما أراد.. هذا هو السؤال المستحيل.. لو حدث ذلك لوجد الإنسان نفسه والمستحيل لا يلقى الحقيقة.

- لا مستحيل.

- لقد هُزم قائل هذه العبارة فى والترو.. يبدو أنه كان يعتقد أن المستحيل أن يُهزم الا أنه هُزم.

- نعم هذا دليل أنه لا مستحيل.

- بل إن المستحيلات كثيرة.. منها أن تعترف أنك قذر أو حقير- المستحيل هو أن يتخلى الإنسان عن غروره المزرى وأن يتحدى العالم ومن قبل العالم نفسه ويقول: لقد أخطأت، كثيرون يعلنون عن الخطأ ولكن فى قرارة أنفسهم يريدون الظهور بالشجاعة بل يريدون كسب حب الجماهير.. أيضاً كل هذا غرور. إن القوى هو أن يخطأ

ثم يتحدى نفسه ويهتف أمام الجميع أنه أخطأ وحتى لو لم يكن فى قرارة نفسه رغبة فى التماس الإعجاب فالناس ذاتهم سيعجبون به.. ربما لأنهم شعروا أنه فعل ما لم يستطيعوا أن يفعلوه، ولكن لابد أن يتواجد أيضاً من لا ينظرون إلى هذا أو ذاك وسيقولون أقاويل كثيرة.. يدينون إياه والعجيب أن بعض دائنيه قد فعلوا نفس الخطأ وربما أكثر وأعظم ولكن يحاسبون الآخرين كأنهم آلهة تاركين أنفسهم بغير حساب.. إنهم أشبه بالقاضى الذى يجهر بالعدالة ويُسر الظلم!!

- دعنى إذن أفتح موضوعاً..

- تفضل هذا ما أبغاه.

- ما رأيك فى النوم بعد التعب؟

ولكنك لا تستطيع أن تجزم بأن الإنسان أعلى الكائنات.. سمك القرش مثلاً.. يأكل الأسماك الأخرى الدون قوته بل يُهلك الإنسان.. الإنسان ليس قوياً ولكنه يمتلك العقل وبهذا العقل سيطر الإنسان على القرش وأمثاله، الإنسان الآن استطاع أن يضع آخر فى سجون ذات مساحات غريبة لا تسمح له بالنوم أو الوقوف.. أرأيت.. إنه العقل؟

الإنسان الآن يضع الهلاك فى كتلة حديدية أو يورانيومية ثم

openkandil.com

يضعها على قمة صاروخ ظريف لطيف لتخرب وتهلك الملايين.. أرأيت؟ أنه العقل.. ولكن أريد أن أعرف من هؤلاء الذين يهبون حياتهم للهدم والموت لماذا لا تضعون تلك الوسائل المهلكة فى منقار أو مخلب طائر قوى؟!

لماذا يدفعون بهذه الأشياء عبر الصواريخ لا عبر الطيور؟

ربما لأن الطيور لا تملك نفساً عدوانية مثل الإنسان؟ ربما لأن الطيور لا تستطيع أن تسيطر على مخها الذى تحويه عظام جماجمها، ولكن الغريب يستطيع أن يتحكم فى حركة الطائر كله.. يستطيع أن يضعه فى أقفاص حديدية ويحدد موقعه ولكن من المستحيل أن يجبره على تغيير رغبته.

أنظر إن هناك مستحيلاً كهذا، أراك وهولم تكونا تلتفتان إليه.. شىء غريب.. ربما لو وضع بين مخلبيه أداة الهلاك لطار إلى فراسخ ثم يهوى بها إلى من سلطوه بها على آخرين.. إن كل الكائنات بريئة تعيش بفطرتها حياة هادئة رغم حياة الافتراس ولكن هذه الحياة هى التى تجعلها مفترسة أو قل انها مسيرة،ولكن نحن بنى الإنسان.. نحن اللذين نتحكم فى مجريات الأمور، ماذا حدث؟ لقد أهلكنا

كل شيء وتصورنا أن هذا التحكم مطلوب.. مسكين أنت ياعزيزى الإنسان.. كم أنت تافه حقير وأيضاً عظيم!

- ماذا تقول؟ لقد جعلتنى أتوه بين أسماك القرش والطيور والموت.. هل هذا كل ماتريد؟.

أنت يا عزيزى آبلة.. لقد أخطأتُ المجئ إلى هنا.

- يا سيدى الحمد لله أنك قررت ذلك والأجدر إذن أن تمشى.

- هل تريدنى أن أرى خطأ وأسكت.. لابد ان نتناقش حتى النهاية.

- نهاية.. أى نهاية.. اننى أكاد أموت.

- إذا كنت قلق أومتعب فلتذهب إلى حيث تريد.. هل لديك مسرة؟

- كلا.. لماذا؟

- كنت سأتصل بأحد الأصدقاء ليجئ إلى هنا وتذهب أنت إلى حيث تشاء.. إلى النوم أو... أو...

- هل تعلم أننى أكاد أبكى.

- من المؤكد أنك ستستريح بعد البكاء، نصحيتى لك.. والمرأة.. المرأة يا عزيزى لقد نسيت أن أتحدث معك بشأنها.. يالغبائى كيف لم أتحدث مع رجل عن امرأة.

- ألم تتحدث عن حبك الوحيد؟

- كلا.. هذا كان كلام تحت كلمة الحب لا تحت كلمة المرأة.. والحب فى بعض الأحيان شيء والمرأة شيء.

- ماذا تقول؟

- نعم.. نعم.. الحب شيء والمرأة شيء،المرأة فى بعض الأحيان تكره من يحبها.. وفى بعض الأحيان تحب من يكرهها؟

- الرجل أيضاً كذلك؟

- ولكن المرأة أكثر لأنها مخلوق يعيش تحت لواء العاطفة، قابلت امرأة مرة كل مشكلتها أنها تحب.. كانت كل المشكلة أن الرجل لا يبادلها الحب وتحت أقدامها رجل آخر، ولكن ليت الأمراقتصر إلى هذا الحد فالرجل الأول أيضاً يحب ولكن من يحبها لا تحبه.

تصور موقف كهذا.. إنها متوالية.. متوالية غريبة قد تبدو ساذجة تافهة ولكن لن يتذوق مرارتها وآلامها الا من فيها والدليل.. تصور مثلاً أنك تحب بكل ذرة فى كيانك ثم تعقد العزم أن تتحدث بهذا الحب الذى من أجله قرأت كل روايات الرومانسية العاطفية وجعلت تنظر للقمر والشمس حتى تورمت عيناك، فعلت كل هذا

ثم فى النهاية تقول لك كلا.. ولكن الجنون والاستغراب سيملانك عندما تعلم أنها أيضاً رُفضت وأن كل منكما سيظل كما هو مرفوض.. شىء غريب.. غريب ولكن لا غريب مع القلوب.. أليس كذلك؟

والاقتصاد يا عزيزى.. ما رأيك فى الاقتصاد؟ ولكن السؤال الأقوى من يملك الآخر أنا أم هو؟

- هو؟ من هو؟

- العملة.. النقود.. المال.

- ماذا تقصد؟

- أريد أن أعرف شيئاً بسيطاً.. لما كان المال هو كل الأشياء الآن.. المريض لا تُشفى إلا إذا باع مرضه واشترى الشفاء.. لاحظ أن الشفاء لا يُشترى ولكن الأطباء فى العالم لابد لهم أن يوهموا أنهم يبيعون الشفاء.

الحياة كلها الآن مقامر ة.. بورصة.. أود أن أرى بعض الأشياء.. لا تعتقد فيما سأقول إننى كافر أو ملحد ولكنها الحقيقة.. إذا كان الجميع قد باعوا ذواتهم إلى ما فى جيوبهم وإذا كان الجميع يقدسون الثراء وإذا كانت كلمة المال هى كلمة الحق مهما كان خطأها.. إذا كان كل ذلك وأكثر.. فلماذا؟

opeikandl.com

لماذا لا يحولون العُملة إلى إله؟! أراه اقتراح ظريف.. لا بد أن يُسخر الفنانون أنفسهم فى عمل لوح وتماثيل لعملة كل بلد مادى لا يعتقد إلا فى المادة ولكن.. لا.. لا.. ان هذا سيجعل العبادة فى يد الفنانين لأنهم وحدهم سيكونون صانعى الآلهة الجديدة.. لا بد من عمل آلهة لأن من سيعبد أولئك الآلهة لا يعتقدون إلا فيما بين الأنامل.

أرى أن يصنع كل إنسان إلهة من عملته التى يحبها والتى ينفق منها وبهذا لا نضع الآلهة الجديدة فى أياد لا تعرف الرحمة، أياد من يقولون إنهم فنانون، ولكن ماذا تتحير من الأماكن لتكون مكان العبادة؟ أرى أن هناك مكاناً عاماً ظريفاً.. وهذا المكان سيكون بمثابة المكان الأكبر لكل بلد أو فئة إنه البورصة.. وسيصلى فيها ويتعبد بها أثرى الناس فقط، أما البنوك فستكون موالية للبورصة بالطبع ولكن أقل شأناً منها، واعتقد أن كثيراً من الناس سيحجون إلى تلك البورصة فى يوم من الأيام.. وما هذا أنك قد نمت تماماً.. إنك لا تصلح لكى تكون أذناً صاغية.. سأبحث عن آخر يستمع إليّ.. لا يعد فائدة.. فى أحد.. وبعد دقائق استفاق صاحبنا وقد أحس أن مطارق تهوى على رأسه وصمم أن يكتشف ما حدث ولكنه علم أن الرجل قد مشى إلى

غير مكان معروف.

أخيراً أغلق النور، ولج إلى حجرته ولكن النوم جافاه فقرر أن يسمع بعض الموسيقى الهادئة ليضيّع قلقه مع ذاك الرجل الذى أتى وذهب ولم يدرى ماذا يفعل معه، فتح المذياع وبعد عدة حركات فى المؤشر سمع صوت مذيع يلقى أوصاف نفس الرجل الذى كان معه منذ ربع ساعة وقد علم أنه مجنون هارب وامتقع صاحبنا وهو يعيد الذاكرة ويتصور أنه كان مع مجنون ولكن لما أعاد ما سمعه شك فى ذلك، وتذكر أنه قال له انه مخبول.. فحمد الله أنه لم يغضب ولم يحطم جمجمته ثم أغلق المذياع وولج إلى ماتحت الفراش..

جمصة

الثلاثاء/ الثانية صباحاً

١٩٨٨/٩/٦

openkandil.com

(٢١)
عزيزى.. إننى أكرهك!!

كان ساعتها يقف هو وأحد زملائه فى أحد الأركان التى اعتاد أن يقف فيها وقد أخذ يقرأ له إحدى صفحات قصة قصيرة قد سطرها بالأمس.. كان يقرأ بحرارة واضحة فقد أخذت نبرات صوته تعتنق صوت الناى الذى يصدر صوته أيان السحر.. وكأنه يتحدث عن نفنسه والحقيقة أنه كان بالفعل يتحدث عن نفسه.. وقد قال زميل له هذا مقاطعاً اياه اذ تحدث بلغة الواثق.. أنت تتحدث عن نفسك.. وبطل قصتك هو أنت فرد القصاص العادى.. لم أكن أحب أن يعلم أحد ذلك.

- كيف ذلك وكل من ينظر إلى عينيك يعلم؟ وكيف ذلك وكل من يسمع نبرة صوتك يعلم؟ - إنك يا عزيزى البطل الحقيقى وكانت قصتك حلمك الذى لم يتحقق.

obeikandl.com

- إنك لم تقرأها بعد..فإذا ما فعلت ستجد أن نهايتها الفراق.

- لم؟

- لأن الفراق كتب عليّ.. كل من خاللت فارقته وكل من أحببت باعدته وافتقدته ربما تكون سُنة حياتى أن أفارق من أحب وأن أفتقد من أرجو.

- لماذا الفراق؟ إن رومانسيتك تجعلنى أشعر أنك تستعذب الألم.

- لو كنت أستعذب الألم لوجدت شفتى مصاحبتين بابتسامة واسعة ولم تكن لتجد مسحة الألم بالعين.. والعين هى الصوت الوحيد الى يقول فى صمت كل الحقيقة.. انها أداة التعبير الوحيدة.

- ولسانك؟!

- قد يكذب اللسان ولكن تبقى الأعين صادقة.

- ولماذا آثرت النهاية الحزينة؟

- لأننى أعلم أن النهاية ستكون كذلك.

- أمن أجلها؟

- بالطبع نعم.

- وهل طلبت منك النهاية الحزينة.

- ليس من اللازم أن تطلب.. يكفى أن تفصح العيون.

وماذا قالت عيناها؟

- قالت إنها تريده.

- من؟

- هو؟!

- من هو؟

- هو ذاك المحب الذى يستحقها.

- وأنت؟

- المهم أنها تحبه.

- وأنت؟

- المهم أنها تحبه.

- وأنت.

- لى ذكرياتها.

- وهل لك معها ذكريات

- بالطبع.

- ما هى؟

obeikandl.com

- آمالى.

- التى لم تتحقق؟!

- من قال إن الآمال لا تتحقق.

- إن آمالك التى رسمتها تتداعى الآن أليس كذلك؟

- إن الأمل هو العصا السحرية التى تجعلنا نعيش.. قد نعدم الأمل فى الحب ولكن يبقى الأمل فى الله.

- ولكن إذا تحدثنا عن الحب.. فلننحى الدين.

- كيف يا صاحبى والدين حب الله؟

- أتطلب أن يوفقك الله فى حبك.

- ولم لا؟ وفي هذا الصلاح والبر؟

- ولكن؟

- لا لكن.. هل كنت تقصد أن الحب بمنأى عن الله؟

- بالطبع لا.. لم أكن أحبها لكى أنعم بانطلاقها معى.. كنت أحبها لأنى وجدت بأعماقها الصلاح.

- وهو؟

- لا أعلم ماذا وجد فيها ولكن ما وجدته أنه لا يُرتقى عليه.

obeikandi.com

- أنت رومانسى يا عزيزى.

- أنا لا أحب المظهر.. أنا أحب الجوهر

- أتريد أن تقنعنى أنك تسلم بأنها له؟

- ولم لا؟

- أنت عنيد.. الكل يعلم أنك لا تسلم بسهولة.. أنا معك منذ باع طويل حتى أدوار الشطرنج كنت تجاهد بها لآخر بيدق.. تريد الآن أن تقول لى أنك قد أسلمت الأمر إلى.. إلى من يريدها غيرك.

- القلب ليس قطع شطرنجية يا عزيزى.. قطعة الشطرنج تموت ثم يمكن لها أن تُعاد إلى الساحة من جديد عندما يرتقى أحد البيادق ولكن عندما تموت الشاه ينتهى كل شىء وتقف القطع كلها فى موضعها لأن أهم ما فيها قد مات وما أنا بصدده هو فقد الشاه ولكن ذاك لا يعنى أن تموت بقية روافد حياتى صحيح أن الشاه لا تبعث إلى الرقعة من جديد ولكن ذاك لأنها صماء حمقاء غبية ولكن بقية روا فد حياتى تستطيع أن تخلق شاه آخر ومن يدرى قد يهبنى شاه نفسه، ولكن كل هذا لا يعنى النهاية..

أتؤمن بالاشتراكية فى الحب إذن؟

لست من اتباع ماركس وأنت تعلم ذلك جيداً.. أنا من أتباع الكرامة والعفة لا انطلق حيث انطلق غيرى ولكن بشرط أن يكون ما انطلقنا إليه قد أعطى البريق بدرب غير دربى.

- ولكن أنت تجعل الأمر سهلاً.

- ولماذا أعقد الأمور؟

- الا تبذل المحاولة الأخيرة؟

- هل سمعت من قبل عن شخص يذهب إلى الصحراء من أجل الماء.

- من الممكن أن تجد بها بئراً وماء الجوف أنقى من مياه كثيرة.

- ربما ولكننى فى الحفر ومائى بين يدى.

- لا أفهم.

- مائى ألا أذهب إلى مصدر آخر للماء.

- ماذا تعنى؟

- مائى هو العطش عن شرب ماء الغير.

- ولكن الحب حب.

- والأعماق اعماق والمبادئ مبادئ والحق حق.

- وأنت؟

obeikandl.com

- كنت مستعد أن أقتحم كل الأخطار وأن أصرع كلمات الثرثرة التافهة ولكن هل ينكر أحد أن لنفسى مصلحة فى ذلك؟

بالطبع لا.. إن لنفسى رغبة فى إفساد ما بينهما ولكن ضميرى يا عزيزى، ضميري ذاك القاضى الذى ألبسته من قبل زى الفضيلة.. أين سأتجه به؟ أنا ذلك العبد الذى عودته أن يسألنى لماذا؟ أنا الذى علمته حروف هجاء العدل والحق.. أأتنصل الآن من عهودى السالفة؟!

أأرده إلى هوية الجهل والظلم والتناسى؟

كلا.. كلا يا عزيزى.. إن تنازلاً واحداً فقط يكفى ليهز بل يحطم معبد الضمير ويحطم مثاليات العدالة والحق.

- ولكن فلتنقذها منه..

- كلا.. ربما لأول مرة لا أتجه إلى الخير.. لأن هذا الخيريعنى طعناً لآخر.

- وهل تخاف عليه؟

- بالطبع.. أتنسى أنه وسيلة سعادتها.

- أنت غريب.. أتخاف على من سبب تعاستك؟

- أولاً أنا غير تعيس، ثانياً لابد أن تدرك أننا وسائل وأنه لا يُفرق عنى فى شيء.. قد تختلف فى أشياء عديدة ولكن يبقى هو إنسان وأنا

إنسان يبقى هو الحب وأنا الدخيل.. وليس من حقى أن أحقد أو أكره وسيلة إسعادها هو مثلى تماماً ولكن هى مثله تماماً واختلف أنا عنهما أننى غير مُراد.

- أنت غريب.

- أنا رجل مبادئ- طريقى هو أن أحقق جزء من المثالية.. هدفى إخضاع نفسى ونجاحى هو السعادة.

- وسعادتك؟.

- عندما نحب نريد السعادة لمن نحب.. عندما نحب تذوب الذات فى ذات المحبوب..

- أنت بذلك تثير حقدى.

- أنا أعلم أن هذا سلوك غريب ولكن ليس معنى تفشى الأنانية أن أكون أنانياً ليس معنى سيادة المأساة أن أكون حزيناً.. إن أجمل الابتسامات تلك التى نستدرجها من أعماق مآساتنا وأقساها تلك التى تنبع من قلب حزين دون أن تغير ما بالأعماق.

وهنا ظهر هو.. وهو ذاك الشخص الثالث بين صاحبنا وهى.. وقد رآه الجميع.. وساد الوجوم وهو يقول: السلام عليكم وردا السلام عليكم.

openkanal.com

لقد سمعت كلامكما كله وأنا خلف هذا العمود الرخامى دون أن تشعرا.

- كان حديثاً عابراً لا تهتم به.

- كيف لا أهتم به وهو يدور عنى؟

صاحبنا: عنك؟! ولم تعتقد ذلك؟

لا تنزعج لقد قلتما ذلك؟

الصديق: أستأذن أنا الآن ثم مشى كان الصديق يعلم أن الأمر قد ينفجر فى أى لحظة وهو لا يريد إحراج أحد لأن هذا الأمر فى كنف السر.

صاحبنا: يبدو أنك منفعل.

- أنا؟! لا أبداً ولكنى متعجباً.

- من أى شىء؟

- منك؟

- لماذا؟

- أنت غريب جداً.

- هكذا دائماً يقولون.

obeikandl.com

- أنت تشبه تلك الجوهرة التى وجدها الباحثون بالطين.

- أنا جوهرة؟هذا كرم منك.

- صدقنى أنا أعلم كل شىء.

- ماذا تقصد؟

- أعلم الأمر الذى بينى وبينك وبينها.

- لا أمر بيننا.

- لا تحاول أن تتخلص من الموقف.

- أنا أحاول أن أفهم فقط.

- أنت على حق.

- وما حقى؟

- أنت الذى يستحقها.

- ماذا تقول؟

- أنت الذى تحبها حقاً.

- أنا لا أحب أحداً.

- أنت تحبها.

- ماذا تريد؟

obeikandl.com

- أريد أن أرد كل شىء إلى موضعه الصحيح.. أريد أن أجعلك أنت صاحب قلبها.. أنت الجوهرة التى لابد أن تستميل الجواهر الأخرى، لقد وجدت فيها من قبل مصدراً للتسلية فى البداية.. تلاعبت بقلبها ولو إلى حين.. كانت بالنسبة لى الجمال الذى يجب أن يخضع لى.. كانت الجمال ولا شىء سوى الجمال.. عرفت كيف أخدّر حبها وأسحبه بلا استحوذ عليه.. أنا أعلم أن ثمة ما يدور بصدرك الآن ولكن صدقنى كنت كلما حاولت أن أعبث بها بأعماقى تجذبنى هى إليها.

أنا مغرور يا سيدى وكنت أريد أن استحوذ على الزهرة الجميلة فى إصيص الزهور ولكن لم أكن أتوقع أن أجرح بشوكها الرقيق.. وعندما عرفت هى أن نيتى كانت عبث نفرت منى.. ربما اتجهت إليك بعدها ولكن كنت أشعر فى كل نظرة منها إليك بخنجر يمزق قلبى الذى لطالما عذب قلوب.. وشعرت أن كل شىء يضيع من يدى ولهذا آثرت أن أخذها مرة أخرى.. اننى كنت أكرهك كرهاً عميقاً.. ولكن هل لك أنت تفهمنى؟ لقد أحببتها.. نعم لقد أحببتها. كانت مدة غيابها عن أعماقى.. كاللهب الذى يحرق قلبى.. كلما رأيتها بين عينيك أزداد كراهيةً لك وشغفاً إليها، قالوا: إنك تحب ولكن ليس

أى حب، حب ذو معنى لا ذو كلمة.. واتعجب أما زال على الأرض مثل هذا الرجل.. لابد أنه كاذب.. وكان هذا ما جعلنى أزيد جهدى لآخذها مرة أخرى.. إننى أحبها.. والآن وقد عرفت انسانيتك وعرفت أنك لا تكرهنى.. لا أعلم لماذا أكرهك.. كان هذا بالماضى ولكن الآن عزيزى اننى أحبك ولن أكون أقل منك.. سأعطى لك مفتاح سعادتى سأتخلى عنها لك.

- أتحسب أن هذه تضحية؟ أتحسب أن شعورك بالذنب سيمحى بأن تتركها.. بل ترشدها إلى من تحبه.. كلا يا سيدى.. إن الحب والمثالية والمبادئ تحتم عليّ أن أقول لك.. إن التكفير عن ذنبك لابد أن يتم بالمصارحة، نعم يجب أن تصارحها بكل شىءوأن تدعها هى تحكم بنفسها ويجب أن تعرف أن كبرياء حواء الكامن بأعماقها قد يقول على لسانها.. أن كل شىء قد انتهى.. إن كبرياء حواء يا سيدى أعظم من أى كبرياء وكرامتها قاسية لا تقبل الإهانة، أما أنا فقد انتهى الأمر لى.. وأنا أقول الصدق.. لقد مضى الأمر عن قلبى تماماً ولم أعد أفكر إلا فى عظمته لافى جوهره، إننى لا أكرهك ولا أكرهها.. إننى فقط حكم بين كل المواقف حكم بين نفسى والواقع وقررت أن أمزق جزء

القلب الضعيف وأنا الان أحكم بينك وبينها وأقولها لك.. إن أردت أن تتحدث عن الحقيقة فلتتحدث وان أردت أن تخفها فلتخفها.

- والضمير؟

- إن ا لأمر ليس بهذا السوء.. كلنا نخطئ.

- أتدافع عنى؟

- أنا أدافع عن الإنسان لا أدافع عن الشخص.

- ونفسك ورغبتك وحبك لها.. حتى لو كان بالماضى؟

ألا تريد عينها تدمع لأنها لم تستجب لك؟ الا تحب أن تراها حزينة ألا تريد نفسك أن تراها نادمة؟.

- كل هذا لا يعنينى.. إن استطعت أن تنفذ الحق لو على نفسك فقد فزت.. فزت بالضمير اليقظ والسعادة، وما الحياة؟ أليست السعادة؟ وما السعادة أليست راحة الضمير وهدوء القلب وراحة النفس.. وهى كانت لى الحلم الجميل وأنا الآن لا أريد أن أقضى على هذا الحلم.

- ولكنى سأقول لها.

- تذكر أن هذا قد يعنى نهاية الحب.

obeikandl.com

إن كان فليكن حبى هو الثمن لكل أخطائى.

إذن فلتذب.. إن هذا الحديث آخر عهدى بهذا الأمر.

عزيزى اننى أحبك.

ولم يندهش صاحبنا عندما جاءته مكاملة تليفونية من ذاك الحبيب تقول له لقد قالت لى إننى أنانى.. وهكذا كان لابد أن يسدل الستار وأن يبدأ الجميع من جديد.. من وهبت قلبها بدرب خاطئ ومن وجد فى الأنانية السعادة وأن يستمر المشاهد يشاهد الدنيا من وراء نظارته الطبية التى لطالما رأيته بها.

١٩٨٨/٣/١٢

obeikandl.com

(٢٢)
"شاعرة البيت الواحد"

لم يكن أحد يتوقع ذلك.. نعم لقد كان أمراً مفجعاً.. حتى إن البعض أخذ يردد.. أهذا معقول؟! كان يومها يوماً جميلاً يحمل بثناياه طيف المأساة.. كانت الشمس تبعث بأشعتها إلى الجميع وكأنها تشرق فى هذا اليوم بالذات لتعطى إحساساً أنها ليست ضده كما هى حالة الجميع.. كان المكان معروفاً فقد تحدثت عنه كل كلمات الحب وكان الزمان مشهوراً حين يموت لهيب الشمس وتبدأ أشعتها الصفراء الشاحبة فى الظهور.. كان كل شىء معد.. ورغم أن الموعد كان عند موت الشمس إلاأن كل مرة كانت تعنى ميلاد لشمس جديدة، شمس بداخلهم تبعث فى نفوسهم الضوء الذى لا يخبو والدفء الذى لا يموت.. كانت الشمس التى تبث العاطفة فى الأعماق فتتدفق الكلمات.. كانت الشمس التى تهب للعيون نظراتها الرومانسية الجارحة الرقيقة.. كانت الشمس التى تجمع الروحين

obeikandi.com

قبل العينين والقلبين قببل الجسدين.. كانت شمس من نوع جديد.. ضيائها ذاك الشىء الساحر الذى يسمى الحب وأصلها غير معروف هويته.. إنها شمس الأعماق.. تلك الشمس التى تبزغ آناء الليل وتشرق بدروس الظلام.. وتدفء القلوب أيان الجفاء ولكن هل يمكن لهذه الشمس أن تخبو؟! أن تموت بالقلوب؟!

كيف.. كيف يموت الدفء ولا حياة بدون دفء.. بل كيف نعيش بلا حب، يبدو أن الحياة لا تعترف بالمعنويات.. أجد أن هذا تضاد.. ولكن عندما نيأس نقول ما يبرر لأنفسنا اليأس عندما نوشك على الموت نتغزل فى التراب ونمقت الحياة، هكذا الإنسان مغرور لا يحب الاعتراف بالأخطاء أو الهزيمة.

كل ذاك كان بخاطره عندما وقف بالمكان فى الزمان المحدد ونظر إلى نهر النيل الذهبى وابتسم.. سرعان ما أحس بالوحشة فقد أخذت الثوانى تمر كأنها قرون ومازالت شمسه بمنأى عن عينيه رغم أنها بأعماقه ولكنه محب أنانى.. ولم لا والحب أنانية؟ فالحب موت ذات لذاتين لأن الذاتين أصبحتا واحداً.. الحب عنف وقوة ورحمة وإنسانية الحب وحشية فى الأنانية لا يطيق الشريك إن الحب هو كلمة أنا لا هو.. وبعد برهة جاءت تتهادى.. كانت كعادتها.. جميلة

صافية نقية.. كان الهواء يداعب شعرها الحريرى ولكنها استطاعت أن تسيطر عليه كان الثرى يداعب العيون ولكن لم تحرم العالم من آثرتيها فلم تغمض الجفون حتى لا تموت الشمس وأخيراً وصلت.. فشيعها بنظرته الهادئة الثائرة المريدة العاتبة الملهوفة الحائرة ولم يعلم كيف يفعل عندما وجد أعين صافية بلا أدنى استجابة.. كانت عيناها من قبل نهر هادئ فى لون شطر الزمان بغياب الشمس الكونية، أما الآن فهى نهر هادئ أيضاً ولكن بلا أمواج مجرد مياه صافية غير منفعلة.

تعجب ولم يتحدث فقد خاف أن تجرحها كلماته.. ولكن أراد أن يتحدث فخانته الكلمات.. أحس أن كل ما قرأه قد تهاوى وأن كل ما سمعه قد نُسى وأن كل ثقافته اختفت، كان هو كذلك دائماً فهو يشعر أن عينيها سر المعلومات.. ولكن ليست أى معلومات بل أثمن معلومات لهذا كان يكتب دائماً فيهبط الوحى الشعرى إليه عنها.

تسألين عن حبى لماذا؟ قدرى يتيم الأسباب

ضل هويته عن رغبة فما أروع درب الأحباب

إنه يقدس روعة عينيها ولكن هى.. ربما لا تدرى بذلك!!

وأخيراً تحدث ولكن بصوت كأنه قيثارة أو ناى حزين يريد أن

يفرح ولكن هيهات فالناى أداة الحزن الموسيقية وهو رومانسى شهير يغرق فى الموسيقى المعبرة عن أعماق.. انطلق ناى حنجرته.. أنت!.. أين أنت؟ لقد مضت ثوانى كانت لى سنوات طويلة، لقد افتقدت.. بل أفتقدك الآن.. إن أعماقى تبحث عنك فى ثناياها ولن.. وقاطعته..

ولكن.. لا لكن.. اننا نفتقد أشياء كثيرة

وانزعج.. عما تتحدثين؟

هى ألا تعلم عما أتحدث.. يا لك من مثقف؟ كيف إذن تدعى أنك مرهف الحس؟

وظلت نظراته الحائرة ولكنه قال:

أنا أدعى؟! ولماذا أدعى؟ أنت تعلمين جيداً أعماقى

- لا تتحدث عن الأعماق لقد سئمت هذه الكلمة

- سئمت هذه الكلمة! كيف؟ إن الحب من الأعماق هل تسأمين الحب؟

- الحب.. أخيراً تلفظت بهذه الكلمة..

- أنت تعلمين أننى أحب هذه الكلمة.

- ولكن كم مرة قلتها؟

- ملايين المرات.. لقد قلتها بالدم والقلب والنظرات.

- أنا أريدها باللسان.. أريدك أن تشعرنى أننى حبيبة لا حبيبة عاقلة.

- أنت تريدين جنون الحب؟

- نعم أريده.. لاأريد أن أعتنق العقل وأنا أحب..

- ولكن الحب موطنه العقل.

- أنت تتحدث هكذا طوال العمر..

- العمر؟ أى عمر؟ إنك تهدرين عمرى.

- أنت الذى تهدر كل شيء.. كل الناس عقلاء ولكن أنت مدعى.

- أنا أدعى؟ والعقل ادعى؟ كيف؟

- وتصمت لحظات ثم تقول: أسفة.. لم أرد أن يتطرق الحديث إلى هذا الأمر.

- بل لابد أن نتفاهم.. يبدو أنك تريدين شيئاً.

- أريد أن أكسر قيودى.

نظر إليها سريعاً وبعمق وقال فى لغة حادة: أأنا قيد؟

ولكنها لم تتحدث وآثرت الصمت، ولكنه استطاع أن ينفذ إلى عينيها: أأنا قيد؟

- أنت لا تفهمنى؟

- بل أفهمك جيداً.

.. لابد أن تفهمنى الآن.

obeikandl.com

إننى شعر بك الآن جيداً، وأعرف أنك تخبئين فى جعبتك الألم.

صدقنى أنا لا أصلح لك.

- ماذا؟!!

- هذه هى الحقيقة.

- أى حقيقة؟

- حقيقة العلاقة بينى وبينك- أنت معلمى ولست حبيبى.

- معلمك.. كيف؟

- إنك عاقل جداً ولكن المطلوب أن تكون عاقلاً فقط.. انك فيلسوف كبير تريد أن تسبر غور كل دقيقة ولكنى لا أريد الفلسفة أريد ا لتدفق.. أريد الحب.

- أنا أحبك أكثر من أى شىء فى هذه الدنيا.

- أنت تحبنى بعقلك وأنا أريد حب القلب.. أريد العاطفة المجنونة الملتهبة، أريد الانطلاق المحدد الأخلاقى فى عالم الحب الكبير، لا أريد أن يتدخل العقل هنا أريد أن يكون درب حبى من صميم قلبى.

إن القلب مخلوق للحب والعقل لأى شىء غير الحب.

- أنت تهذين.. إن الله خلق العقل لإدراك الأمور والحب يحتاج

للعقل، أنت بها تسيئين للحب أنت بهذا تركبين مهراً عصياً على صاحبه وانطلق فى البرارى وأول من سيؤذى هو أنت.

- حتى تشبيهاتك عاقلة منطقية.. صدقنى اننى أعشق بك عقلك ولكن الحب غير هذا.. إن الإعجاب بالعقل ليس الحب.

- إن الحب هو العقل أو الحب العقلانى.. المثالى..

- أيها الفيلسوف الكبير.. اننى فتاة فى بدايةحياتى قلبى مازال صغيراً يريد أن يركب هذا المهر العاصى على صاحبه.. يريد المغامرة والمتعة والحب.. لا يريد من يحكم الحب بالعقل.. أنا أعلم أن هذه فضيلة ولكن ليس كل الناس متمسكين بالفضيلة.. إن هناك من البشرمن ينعمون بالخطأ.. وخطأى ليس فاحشة إنه مجرد تنحية العقل وإقصائه عن درب الحب.

- أنت بذلك جد تغامرين.. ولكن ليس بقلبك أنت بل بكل حياتى.

- لك عقل تستطيع به أن تميت حبك.

- وقلبى.. أتحسبين إننى آلة.

- أنت عاقل

- إنك تتحدثين وكأن العقل خطأ..

- أنت تفعل أشياء تدل أنك من عالم آخر.. عش على الأرض ولا

تحلق بين السحاب.

- السحاب هو عالمى.. الأحلام واقعى.. المثالية مطلبى وأنت حياتى.

- يا لها من كلمات متأخرة.

- لكم تحدثت بها إليك.

- بالعينين أليس كذلك؟.

- بالعينين والشعر والأدب.

- أنا لا أريد الشعر ولا أفهمه ولا أريد أن أتذوقه.. إننى أريد كلمة واحدة كانت عندى أفضل من رواوين الشعر وكل قصص الرومانسية.. كنت أريد كلمة (أحبك) بلا عروض وقافية.. كنت أريدها بلا تورية وإيضاح.. كنت أريد أن أسمع مخارج الفاظها كم كنت أريدها منك ولكنك لم تقلها.

- لقد تحدثت بها "أمام كل الناس ووسط ووضح النهار، قلتها فى كتاباتى التى قرأها العديد من الأشخاص.. كنت تريدين أن تسمعيها بأذنيك ولكنى بثثتها إليك بدفء عبر عينى.. وجعلت من كل الناس شهداء عليها.. ليست العبرة بالكلمة ولكن بمعنى الكلمة.. فلتفتحى المذياع ولتسمعى كلمات إن أردت ولكن أين ستجدى المعنى الذى تشعرين به.. أين ستجدين نظرتى التى تغلفك ولا تطيق حتى الهواء

أن يتسلل إلى أعماقك.. ليتنى كنت الهواء حتى أكون من يلفك فى حنان ليتنى كنت الهواء حتى ألمس قلبك وأعماقك.. إننى أتوق إلى حبك.. ولكن لا بأس..

- مازلت تملك المنطق..

- لأننى على حق.. كنت أريدك أن تنهض من سبات الإعادة إلى عمق المعنى.. كنت أريد أن تعانقينى روحياً.

- قد يحتاج المرأ أحياناً أن يقبل من يحب بعد الميثاق الغليظ.

- إن الجسد له حق وأنا لا أنكر الحقوق ولكن السعادة تبدأ قبل المادة، إن اللذة التى يدعيها الزناه مرفوضة مطلقاً ولكن سعادتى عندما أكون معك تفوق لذة تقابل الأجساد وتفوق لذة الإنسان العادية.. لأن حبى إليك أعمق وأخلد من أن يكون مجرد لذة طارئة.. إن الخطوط الغائرة بالقلب لا يمكن أن تموت وأنت أغور خط بقلبى.

- ألم أقل لك من قبل أيها الفليسوف إنك عاشق الحكمة.

- إننى أحبك قبل أن أحب الحكمة.

- وما بال لحيتك؟

- ليس لك الحق فى الحديث عنها.

- لماذا؟

- إن العلاقة بين العبد وربه لا تقبل النقاش.

- الله؟!

- أتتعجبين من هذه الكلمة.. إنك على شفا الإلحاد إذن، فقد كفرت بالمعنى الآن.

- إننى أؤمن بالله أيها الفليسوف ولكنى أتعجب منك، ألا يأمرك الإيمان بعدم معصيبة الله؟

- بلى.

- إذن كيف أنت معى الآن؟

- ويصمت ويقول: دعى هذا لأننى أريد أن أقول لك شيئاً ما.. وهو أن هذا اللقاء آخر لقاء، لى معك لأننى سأتجه غداً إلى والدك.

- لقد انتهى الأمر أيها الفليسوف.

- ماذا تعنين؟

- لقد انتهى الأمر.. أين إحساسك.. أين مكرك المعنوى؟

- أنت لا تدركين الأمر؟ أنت بذلك تقضين عليّ؟

- أنا الان أتخلص من قيد علىّ.

- لأول مرة أشعر أننى قيد.. ولكن ما يجعلنى صابراً أننى على حق.

- نعم أنت على حق، ولكن ستفقدنى إلى الأبد.

obeikandi.com

- إذن ستموتين كما ستموت هذه الشمس.

- الشمس تموت بالنسبة لك ولكنها تبعث إلى آخر.

- آخر!! فهمت الآن كل شيء.

- لا أنت لا تفهم شيئاً.

- لقد تحججت بالفكر والفلسفة والعقل لتروى الخيانة.

- أقسم اننى لا أخون ولكن كان رغماً عنى.

- أنا أحب يا آنستى وأعلم جيداً أن الحب بلا سبب ولكنه أبداً كان تفاهم.

- أنت الآن تهيننى.

- أنا لا أهين أحد إنها الحقيقة.

- الحقيقة أنك انسقت الى حيث العيون التى تخدع والكلمات البراقة التى تموت بمجرد أن تخرج إلى الوجود.. إننى أبحث عن الخلود وأنت تبحثين عن الانطلاق ولكن صدقينى قد أخطأتى.. وأنا أعلم اختيارك.

إنه ذات الشاب الوسيم صاحب الأعين ذات لون من ألوان الطيف.. تشبيه علمى أليس كذلك.. والشعر الحريرى الجميل والصوت الجميل الذى يشدو آناء الليل ويتحدث بكلمات تلين

الحجر فى الجبل فكيف لا يلين لها قلبك الجميل الرقيق..

يا حبيبتى السالفة لقد اخترت انت بمحض إرادتك دون تدخل.. اخترت آخر عنى اخترت المادة والكلمات وتركت المعنى والعمق.. ربما نتقابل يوما ما ونتحدث وساعتها سأعرف الحقيقة.. إن الرسالة التى أنا بصددها الآن رسالة عمر بل تحقيق رأى انسانى لقد اخترت الفكر المادى والكلمات البراقة.. واخترت أنا العمق والمعنى وسيمضى كل منا فى دربه وسأترك للقدر الزمان ليحدده كيف يشاء فهو ماهر جداً فى إحكام المواعيد وسنعرف عندما نلتقى من سيفوز.. اذهبى عنى الآن.. الوداع أو إلى لقاء بعيد.. ولا يعلم أحد ممن كان يتابع القصة الغريبة كم من الوقت مضى على ذلك الموقف البعض يقول خمسة عشر عاماً وأخرون يقولون عشرين ولكن الحقيقة أن المدة كانت ثلاثة وعشرين عاماً ونصف تماماً والغريب أن الوقت كان نفس الوقت وأن المكان كان نفس المكان ولم يختلف الموعد عن سابقه إلا فى لون الشعر فقط ولكن لو كان الأمر هكذا لكان هين لأن هناك أعماقاً جديدة تواجدت ولابد أن نعرفها.

كانت الشمس تميل إلى الغروب كعادتها الأزلية حين وقف هنا فى نفس ا لمكان يستند بمعصمه على سور حديدى فوق ربوة معروفة

ولكن كان هذه المرة شارداً عميقاً إلى أقصى درجات العمق أخذ بصره يذوب فى اللاشىء وعندما وصل إلى لا شىء أخذ يتعمق به حتى أن عينيه كادت أن تدمع.. واستفاق عزيزنا على صوت رقيق كرقة الزهرة والتفت ببطء حتى تلاقت الأعين مرت لحظة طويلة طويلة طويلة رغم أن عمرها لا يزيد على الثانية الواحدة وقالت:

لم أكن أعلم أن اللقاء سيكون بعيداً هكذا.

- أنت؟.. بعد كل هذه السنوات.. لم أكن أتوقع أن يستجيب القدر ويبرم بمعرفته الموعد - ولكن أن يحدث.. كيف ذلك؟

- بل على العكس.. كنت متوقعة أن أراك ولكن لا أعلم متى؟

- أنت لم تتغيرين.. شعرك الأسود الرائع تخللته فقط شعيرات بيضاء زادت جمالك حتى وجهك لم تفسده التجاعيد الرقيقة، وعيناك مازالت تشع فيض من الرقة والعذوبة وكلماتك مازالت قيثارة العاطفة.

- وأنت مازال صوتك ناى الحياة.

- ولكنى لست حزيناً.

- أنت وصوتك لا تعبران عن نفسيكما.. إنك تعبر عن آلام الجميع.. لأن تحس الجميع وتشعر بالجميع ولكن أنت حزين.

- لا أخفى عليك نعم..

- أولاً لماذا أصاب الشيب رأسك.

- السنوات يا.. (يصمت).. السنوات قادرة على كل شىء.

- لا.. السنوات ليست قادرة على كل شىء.

- ولماذا أراك مسناً؟.

- من يفكر لابد أن يكون هكذا؟

- ولماذا أنت هنا؟

- شىء لا يخطر لك على بال.

- المفروض أنك بالقاهرة.. مع زمرة الأدباء والشعراء.. من أتى بك إلى هنا حيث الاقليم.

- - كيف أنسى موطنى الحبيب ونيلى العظيم، إن هذه الأشياء ليست جماداً بل كائنات تبعث فى نفسى الحياة لكم تحدثت معها وتحدثت معى.. حتى لو لم أكن معها.

- عرفت الآن إلى من كنت تتحدث فى قصة(المواجهة) بل عرفت أنك لم تصف سوى ذاك المكان.

- تماماً اننى أحب الذكريات.. بل أصنع الذكريات فالإنسان ذكرى.

- بل عرفت أشياء أخرى عديدة..

- الإنسان لابد أن يعرف.. وسيظل يعرف إلى أن يموت ولكن

obeikandi.com

الهام أن يعرف أن كل معرفته ماهى إلى سطرمن مجلدات المعرفة.

- ولكن هناك حقائق صغيرة ولكنها كبيرة تكفى الإنسان لكى يعرف كل شيء.

- أنت تتحدثين جيداً وبمنطق قوى.

- ولكنى سأكرر لماذا أنت هنا؟

- أنا لم أنس المكان مطلقاً.

- ولا أنا

- إنه بكل قصصى أو على الأقل جزء منه بكل قصصى.

- لقد قرأت كل قصصك.

- تافهة أليس كذلك؟

- لماذا تقول ذلك؟

- إنها قصص معنوية إنسانية عاقلة ليس لهامعنى أليس كذلك؟

- إن هذه الكلمات عقاب لى أليس كذلك؟

- إنها حقائق.. أو الحقائق التى ذكرتيها وبدونها لا يعرف الإنسان شيء.

- إنك تتحدث بمنطق قوى.

- أعلم أن ذلك بالنسبة لك خطأ.

opeikanal.com

- إننى أتحمل لأننى لم أحدثك عن الماضى بعد.

- الماضى؟!

- ا تسخر منى.. إننى مازلت أعيش فى الماضى.. مازلت أعيش على أنغام سميفونية صباى على أنغام حبى معك.

(تقاطعه)..

- لا تتحدث أرجوك دعنى أتحدث.. إننى فى السنوات الغابرة تعلمت أشياء عديدة.. تعلمت كيف أعيش وكيف أفكر وكيف أحب.. تعلمت شيئاً واحداً فقط.. تعلمت أن المعنى أثمن من المادة.. لقد تزوجته ولن أطيل الحديث معك عنه لأن رأيك كان صائباً.. إنه أحب فيّ ما يحبه الرجل فى المرأة لا أكثر لم يشعرنى أبداً بعد الزواج اننى ذات أعماق فقد كان الحب بالنسبة إليه لحظات ولم أكن استطيع أن أتحمل هذا الموقف.. فى ذاك الوقت كان نجمك أنت بدأ يصعد ويتحول إلى شمس كبيرة تضئ الطريق.. ساعتها كانت الفجوة بينى وبينه تزداد رغم أن الاجساد متقاربة فقد كنت بجانبه طوال الوقت ولكن مادياً فقط أما روحه وقلبه أحسست أنهما يحلقان بعيداً فى عالم آخر.. ولا تنزعج عندما تعلم أنه كان يعلم كل شىء عنى وعنك وقد صارحته بأن كل شىء قد انتهى بينى وبينك ولكن كانت الفجوة

التى خلقها هو تزيد من حبك فى قلبى.. كان حبك شرارة بسيطة أشعلت بى نار الحب لسنوات عديدة ولكن خبت لفترة ما وكان هو مادة الاخماد وبدأت أفهم أن النار الأصيلة التى لا تضر إلا الشر لا تلقى الموت وأتت بعض الرياح وزال الرماد وأخذت النار تتصاعد.. كان كل يوم يزيد من إشعال النار، لقد قرأت كل قصصك وكانت كل بطالتها أنا أحسست ذلك من شكلهن المطابق لشكلى تماماً ولكن بعد فترة ما أحسست أن الشكل قد اختلف والملامح تحولت إلى أخرى وكانت هذه مع بداية قصة (حياة جديدة) حتى عنوانها كان يدل على أن لها حياة جديدة تتطلع إليها.

كان غرور حواء يسيطرعليّ عندما اقرأ قصصك الأولى ولكن ما أن أحسست بأن هناك بطلة جديدة حتى بدأت أكره نفسى.. كان يغار منك عن طريق قصصك.. كان يمزق كلماتك أمام عينى ولكن لم يكن يعلم أننى قد حفظتها عن ظهر قلب وأنه لكى يمحوها من الوجود لابد أن يهتك التامور ويدلف بغليظ أنامله إلى القلب فيهتك حبى وكلماتك ولكنه لم يستطع حتى جاء اليوم الذى واجهنى بالحقيقة كلها.. وهى أننى لم أعد أعنى إلا امرأة وهذا يتنافى مع الحب.. سألته عن حبه المذبوح وحبى الميت ولكنه ضحك وقال: إننى

لم أحب إلا جمالك.. ولكن لم يعد ذلك الجمال يبث فى قلبى الدفء لهذا لم يعد لك موضع فى قلبى.. وأصبحت المشكلة هى ولدى أين سيعيش؟ ولم تختلف ولكن هو وولدى الآن فى أمريكا فقد هاجرا إلى حيث اللا عودة ويكتفى ولدى بأن يبعث لى كلمات كل عيد وبقيت أنت بكملاتك تبث فى قلبى الحزن كلما أعطيت الأمل لكل حب جديد كانت كلماتك ضياء فى درب مظلم ولكن لم يكن ضياء لمن هن أمثالى لأننى من قبل تنحيت أصلاً عن الطريق وأخترت طريقاً آخر بمنأى عن الضياء، ما أشقانى.. كانت السعادة بيدى والان لا أشعر الا بطيفها كانت الابتسامة بين شفتى والآن لا أتذوق إلا ذكرياتها حتى الموسيقى الحالمة أصبحت أكرهها فهى تذكرنى بأننى أنا البائعة.. أنا التى تركت كنزى وذهبت إذن فلا أدعى الفقر ولا أدعى الألم لأننى من قبل أردت الفقر وذبحت الحب.

- يا لها من رحلة ولكن عليك أن تتحمليها لأنك أنت التى أردتيها.. كنت حرة فى اختيارك لهذا لابد أن تكونى قوية في تحمل التبعة والمسئولية.

- لكن رغم اعترافى فإنى لأتساءل: لماذا أنت هنا الآن؟

- إنك تريدين قصتى إذن؟

openkanal.com

- بالطبع.

- مرعلى لقائى الأخير بك خمس سنوات كنت أنت فيها بطلة قصصى إلى أن رأيتها نعم رأيتها.. كانت كالطيف الجميل وبدأت أتجه إليها ومن عينيها أو حتى ابتسامتها كانت الأفكار تتلاحق.. صدقينى كنا نقف هنا سوياً لأننى رأيتها هنا وكنا نتحدث قليلاً ونتناجى كثيراً لكم تعمقنا فى أعيننا فقد كانت عينيها فى لون زرقة النيل صافية مثل أعماق طاهرة مثل كائناته طيبة مثل أمواجه نقية مثل مياهه أحسست أن هذه الأعين تقول لى عمقها الطاهر وعرفت كيف أحبها نعم كيف أحبها؟ فالمخلوقة النورانية هذه كانت تختلف عن كل البشر لهذا كان لابد أن أعاملها بطريقة أهدى فيها قلبى وفزت بها فى النهاية.

وفازت بى هى أيضاً.. كانت كلمة حبى لها نظرة واحدة اختلفت عن الآخريات وكانت تظرتها إليّ تذوب فى نظرتى وعندما امتزجنا عرفت منها دون كلام وعرفت منى دون كلام حتى لمسة يدى كانت تقول: أنفاسى الحائرة كانت تتحدث بفصاحة وتبقى عيناى تقول لأنها أداة التعبير المعنوى الوحيدة عندى صدقينى لم أقل لها الكلمة الا مرة واحدة وعشت على ذكراها كل السنوات لا تعتقدى أن كلمة

ذكراها تعنى أنها لم تقال إلا مرة واحدة ولكن كانت أول مرة أقوى مرة وأعظم وأخلد مرة وأطهر مرة وأعمق مرة، نعم أعمق مرة بعدها كانت الأعين تتلاقى تتحدث فى فصاحة ورقة ولم يكن ترحالى يعنى بُعدى عنها لأن الأجساد لها لغة تتخاطب بها وهى لغة فقيرة مادية ولكن أرواحنا تتواءم فى السماء وأنفسنا تتعانق بين السحب وقلوبنا تمتزج عبر الطرق حتى ذكرياتنا كانت طريق للوجود وتبقى الأجساد فى النهاية لتثبت فقط أننا بشر.

وكانت وفاء هى زهرتى المولودة.. هى الآن مع زوجها الذى يدرس الدكتوراه وأنا سعيد.. سعيد بكل هذا ولا يعنى أن توأم الروح قد ماتت اننى أفتقدها أننى أراها.. ألا تريها؟ إنها هناك.. ألا تريها؟

ربما لا تريها ولكن أنا أراها جيداً أنها تنظر لى كعادتها نظرة العتاب الرقيق أو نظرة الحلم الجميل أو نظرة الحب المضطرم أو نظرة الغيرة الملتهبة.

قالت كلمات عشر قد يزيد أو يقل ولكنها لا تتذكر تماماً ماذا قالت وهنا أدركت كل شىء.. لم ينظر إليها وبعد كلمة من كلماتها أخذ طفل يمسك يده ويقوده إلى سيارة، ومرة أخرى ضحكت مرآتها وهتفت نفسها.. أنا قبيحة.. كانت ليلة ليلاء.. أدركت فيها أن كل

شيء أشلاء ورفات فكل أحلامها تهاوت وفلك الأمانى غرقت فى يم ا لقبح والواقع.. ورغم كل هذا إلا أنها صممت أن تذهب فى يوم أخير.. لترى النهاية وقد يوافقها فى أن تراه النظرة الأخيرة، وقفت أمامه.. ساعها شعرت بأن يداً تجذب يدها وعندما نظرت وجدت ذلك الطفل الصغير الذى قاد صاحب العينين الآسرتين.. قال لها فى صوت رقيق طفولى: عمو عاوز يكلمك.. لم تكن تدركها كل سعادة الأرض.. أن هذا الطفل الان هو رسالة السماء، تساءلت كيف يريد وهو لم يرنى؟

ذهبت ووقفت أمامه.. ومرة أخرى وقف الطفل يهز يد الرجل وهو يقول.. عمو.. هى دى.. ورغم أنه لم يرها إلا أن وجهه تخضب بُجمرة الدماء فقد خجل الرجل ورفع يديه بغير هدى وامتد بصره المنتهى إلى ضباب كثيف وكأنه يتخيل مرآها.. أحد يتحدث ويتعثر فى ألفاظة.. ولكن كل ما علمته أنه أحبها.. قبل أن تتساءل أردف.. انه صوتها.. ذلك الرزين الوحيد الذى اخترق حاجز نفسه وهزها.

استطرد: لم أنم ليتها، كانت كلماتك التسع هم أنفاسى.. أريد أن أقول أننى أحببتك ولكن هى..

وتحابا ما.. ساعتها لم تنظر إلى المرآة.

فقد رأت فى عينيه أنها أجمل الجميلات ووجد فى صوتها روعة المرأة.

تذكرت زوجه، واليوم هو ذكرى عفائها الجسدى الأول فالجسد قد تهاوى واندثر وتحول إلى تراب كما جاء ولكن بقت ذكرياتها وروحها تلك الروح العطرة التى أحبها وسأحبها الى الممات فإذا ماتت تلاقت الأرواح.. إن روحى الآن وحيدة حبيسة جسدى الفانى البالى تتمنى الإنطلاق فهى أولاً تريد أن تنطلق فى عالم الروح عالم الله الطاهر المقدس ثانياً تريد أن تعانق روحها كما كانت تفعل من قبل إن من يقول أنه مادى فلينظر إلى الإنسان، فمادته تموت ويتحول إلى ثرى ويتحول هو إلى ذكرى، أرأيت- ذكري- مجرد ذكري- وما الذكري- أليست معنويات، أليست الذكريات عمق إنسانى؟

إن من يعتقد أن الموت نهاية كل شىء فليتحدث معى.. اننى مازلت أحبها حتى الآن لأن فكرنا هو فكر العمق الإنسانى.. فكر الحب الروحانى لا حب المادة ولا حب الجسد لقد آثرنا إن نهتم بالمادة والمعنى ولكن كان للمعنى نصيب الأسد.

- لقد زرت قبرها اليوم ووضعت عليه زهر البنفسج فقد كانت

تحبه وتركت بقاياها الجسدية وجئت إلى هنا حيث أول لقاء كان بينى وبينها أتابع ذكرياتى معها..

يا لها من قصة.. ليتنى كنت رأيتها حتى أقبل يدها فقد عرفت تحافظ عليك.

أنت تعرفيها من قصصى.

- نعم قصصك التى تتحدث بفصاحة عنك وعنى وعنها.

الكاتب أو الشاعر يعرض حياته أمام الناس من خلال السطور.. إن حياة الكاتب قصص ولكن الناس لا يدرون يعتقدون أنهم يقرأون مخاض الخيال ولا يعلمون أن هذا الإفراز صراع الأعماق.

- نعم الآن أصبحت أفهم جيداً الشعر.

- كنت لا تتذوقيه.

- الآن فقط أتذوقه وأنت معلمى.

- لقد قلتى لى من قبل اننى معلمك.

- ولكن هذه المرة أقول أنت معلمى فى الحب والشعر.

- الشعر.. ماذا كتبت؟

- كتبت بيتًا واحدًا.

obeikandi.com

- بيت واحد فقط؟

- نعم بيت واحد فقط.

- إذن أنت شاعرة البيت الواحد.

- أنا شاعرة المعنى الواحد.

- أريد أن أجمع البيت.

- ولكن أنت لا تسأل متى كتبته.

- ربما الآن.

- نعم الآن.. سيكون هذا البيت هو الأول والأخير فى لحظة واحدة.

- إذن فلتقوليه.

- كلمتى صمت فأفصح كلمة ما بخل اللسان وأوجزت الأنظار.

- عظيم.. عظيم.

- الآن سأمشى.

- تمشين؟ بل يجب أن أمشى أنا.

- لقد طالبتنى مرة أن أمشى ولن أسمح أن أسمعها مرة أخرى لأننى أشعر بها إن إحساسى يقول إنك تريد أن تختلى بالذكرى الحبيبة وأنا ذكرى ماتت وانتهت، ولكنى مازلت أحبك ولا أقول ذلك

obeikandl.com

إلا لكى اثبت لك أننى كنت على حق وأنتى على خطأ ولكى أثبت ذلك فأنا لا أطمع إلا فى صورة منك.. لا تتسرع ليست صورة فوتوغرافية بل صورة ذهنية فلتقل لى شعراً أخيراً..

- سأبقى بدربى أحبك صامتاً ولكن ما أقسى وحشة الدروب، لاتظنى أنى وحدى فمازال قلبك أنيس القلوب وتمشى.. تكفكف دمعها بينما يقف هو وقد اطلق زفرة أسى.

الاثنين ١٩٨٨/٨/٧

الساعة الواحدة صباحاً

obeikandl.com

(٢٣)

"السقوط"

هو هكذا دائماً.. لا نراه إلا عند حافة النهر يحدق بمياهه القاتمة المريدة.. هناك حيث المكان الذى اعتاده جلس على صخرته المعهودة.. تلك الصخرة التى شاركته كل شىء.. هناك حيث الشجر التى طالما ظللته وصاحبته.. هناك حيث الوحدة التى أنست به وأنس بها ولا يعرفان الوحدة مع بعضهما وكعادته أيضاً ظل يحدق فى لاشيئه أخذ يتذكر ويراجع ويتحدث وهذا المكان رغم جماله إلا أنه لم يعد يشعر به.. وكأنه قد خاصم المكان وودع الزمان لأول مرة يأتى إلى هنا تائهاً شديداً.. معذباً.. ها هى عيناه تلتقى بالمياه ولكن لا تهتز أوتار أعماقه فلا تفيض سيمفونية مثاليته وقوته ها هى عيناه تلتقى بالقمر الذى صار بدراً والذى تعود أن يحدثه ويصاحبه ويحبه بدراً ولكن الآن لا يشعر حتى بوجوده.. لا يكترث بذاك الضوء الذى صهر المياه ليحيلها إلى بحر من الفضة الذائبة.

obeikandl.com

أليس هذا بعالمه الجميل؟ أين هو الآن، أين هو منه وأين العالم منه؟

كان دائماً يحب الأصدقاء ولكن لم يحبه الأصدقاء.. وتساءل يوماً ما.. لماذا؟

وأدرك الكلمات لتقول له: أنت يا عزيزى الذى فعلت ذلك.. أنت الذى أحببت العقل والتريث أنت الذى كنت حد العقاب لكل مستهتر.. الإنسان لا يحب من يذكره بأخطائه، الشباب لا يحب سدود العقل.. إنهم هم الخاسرون ولكن أنت أيضاً خاسر لقد خسرت الجماعة ولكن كسبت نفسك.

أيها لعقل كم أحبك وكم أكرهك؟ أنت ذاك الفنان الذى يرسم طريقى المعبد بالزهور ولكن هم أيضاً لا يريدون ذاك الدرب.. هم يريدون الانطلاق ولكن طائرين غير سائرين أنت تذكر جيداً كلماتك عنهم ولهم.. كم كنت تواجه الكثير بأخطائهم تردعهم وتوجهم ولكن هم لا يريدون فماذا فعلوا.. كرهوا العقل ونبذوك، ولكن هل أنا الخاسر؟ هل أنا الذى سأندم! كلا.. سأظل إلى الهدف، ولأن العقل كان قرين صاحبنا لهذا يأنس بالطبيعة هو يوما لم يكن رومانسياً ولكن الحياة أجبرته أن يكون وحيداً.. الحياة حددت له الطريق ولكن طريق وعر.. ولأنه وعر فنهايته جميلة.. فالميزان لا يختل والحق لا

يخطئ.. لقد صادق العقل والحكمة إذن فعليه أن يدافع عن صديقه وأن يسافرا معاً فى غياهب الحياة.. سيتعبان سيتعذبان ولكن فى النهاية سيكسبان.

هكذا عرفنا لماذا هنا وحيداً.. فكأنه صاحب الصخرة والقمر والنهر والمكان ولكن اليوم لم يعد صديقاً وفياً لهذا المكان.. اليوم جاء فى غياهب المساء.. لم يحضر كعادته ولكن حضركمذنب.. نعم كمذنب.. وكان ذاك المكان قد تحول فجأة إلى محكمة.. أذاك القمر؟ كلا.. انه القاضى.. أهذه السحب، كلا انسها المستشار ون أهذا نهر، كلا بل الحُكم!!

لأول مرة يشعر أنه غريب فى مكان هويته.. لأول مرة يشعر أنه بلا كلمة وبلا عقل.. نظر إلى القمر فى عيون خاشعة وقال فى نفسه:

أعرف لماذا تحتقرنى؟ أعلم أننى أعيش تحت سقفك الآن رغما عنك.. ولكن.. أنت لم تشعر بما شعرت.. أنت لم تحس بما أحسست هل جرّبت أن تكون مصدراً لشىء لا تملكه؟، هل جربت أن تضحى بكل شىء طوال عمرك، هل جربت أن تعيش وحيداً وأنت من تعشق الجماعة، هل جربت ان تصادق الوحدة وحولك الجميع؟

كل القلوب قد تكون حولك ولكن أين تلك التى تحبك وتعطف

عليك، كل الأيادى قد تصافحك ولكن أين تلك التى تحنو عليك، كل العيون قد تنظر إليك ولكن أين تلك التى لا تحقد عليك وأين تلك التى تحبك؟.

عزيزى القمر..

أنت تعلم أننى كنت إلى زمان قصير بلا دنس ولا خطيئة.. كنت متوقعاً فى حصن العقل أصد كل غاز وأقهر كل عدو ولكن يبدو أن توقعتى قد شرخت.. وخرجت ممزق الجسد إلى حياة الأشواك، هل رأيت من قبل.. إنساناً لا يعرف الخطيئة.. أعرف أن كل بنى آدم بدرب الخطأ ولكن ليت خطيئتى مثلهم.. ليت صوتى أدرك الفناء وعقلى أدرك الموت.

أنت تعلم الحقيقة كلها ولكن أن أردت سأقولها عليك ان صوتى كالناى لا يُصدر إلا حزين النغم.. وكلمات رِثاء لكل الكلم واقصوصتى فناء لكل القيم رغم أننى كنت رجل العقل المفكر رجل المثل.

أنت تعلم أننى الأخ الأكبر لشقيق وحيد.. أنت تعلم أيضاً أن شقيقى قد انجرف فى طيات الهزيمة وأصبح بلا عقل.. دراسة لم تعد له طريق فلسفته أن ينطلق إلى الدنيا ولكن الا يمارس فواحش الذنوب.. أخى هو الانطلاق وأنا كنت السد.. إنك تذكر جيداً

openeikandr.com

مناقشاتى معه.. انت تذكر جيداً كم نهرته وكم ضربته ولكن كان العقل كما هو.. لا يلين.. ولا يحيد عما هو فيه.. كل العائلة تعرف مستقبله.. كل العائلة تعلم أن أخى لن يلقى النفع وأن نهاية شقاوته الضياع.. كنت أتوقع منه كل شىء ولكن كم كانت مفاجآتى أن قال لى: أتحسبنى بلا ضمير.. أنا نعم لا أريد الدراسة أر يد التدفق.. أنا مستهتر نعم ولكن لدى بعض الحواجز التى تمنعنى من الاندحار.. أكنت تعتقد أن الدراسة كل شىء؟ وأن الثقافة كل شىء وأن العقل كل شىء فهذا خطأ.. هناك بأعماقى إنسان أيضاً لا يريد أن يُهزم.. أنا اعترف بابتعادى عن الله، أنا لا أصلى.. وأنت تصلى، أنت تقرأ القرآن وأنا لا أفعل أنت الأخ الأكبر والقائد وأنا الأخ الصغير المتدفق.. لك الحق أن تمنعنى ولكن أنتم لا تعلمون أننى اتعذب.. ليس ذنبى أننى أكره العلم.. ليس ذنبى أننى لا أريد الكتب، إن الحياة الجميلة تنتظرنى.. لقد رسبت نعم ولكن ظللت نقى الجوهر.. سأعمل ولن أكلّ عن العمل وليعتقد الجميع أننى فاشل، الفشل نسبى يا أخى أليس كذلك؟

الفشل لكم أن أرسب وأن يعلو صوتى وأن أسهر وأن.... ولكن الفشل لى أن أظل أحافظ على نظافة وطهارة قلبى.. صدقنى قد يعلم

الجميع أننى ضائع ولكن يوماً لم ارتكب فاحشة أو أصادق الشيطان لم يعرف أحد بهذه المناقشة وعرفت أن أخى فيلسوف كبير ينقصه الاهتداء إلى الله وكللت الجهود لكى أجعله يعود إلى الله.

وظلت الحياة هكذا لى نجاح وأدب ووحدة ونصحية كنت أحضر هنا لكى أصلى بمحراب الطبيعة فإذا ما جاء الوحى تدفقت كلمات الإنسان الذى بداخلى.. كم كتبت هنا وكم عقلت وكم قررت كتبت هنا مأساة الإنسان فقلت:

فكل الصدور بلا ضلوع وكل القلوب توائم القهر

وكأن القلم قد غُمس طرفه فى قلبى وكأن مداده دمى وكأن كلماتى نبضى، الطب قد اخترع جهاز رسم القلب أليس كذلك؟ ولكن ذاك القلم الذى أضعه الآن بين أصابع القلب هو المقياس الحقيقى للقلب وكلما زاد نبضه كلما ز ادت كلماتى ولكن لن أتحول يوماً إلى من قلت عنهم:

فكم مررنا على قلوب كل أصواتها تعنى الصمم

أنا أذكر الآن نقطة التحول.. ساعتها كتبت قلت:

تأتين لى حبى لماذا إنه قدرى يتيم الأسباب

ضل هويته عن رغبة فما أروع درب الأحباب

ليس بتافه فآثرتاك علمته ما بأثمن كتاب

ولا تنزعج أن أحب أيها القمر.. ألست إنساناً.. أليس لى قلب.. ألا يحل لى الحب؟، إن حياتى كلها حب.. حب الله.. حب الأم.. ثم حبها..

كانت بداية يوم أن رأيتها تتهاوى على سلم المنزل.. لا أعلم ماذا حدث لى، القلب أخذ ينبض بشدة لم أعهدها.. لا أعلم لماذا، أخذت أحدق بعينيها عليّ أجد السبب ولكن زادت نبضات القلب، هذه النبضات لا تعنى زيادة النبض يا قمرى العزيزى إنها تعنى أن قلمى سيكتب فكان الشعر العاطفى من قصص الزملاء أيان أن كانوا زملاء ولكن لأول مرة أحسست أن الكلمات أقل بكثير من الذى أريد أن أقوله، أحسست أننى أغوص بالأرض.. تمنيت أن تطول لحظة معيتى معها حتى تأخذ كل الدهر تمنيت لو أرسم عينيها لا لكى أحتفظ بها فقد حفظتها عن ظهر قلب ولكن لأرى العالم كله حُسن عينيها وروعة إلهامها.. ومرت الأسابيع والحقائق تتوالى فهى جارتنا الحديثة وكأن القمر- أى أنت- ابتسم لى عندما بدأت أتحدث معها أثناء زيارتها لدينا.. أنت تعلم يا سيدى القمر أننى طبيب لهذا أكثرت الحديث عن الطب ولكن لا تعلم أن أمهر الأطباء أمام أمراض الحب بلا دواء وأنا أولهم.

وبالتدرديج تحولت رؤيتها لى كل يوم إلى أكسير اليوم وشعر الشاعر.. تحولت كلماتى معها إلى صلاة فى محراب الحب الجميل.. أى هنا كم كنت أقطع المسافات لكى أراها ولكن لا ترانى هى.. كان كبريائى لا يرضى لى أن أظهر أمامها فى مشهد المحب لكيانها رغم أن ذلك حقيقة، وهاهى تبدى إعجابها بى وكأن ذاك شىء غريب لقد أعجبها بى ثقافتى وعلمى وعقلى ودينى ذاك العقل الذى كان منارى وعلمنى ورايتى، وبعد عدة أيام جاءنى أخى وقد ارتسمت الابتسامة على وجهه وهاهو الأمل يتوهج بعينيه قائلاً:

- أخى لن أرسب بعد اليوم.

- لماذا؟

- لا أعرف أولاً أريد أن أعرف.. ربما لأن هناك شيئاً ما قد حدث، وكانت هذه مفاجأة أخرى من أخى القريب ولكن لم أُصدم فقد اعتدت من المفاجآت الكثم وها هو اليوم يحضر.. ذاك اليوم أصبح وصمة عار فى جبين عقلى إلى الأبد القصير ليلتها كان أخى خارج المنزل.. الساعة تقترب من العاشرة مساء.. الباب يُفتح وفتحت لأجدها.. تتوسل أن أحضر لأرى أمها المريضة وكأى طبيب أحضرت حقيبتى واتجهت الى حيث الشقة المقابلة، حيث هى وأمها ها أنا ذا أسعف الأم التى تذهب

openkanadi.com

فى سبات عميق اثر حقنها بحقنة مهدئة ووقفت معها بالردهة المنزلية ثم جلست.. لم أكن أريد أن أمشى فقد أحببت أن أصارحها بكل شىء.

- ماذا تفعلين فى دراستك..

كان لابد عليّ أن أفتح أى موضوع حتى جاءت اللحظة المناسبة.

الطبيب فنان أيضاً.. بل فنان جداً.. بل عاشق.

عاشق؟

- بالطبع.. أنا أحب الطب و...

وأحب الجمال..

- الجمال؟

- بالطبع.. منّ من البشرلا يحب الجمال؟

- الكل يحب الجمال.

- أنت تحبين الجمال؟

- بالطبع.

- الحب لا يسأل عنه سبب.

- صدقت.. انك قد تصلح لكتابة الشعر.

- الشعر؟

واستطرد الطبيب:

obeikandi.com

- نعم.. أنا أكتب الشعر.

- أنت؟

- نعم.. أهذا غريب؟

- كلا.. ولكن اتجاهك علمى بحت.

- أتحبين أن تسمعين.

- بالطبع.

ولم أعد أذكر ماذا قلت.. فقد قلت كل ما كان بأعماقى فى قصيدة واحدة ولكن ليس هذا هو المهم لأن عينى قالت كل شىء.

- ويا تُرى من مصدر الإلهام؟

- ألا تعرفيها؟

- بالطبع لا..

وهنا لا أعلم لماذا فعلت ذلك أمسكت يدها بقوة وقلت: أنت.. أنت التى أحببتك.. أنت التى لا أستطيع أن أبتعد عنها.. كل الكلمات قد تاهت.. كل العبارات قد فُنيت ولكن بقيت أنت بإلهامك وانتفضت الفتاة.. أنا.. كيف؟ مستحيل؟

وقمت قائلاً: بلا يجب أن تكونى أنت.. يجب أن تكونى أنت

- يجب أن تكون عيناك هما مصدر الإلهام وحبك أكسير حياتى

obeikandl.com

- أنا.؟.

- لا تتحدثى.. قولى نعم..

- نعم؟

- لابد أن تقولى نعم.. أليس كذلك؟

لابد أن تقولى انك تحبينى.. لابد أن تتدفق الروح وأن تذوبى فى روحى لابد أن نتحاب.. لا أتصور الفراق.. انك لى.. لى.. لى.

- أرجوك..

- لا..

أنا الذى أرجوك يا فتاتى الجميلة.. كم سهرت معك الليالى.. كم كتبت فى عينيك القصائد.. ولكن كل شىء يذوب الآن العقل ينتحر أمام عينيك.. الرفض يموت أمام يديك، أنت وأنا لك.

- ماذا تقول؟

- لابد أن تحبينى.. أنت لا تعلمين كم حبى لك.. الجبال لتزول له والأرض لصلابته تخشع كل شىء سبيلك يهون.. أنت الهواء..

ولا حياة بدون هواء

أنت الماء.. وكل الخلق من الماء

وأخذتُ أمسك كتفيها وأهزها بعنف غريب.. وصحت.. أحبك..

obeikandl.com

أحبك ليتك تعرفين كنى أحبك؟

ليتك تعلمين ماذا أنت لى؟

هل وجدت من قبل كون بلا إله.. أنت إله كون الحب بداخلى.. كل مشاعرى تعبدك.. كل أحساسيسى تسهر آناء الليل تسبح لك.. أنت من أحب وأنت من ستكون لى.. أنت الأنوثة والمرأة لى.. أنت كل شىء الحب والمرأة.

لا أعلم بعدها يا قاضى المكان ماذا حدث.. كانت كلماتى تنطلق وأيدينا تتلاقى العيون تتعجب وتريد والنهاية الأليمة حدثت، لا أعلم ماذا حدث واستفقت بعد الألم بلحظات وأنا شريد.. لست أنا ذاك الذى فعلها.. أنه الحيوان الذى كان يرقد بداخلى.

علمت الآن كل شىء لقد برر الحيوان أما الضمير الآثم عن طريق الحب، أيها الحب كم من الجرائم ترتكب باسمك.. وأخذت أدمع.. أأنا ذاك الإنسان؟

وهى.. أهذه الدموع دموعها؟.. تحدثت معها..

ماذا حدث؟

لم تتحدث.. كانت نظرتها تعنى كل شىء.. لم تكن تنظر لى كإنسان فقد كان الحيوان هو سيد الموقف.. كانت نظرة الاحتقار

تعتلى الموقف.. النوم كان المسيطر على العقول.

الحيوان قد ارتوى بدماء الآثم والعار والعقل.. عقلى.. قد انتحر.

كانت لحظة طويلة.. تكشف فيها كل الأشياء،عقلى ودينى قد ماتا بنفسى.. العقل قد مات بسهم من سهام الحيوان، نفسى وإبليس صادقانى.. كل شيء صار لذة.. وارتفعت على الأقدام ولكن ظللت إلى الأقدام.. لقد سقطت وعندما مرت لحظات أخرى.. انفجرت باكية تحطم ضلوعى بكلمات قاسية.

أنت.. أنت أيها القديس.. ماذا فعلت؟

لقد قتلتنى شر قتلة.. أنت شاعر؟

أنك شاعر الخطيئة والأثم.. شاعرت الفسوق والموبقات.

كيف تتكلم عن العمق وأنت ضحل أيها الحيوان؟

إن العقل ليتبرأ منك، والطب يبتعد عنك.

كل شيء قد ذهب إلى إدراج الرياح، ولكن حيوانك فقط هو الذى عاش.

ما ذنبى أن أموت لحياة الحيوان.

- أنا أحبك؟

- أى حب؟ أى عشق؟

opeikandi.com

هل الحب يتلو عليك آيات الفاحشة، أنتم أيها الخاطئين تتهمون الحب بالذنوب.. والحب برئ منكم ومن الأخطاء، كلكم تدعون أن القدر قد أجبركم ولكن الحقيقة أنكم من تصنعون الدرب إلى الأثم أيها المدعى.. أنت حيوان فارق إنسانيته.

- أنا أحبك؟

ستظل تقولها حتى تموت الكلمات على لسانك.

ستظل تقولها حتى يموت الحب من اتهامك.

إنك تحكم على الحب بالموت الآن ولكن لن أسمح لك أيها الأبلة.

- نستطيع..

- أنت فقط الذى ستستطيع.. لا تظن أننى سأكون لك بعد الآن.. أنت لا تعلم ماذا فعلت؟

لقد قاومتك ولكن.. لا فائدة.. لا فائدة..

وكأن تلك المأساة لم تكن الأخيرة.. إذ دخل عليّ أخى وقد اختلينا بالحجرة.. وقف أمامى وفى عينيه نظرة غريبة نظرة انتقام وعتاب واحتقار، ثم صفعنى.. نعم.. صفعنى ولكن المسكين لم يكن يعلم أن مطارق الضمير كانت تفعل أكثر من ذلك.

قال لى: ماذا فعلت؟

تحجرت الدموع فى عينى.. وتجمدت دماء شرايينى، لقد علمت أنه علم، كان من القاسى عليّ جداً أن أتحدث، أنا ذاك القديس العاقل الذى نادى إلى الحقيقة والحق والعدل ولطالما أراد أن يصلح أخيه أنا ذاك الشخص يقف أمام الحقيقة والحق مذنباً ويقف أمام أخيه متهماً.

كلا.. لن يحدث.. لا أطيق أن أكون متهماً بعد أن كنت القاضى، لا استطيع أن أكون حيواناً بعد أن كنت إنساناً، لا استطيع أن أموت ملحداً بعد أن أدركت نعمة الله..

ودرت على عقبى عليّ أبتعدعن عينيه الثائرتين.. ولكنه لم يتركنى فقد واجهنى من جديد.. كانت عيناه تشتعل بالانتقام والغضب قالها لى:

... المأساة الثالثة...

هل كنت تحسب نفسك من بنى آدم يا أخى؟

كنت تنصحنى.. كنت مقصلة الأخطاء أيها اللعان.

لم تكن تعلم أنك ستتحول يوماً ما إلى المخطئ الأكبر.

إن من قضيت عليها انتحرت يا أخى العزيز.. انتحرت.

انتحرت؟ لماذا؟ لماذا؟ كنت...

تتحدث عن الماضى.. ولكن لا تسألنى كيف عرفت؟

ولكنك لا تتحدث.. لقد كنا نتحاب يا أخى العزيز..

وهنا وجدته يدمع..

نعم كنا نتحاب يا أخى الذى كان..

كانت لى زهرتى الجميلة التى تبث لى أريج الحياة.. وكنت لها الظل الذى تحتمى به من كل إنسان ولكن يشاء القدر أن يتمزق الظل بأقرب البشر إليه.

ماذا ستفعل.. هى ستعيش تحت الشمس؟

أنصحك أن تبتعد عن ذلك المكان لم أعد أريد رؤيتك ولكن تذكر أنك لن تكون أخى بعد اليوم، لم أعد أريد رؤيتك.. ولا تعد تتحدث عن الفضيلة بعد أن مزقت ردائها ولا تتحدث عن الإنسانية طالما أنك قضيت عليها.

ومشى أخى..

الآن قد اكتملت الصورة.. هل تريد أيها القاضى أن تعرف ماذا حدث؟

لقد شُرخت بلورتى التى كانت تهبنى الحياة، إن تلك البلورة.. كانت الضمير والإنسانية والعاطفة.. كانت كل شىء والآن ماذا حدث>

كل شىء قد مات بداخلى

obeikandl.com

البلورة شُرخت وتفتت.. القلب لم يعد ينبض وتحولت إلى بعض بيتى القائل:

فكم مررنا على قلوب كل أصواتها تعنى الصمم

أنا الآن بلا قلب.. حتى الشعر فارقنى.. كان الشعر صديق وحدتى ولكن الآن مات وأصبحت وحدى.

ولكن منذ متى وأنا لست وحدى؟

كلكم الآن ضدى.. أليس كذلك؟

ولكن.. كلكم كنتم ضدى.. الكل تخلى عنى.. ليس لكم الحق أن تحاكمونى.

ولكن هى.. مازالت أحبها.. لا استطيع أن اتصور أننى أنا الذى قتلتها.. أن ذاك الإنسان الذى كان يفضلها عن نفسه.. أنا الذى كان يتمنى أن يكون الهواء حتى يحيطها ويتسلل إلى أعماقها فتحتويه.

كُتب عليّ أن أقتل أعز البشر

وأخى.. أذاك هو الابن الذى اعتقد الجميع أنه ضال

أنا الآن.. الضال.. ولكن فى السر..

انه هو الطاهر.. هو صاحب الجوهرة الثمينة.. هو صاحب البلورة الزاهية، ولكن ظاهره شقى، أما أنا فبلا قلب وبلا حب وبلا

obeikandl.com

إنسان ولكن فى السر وظاهرى ملاك، إننى ملاك ولكن ملاك الشر إننى الحب طاهراً والعذاب باطناً.

ماذا ظل لى؟

الحب ضاع بل قُتل بيدى

الأخ احتقرنى

الضمير لفظنى

العقل انتحر

الإنسان مات

الدين لم أعد أقدره فقد أهنته

الحيوان صاحبى

الشيطان قرينى

الموت طريقى

لم يعد شىء.. الذنب يحاصرنى.. العقاب يطاردنى.. الأمل يذوب ويفنى

هكذا أنا الآن.. مذنب.. وهكذا كنت قديساً

ولكن الذنب يختلف للقديس عنه للعادى.. أنا من تذرع بالدين لا يجب أن أُميت الدين بداخلى لقد عرفت الله ولكن نسيته فترديت.

أنا الذى قتلت الحب والأم.. قتلت الابنة الجميلة والحب الصادق.

obeikandi.com

قضيت على آمال أخى

يجب أن ينفذ الحكم. من قتل يُقتل

وبعد لحظات شاهدة الجميع يسقط فى النهر..

هكذا أراد صاحبنا.. ولكن هو لا يعلم ماذا يريد القدر

وكأن القدر أراد له الحياة وينقذه الجميع.. كل من كان يمر هبط النهر ليخرجوا لا بصاحبنا بل بجسد أشرف على الموت.

وبعد عدة أسابيع كان الأخ يتحدث معه لأول مرة وقال الأخ الصغير:

«إن الله يغفر الذنوب كلها إلا أن يُشرك به»وأنا لست إلها أنا أيضاً مذنب واحتضنا ولكن يبقى الجرح لن يندمل والذكريات لن تنسى والقلوب دامية والخطيئة سهم لعين.

١٩٨٨/٣/٢٧

obeikandl.com

(٢٤)

«المقتول القاتل»

كان الطريق ممتداً إلى ما لا نهاية.. الأشجار التى تواجدت هنا كما هى لا تتغير.. السيارات الفارهة تسابق الريح.. لا عجب.. الوجوه تشابهت ولكنه هو تغير.. وهو صاحب لكل من أحب.. هو نديم القوة.. ولكن ما الذى أتى به إلى هذا الطريق؟

لابد إذن أن نعرف لماذا جاء وعلى أى شىء ينوى؟

ولماذا تعلو عينيه سحابة الألم والجرح؟.. لماذا نرى الدموع ولكن لا نجد وجهه مبللاً؟

لماذا نحس بالألم يفوز ويغور بداخله؟

لابد أن شيئاً جلل قد حدث..

هو صاحب الرأى القاطع والنظرة الشامخة.. لا أحد يراه الا ويلمح به العظمة والكبرياء.. هو رقيق نعم ولكن يعلم جيداً أنه غير من حوله.. الأصدقاء لطالما أخذوا برأيه.. لطالما جاءوه قائداً لهم

obeikandl.com

عن طيب خاطر.. حتى تلك المقالات التى يكتبها كان تجد آثارها فى نفوس المستمعين، هو لم يكن كاتب ولكنه ذو ثقافة واسعة وعقل راجح، وهذا الشخص غريب.. كان يخوض الصعاب من أجل أن يبرهن لنفسه أنه قوى هو لا يريد أن يكون مدعياً القوة.. بل كان يريد أن يُتوج قوياً، حتى أيام مرضه كانت أياماً مفعمة بالعمل والشغل حتى يبرهن لنفسه أنه أقوى من المرض.. الكتب الدراسية لم تكن تعن له شيئاً لأنه يحب أن يقهرها وأن يبرهن أن من توصلوا إلى ما بها ليسوا بأعظم منه.

وقياساً على ذلك كان دائماً ما يقوم بعمل توليفات غريبة بين المعلومات يفشل بعضها وتنجح الأخرى.. إذ ينشد القوة فى كل شىء.

وها هى أدوار الشطرنيج نجده فيها شاه غير تلك التى يحركها.. لقد عشق الشطرنج لأنه لا يقوم إلا على أساس استخدام القوة.. وهو يحب القوة وينشدها شريطة أن يكون مستحقاً لها، هو يريد أن يقهر كل شىء مهما كان.. هكذا كان هو..

وكل من حوله يتذكر هذه الحادثة.. كان يومها يسير مع أصدقائه عندما قابلوا آخراً.. ودارت مناقشة بين صاحبنا وهذا الجديد ولأول

openkanal.com

مرة وجد الأصدقاء زميلهم يتقهقر.. وجدوه يضعف.. لقد كان موضوع المناقشة أمراً بكراً لهذا الصاحب وانتهى الأمر ولكن لم يكن ذاك يعنى نهاية الموقف، ومرت الأيام وأصر صاحبنا على مقابلة الصديق الآخر وكم كانت مفاجأة الجميع عندما وجدوه يحمل بحثاً مستفيضاً عن ذاك الأمر..

هكذا هو.. يعشق القوة ويريدها

لا يحب أن يقهره أحد..

وها نحن نجده عندما قُهر صمم أن يكون هو الفائز المرة القادمة وإلى الأبد.. فى نظره، كل شىء يمكن أن يكسبه إذا فعل مجهوداً يؤهله لهذا المكسب وكان يعتقد فى شىء واحد- لا عن غرور- أنه يستطيع أن يأخذ كل شىء مهما كان.

وفى الشفق كان صاحبنا يسير بهذا الطريق الذى يسير به الآن وهناك.. هناك كانت تقف.. الأمر لم يكن يعنى له أى شىء، كل ما تضايعه لن أهتم به أنها كانت تقف فى المكان المفضل له.

وقف أمامها فى حيرة.. وردت عليه بأعين متضايقة.. قال: مساء الخير ولم يلق إجابة.. فصمت دون كلمة جانبية وأولادها ظهره، مرت

ثوانى.. وأرادت أن تمشى.. ولم يعترض أخذ مكانها عن سعادة.

فى اليوم التالى حدث نفس الموقف ولكن بهذه المرة لم تمشى وانما قالت:

- هل تسمح أن تبتعد؟

ولم يرد وكأنه بذلك يرد عليها صمتها

وكررتها

فقال بأعين متعجبة: هل تحدثينى سيدتى؟

- نعم

- ولكنى لن أمشى

- ألا ترى ذلك غريباً؟

- الغريب ما تفعليه أنت

- وماذا فعلت؟

- ولا أحد يعلم للآن ماذا حدث.. كانت الكلمات تدور وتدور وانتهى الموقف بابتسامة من الفتاة وكأن هذا كان دليلاً على أن الموقف قد انتهى ولكن هذا أيضاً لا يعنى نهاية الأمر، ونحن الآن لا نعلم لماذا أتت هى إلى المكان ولماذا أخذت نفس المكان؟

opeikandi.com

والإنسان عندما يستعصى عليه الأمر يقول: قدر.. لهذا يمكن أن نقول إنه القدر وكأن حديثاً جديداً قد بدأ.

هو: هذه للمرة الأولى التى أتحدث فيها مع فتاة.

- وبماذا تشعر وأنت تخوض التجربة؟

- لا أشعر بشىء.. أشعر أننى بعالم آخر غير الذى عهدته.

- لماذا؟

- ليتنى أعلم.. بماذا تشعرين أنت؟

- قد تتداخل الأحاسيس ولا يشعر الإنسان بشىء معين.

- صدقت؟

- ولكنى للآن لا أعرف اسمك

- ولكنى أعرف اسمك

من عينيك؟

- عينيى.. إن كلامك خطير..

- سأسميك صفاء

- ولكن اسمى ليس صفاء

- أنا لا أعتنى بالأسماء.. فكم من مرة وجدت اسماء وأصحابها

دون معناها وجدت أسماء الطهر والدنس.. أصحابها، وجدت أسماء السمو والتفاهة والفراغ سمتا لأهلها.

- هل أنت عميق؟

- أنا لا أرضى بالسطحية فقط.

- وماذا وجدت بعينى؟

- وجدت سحر أيان السحر.. وجدت الشفق والفجر.. وجدت اسمك منقوشًا بالحدقة.. -- - وجدت أنين ا لرحمة المهدرة فى الناس ووجدت العمق..

- أنت غريب

- أنا أشعر هكذا تستطيعن أن تقولين.

- وهل هناك أحد ما لا يشعر؟

- معظم البشر لا يشعرون وأتعجب؟

- لماذا؟

- أنهم يعتقدون أن هناك أزمة فى الفن.. يعتقدون أن موهبة التمثيل قليلة.. ولكن الحقيقة غير ذلك.. الحقيقة أن من البشر الآن يمثلون.. نعم يمثلون.. والمشكلة الكبرى أنهم لا يمثلون إلا على

obeikandi.com

أنفسهم أولاً ثم على الآخرين ثانياً واللذين لا يستطيعون التمثيل يتحولوا إلى مجانين.. اللذين هم بلا أعماق مزيفة ينبذون بين سجون الجنون ويعاملهمن الجميع كأنهم من مخلوقات أخرى غريبة غير الإنسان، والمسجونون هم اللذين يندمجون أكثر فى اللعبة.. هم اللذين يلعبون أكثر من دور هؤلاء كان لابد أن تُحفظوا فى مكان أمين يحرسه الخفر.. هؤلاء المواهب لابد لهم أن يخرجوا يوماً ما وساعتها ستزداد انفاعلية المشاهد.

نعم لقد صدق يوسف وهبى: وما الدنيا إلا مسرح كبير.

الأرض كلها مسرح وليس أى مسرح بل مسرح متحرك يدور حول نفسه وكأنه يريدأن يُفقد الجميع وعيهم، والعجيب أن هذا المسرح بلا متفرجين لأن كل من فيه ممثلون عظماء، وقد يحتار موزعوا الإضاءة فى توزيع الضوء على بقعة معينة ولكن الأرض كلها مُضاءة بالشفق.

والديكور.. انهم ملائم جداً ولكن لا تدركه العيون.. قد نجد الحب بأغوار البيداء والموت بأعماق النهر، كل شىء يخدم التمثيل البشرى.. كل شىء.. والعجيب الآن كل العجب أن الجميع يمثلون بلا

شعور وينجحون.

- ليتنى ما سألتك؟

- لماذا؟

- لقد أحزنتنى

- لماذا؟

- أحسست بأن كل شىء سىء

- أنا لست متشائماً

- وبماذا تسمى هذا؟

- هذا كله وجهة نظر.. ولكنه حقيقة

- وما دخل كل هذا بالعين؟

- العين هى أداة التعبير الرئيسية فى رأيى

أنا لا اعترف بالنبرات الصوتية فكم سمعنا عن كلمات يذوب الثلج لدفئها الا أنها كاذبة متملقة.. كم سمعنا عن قصائد الغزل ولكن غزل الجسد تارة وغزل جمال الوجه تارة، كم قرأت كلمات فى القصص أشعر أنها أشواك تمزق جسد الحب الواقى الآن أين نحن من الحب الصادق؟

obeikandl.com

أين هى الكلمات التى تحب حقاً.. قليل.. قليل.. قليل.

لهذا فقد اتجهت إلى العين.. لابد أن أنظر إلى أعين محدثى وسأعرف منها هل ما يقولوه صادق أم لا؟

- وأنا ماذا وجدت بعينى مما تقول؟

- أنت لم تحدثينى فى شىء لأعرف مدى صدقك

- صدقت.. ولكن ما رأيك بالدموع؟

- الدموع؟..

الدموع.. اننى أكرهها لأنها تنافى فى (كثير) من الأحيان مبادئ القوة ولكن فى بعض الأحيان تكون وسيلة الندم للخطأ.. أوتكون الشىء الوحيد القادر على إزالة تدنيس العيون.. الدموع أيضاً جمال وروعة.. الدموع أكسير العاطفة، لا عاطفة بلا دموع ولا دموع بلا عين تشعر بالصح.

- وهل أدمعت من قبل؟

- قليل ولكن قد أدمع عندما أحب

- وهل ستحب؟

- إنه القدر

- ومن ستحب؟

- لا أعلم

- ابحث..

- لن أبحث فقد توصلت إلى المرفأ الأمين

و لا أحد يعلم بعد ذلك كم مرة رآها فيها ولكن علم الجميع الأمر.. لقد تحابا ولن ينسى الطريق هذا ذاك اليوم الذى قالت له فيها الكلمة، لن يسنى الطريق ذاك الهائم ذاك السعيد ذاك الطائر الذى كان يمر به، كان صاحبنا ولكن.. لا.. لا.. ليس هو.

كان سعيداً إلى أقصى الدرجات ولم يجده أحد سعيداً من قبل هكذا

كانت عيناه تفيض سحراً وجمالاً وأملاً ولم يكن هكذا مطلقاً من قبل

قصائد الشعر العاطفية لم تعد تساوى شيئاً لما يعتمل فى أعماقه

وأى شعر ذاك الذى يعبر عمافيه؟..

أى قصاص يستطيع أن يسطر ما به؟.. استخف بعقول كل الشعراء»والقصاصين الآن

obeikandi.com

لقد أدرك أن الحب لا يمكن أن يتحدث عنه كل هؤلاء

ما هذه؟ الزهور.. لا إنها بذور الحياة الجميلة الرقيقة

ما هذه؟ أشجار كلا.. انها جدران المعبد المقدس الذى تحابا به

ما هذه؟ الشمس كلا..كلا.. لا تغربي بل لابد أن تشرقى حتى تباركى الحب

وما هذه؟ أرض كلا.. اننى الآن فى السماء فوق السحاب

إننى أحب.. هكذا قال..

ومرت الشهور وصاحبنا يغرق كل يوم فى يم الحب ولكن لا يموت.. كان يغوص به ويجئ بصورة جميلة وهى صورة صفاء.. وكان ذاك مشهداً من مشاهد الغوص الحبى الرائع..

- هو. لا تغربين عنى الآن؟

- لابد أن أسير

أكتب عليّ أن أقطع جزءً من قلبى كلما ودعتك؟

- احفظ قلبك لى

- كله لك.. كله لك

- قل لى كلمة واحدة تودعنى بها اليوم

- أحبك

ثم سارت رغماً عنه وعنها نحو الطريق

ولا أخفى عليكم لقد صدمت فى هذا اللقاء أكثر من أى فرد فقد كان الأمر جلل جاءت تقول له فى كل بساطة.. كل شىء قد انتهى

-وهاهى الحدقة تهتز بشدة.. ماذا؟

- كل شىء قد انتهى

- لماذا؟

- القدر

- القدر؟ أى قدر؟

- ألا تعرف القدر؟

وكان ذاك آخر لقاء بينهما.. ولكن ليكن ذاك نهاية الأمر.. حاول صاحبنا أن يراها.. ولكن أين؟ وكيف..؟

هو يريد أن يعرف لماذا؟

ثم يلاحق نفسه بالإجابة.. لابد أن أكون قد أخطأت؟

نعم.. لابد..

ولكن ماذا فعلت بهذا الخطأ.

obeikandl.com

أخذ يتذكر كل كلمة.. ولكن لا كلمة.

وفى مساء يوم من الأيام أصاب الجنون صاحبنا.. كانت الغرفة ذات الجدران الأربعة سجن حقيقى.. ولأول مرة أدرك أن ببعض السجون من لا يستحقون دخولها.. أخذ يضرب بقبضة الجدران، كان صامتاً نعم.. ولكن كل إيماءة.. كل حركة.. كل نظرة تقول: لا.. كلا.. كلا.. كان يصرخ لا كانت لا تمزق سكون أعماقه الراكدة.

كانت اللا.. اعتراض على كل شىء.. إلا عليها.

كانت اللا.. تقول فى فصاحة غريبة لماذا؟ ولكن دون أن تجرح هذه اللا هى، كانت اللا ندم ولكن لا يستطيع كراهية الندم..

ماذا يفعل؟ لقد أحب- وليته ما أحب

وماذا فعل هو ليلقى كل هذا؟

هل القلوب مجرد أدعية تمتلئ وتُفرغ؟

أمعقول هذا؟

نعم ثم لا مطلقة وها هو القدر.. الحامل الذى يحمل الخطايا هو القدر الوحيد..

وماذا يفعل الإنسان إذا أحس أنه مسجون؟

إنه يحاول الهرب.. وبالفعل أخذ صاحبنا يذهب بعيداً ولكن مهما ابتعد فلن يبتعد عن قلبه... ومهما ذهب فلن يذهب عن خوفه ومهما ومهما.. لا يتخلص من ألمه.

أحس بأنه على وشك الموت.. ولكن قوته. كبريائه تمنعه من أن يموت منتحراً وفوق كل ذلك الله..

ماذا يفعل؟ نعم سيتجه إلى ا لطريق، هو بعيد نعم ولكن ماذا يفعل.. لابد أن يفعلها.. لابد أن يتجه إلى المكان المقدس لابد أن يتجه إلى المعبد.. كان كل شىء كما هو.. وها نحن نعود إلى بداية الحديث الطريق الممتد..

كان يشعر فى كل خطوة أنه يقطع جزء من ذكرياته.. وفجأة تحولت كل المعانى السوداء إلى شعر، هو لم يكن يوماً شاعراً ولم يفكر أن يكون ولكن يبدو أن الوحى الآن يتخير المعذبين ليكونوا شعراء.

هو لا يدرى ماذا قال فقد قال كثيراً: ولكن فلنسمع بعض مما قاله

أسماها النهاية وهو لا يعمل لماذا أسماها النهاية

ويجيئ اليوم الذى لا بعده يوم

ستنقرض الأيام

openelkanaie.com

ساعتها سنسبح فى يم الفناء
سنتشبث بالحاضر وسيصير الحاضر ماضى
سنغمس أناملنا بشقوق الحياة
ولكن ستقطع الشقوق الجباه
ستضمحل الشمس ويفارق البدر ضياه
وسيذوب الضجر ويقتل الشفق الحياة
الأيادى تشير للقبور والبسمة مقبرة الحبور
المقل سوداء قاتمة
حتى ألوانها هائمة
تنظر فتصيب القاصمة
وهنا حين الوداع كل شىء صادر وداعاً.
سنخفت كشعاع مات
سنموت بلا ذكريات
ستتمزق العروق
ستتدنس البركات
فالقلوب آثام والتامور حِمام

obeikandl.com

ذاك أ يان قتل الكون حباه

أيان أن مزق الإنسان الرحم

أيان أن ارتضى السفح ونبذ القمم

أ يان أن تذوق الدم

ولم يستحٍ فاشتهى اللحم

ما هذا؟ هكذا قال فى نفسه.. لا أصدق.. إنها هى..

كان الجو هادئاً والساعة تشير إلى التاسعة مساء

وهى.. هى التى تسير هناك.

ذهب إليها استوقفها وقابلته بنفور

قال لها.. أحبك

قالت له: ماذا تريد؟

أرغمها بقوته على النقاء.. قال لها.. أريد أن أعرف لماذا تبتعدين؟

قالت: أنا أريد ذلك

- لماذا؟

- لا شأن لك بذلك

- كيف تتحدثين عن عمرى وتقولين لا شىء يعنيك؟

obeikandi.com

- أيها المغرور.. لقد وقعت

- مغرور، وقعت؟ عما تتحدثين

- هل تريد القصة؟

- نعم

- سأرويها لك..

أنا زميلة لأخت إحدى أصدقائك.. عرفت عنك الكثير.. عرفت عنك كل شيء.. اسمك.. وثقافتك وقوتك.. وأردت أن أخضع كل هذا لى.

الكل يعرف عنك أنك قوى.. ولكن كم كانت سعادتى عندما ضعفت القوة أمامى الكل كان يعلم أنك تقهر الكثير والكثير ولكن لا أحد يعلم أن حبى قهرك.

- أنت تكذبى.. لست أنت التى أحببتك؟ لست أنت ولكن مهما كان الأمر.. لقد قلتى لى.. أحبك.

- لماذا لم تنظر إلى عينى أيها الفليسوف وأنا أقولها؟

- لأول مرة أشعر أننى تافه

- وكان هذا هو الهدف.. أن أخرجك من قوتك

- ولكن ضعفى الوحيد لست أننى أحببت.. ضعفى أننى

obeikandl.com

خُدعت.. ضعفى أن هناك أعيناً تستحق العمى والفقأ وذاك أفضل لها عن أن ترى لأنها عندما ترى تخدع الآخرين، لقد أنهدم صرح قوتى الذى لم يهتز منذ أن خلقت.

تضحك ضحكة رنانة.. لقد ضعفت.. كان هدفى أن أراك ضعيفاً أمامى..

- ألا تخافينى؟-

- أنا لا أخاف أحد

- أذنبت أم لم تذنبى؟

- أنا حرة أفعل ما أشاء

- لقد قصدتى أن تخدعينى.. وكذبت

- كل البشر يمثلون أليس كذلك؟

- ولكن هناك أدواراً وضيعة الكلاب الضآلة لا ترضى بها؟

- أنت سافل؟

- لا داعى ذلك ولكن السؤال الأخير.. كيف سأستعيد قوتى؟

- لا يمكن أن تستعيد قوتك.. لقد أحببتنى حتى لو كرهتنى بعدها.. فقد كرهتنى أو ستكرهنى لأنك أحببتنى وكلما ز ادت كراهتيك لى الآن كان ذاك دليلاً على قوة حبك لى.

opeikandi.com

- الحل أن تحبينى.. الحل أن يكون قلبك لى

- قلبى داخل صدرى ولن يملكه أحد سواى

- سأكرر السؤال.. هل أذنبت أم لا؟

- ومنّ من البشر لا يذنب؟

- إذن فقد أذنبت؟

- نعم.. (متحدية)..

- فى عرفى.. لكل ذنب عقاب وسأعقابك الآن

- وأين القضاة؟

- معك حق.. القضاة هذه الأشجار

- لا تنكرين أنها كائنا حية

- ولكنها بكماء. لا تتحدث

- من قال ذلك؟ إن اهتزاز فروعها يعنى أنها هنا معنا فى نفس الموضع القضاة سيكونون ثلاث شجرات وسطاهن تلك التى وجدتك عندها وسأكون أنا منفذ الحكم.. ألا تسمعين ماذا تقلن؟

- (تضحك بقوة).. لابد أنك ستكون مجنوناً

- لا.. بل أنا مجنون فأنا لا أجيد التمثيل.. انصتى.. نسيتى أنك

لا تعرفين لغتهن؟

- ألا تعرفين ماذا يفعلن؟

- ماذا؟

- إن وسطاهن تقول قلبك هو العقاب

- ما معنى ذلك؟

- معنى ذلك أن قلبك ملكى.. وأنت لم تحبينى لهذا يجب أن آخذه بطريق آخر

- أيها المجنون ماذا ستفعل؟

لم يتحدث فقد أخذت أصابعه تكتم أصواتها..

حاولت يداها عابثة أن تتشبث بالحياة

ولكن الهواء الواهى لم ينجدها

وها هى تسقط على الأرض صريعة

أتى بأول صخرة وكانت كبيرة ورفعها إلى أعلى وأسقطها على صدرها الذى توقف عن النبض كرر ذلك مرتين، ومزق الملابس المبللة بالدماء وأدلف يديه نحو الصدر الممزق.. غابت أصابعه داخل صدرها المهشم ثم صعدت يديه تحملا براحتهما القلب الذى مازال يرتعش..

obeikandi.com

كانت يداه مخضبتان بالدماء والقلب ينزف من كل مكان.. وأخذ قطعة من القماش وجعل منها مسكناً للقلب المقطوع، كان يفعل كل ذلك وهو يضحك.. ويضحك ثم علق قطع القماش فى الشجرة التى قابلها عندها وبعد المشهد الغريب والجثة الغارقة فى بحر من الدماء بلا قلب.. والقلب المعلق بالشجرة من جنون.. وأخذ يضحك ويقول:

كنت تمنعين قلبك عنى فأضحى لكل الأعين وكل الناس

كنت تعتقدين أن ثورة قوتى التى لم أشيدها إلا بالجهد لن تستطيع أن تحصل على قلبك..

أنت مسكينة.. آسف.. أصبحت مسكينة.

أصبحت جثة ممزقة بلا قلب..

(يضحك).

بلا قلب.. أنت أصلاً بلا قلب.

لقد أزلتُ من جسدك اللعين تلك القطعة التى كانت تضخ الدم

وكلما أنا آسف على شيئين هما

أن الشجرة الطيبة ستتحمل مشقة حمل قلبك الدنس

وأن الأرض الطاهرة قد انسخت بدمائك

إن الهواء الآن يتلاعب بقلبك ايتها الملعونة.. ولكن لا بأس لا بأس لقد أخطأت وكان لابد عليك أن تدفعى ثمن الخطأ فادحاً.. وأنا لم أتعسف فى الحكم لقد أخذت منك قلبك ولكن رغماً عنك أنا أهبتك قلبى وأنت بخلتى لهذا كان لابد أن اعتقله من بين سجن ضلوعك وقد حدث.. لابد أن تندمين ولكن انت الآن جثة مجرد جثة.

الآن قد استرحت.. لقد انتقمت لقوتى التى أهدرتها.. وسوف أواجه العالم كله بكل شىء لا تعتقدى أننى جبان.

الوداع أيتها الشجرة الحبيبة ولا وداع للجثة الحقيرة.

وتوجه صاحبنا إلى قسم الشرطة حيث قال للضابط بكل قوة وكل جرأة وكل برود:

أنا المقتول القاتل.

الخميس ١٩٨٨/٤/٧

الساعة ٦,٣٠ مساءً

openkanali.com

(٢٥)
«البعث الذى أفل»

اليوم هو اليوم الثالث على مجيئه من أوروبا فقد قضى هناك عشرين عاما.. ارتدى سترته العصرية وخرج إلى الشارع وكأنها أول مرة يرى فيها بلدته وعلى الفور شعر أن ثمة اختلافاً كبيراً قد حدث آثر أن يتجه إلى برارى طفولته.. إنه الآن يشعر بسعادة طاغية وأيضاً قشعريرة خفيفة فقد كان يعلم أنه سيواجه الماضى..

ها هو الطريق الذى اعتاد أن يذهب فيه إلى المدرسة، ها هو بالفعل يلتحم بالسوق أو هذا الرجل مازال موجوداً؟!! يا لسنوات الماضى..

لم يكن له فى يوم من الأيام لحية ولكن الآن تغيرت ملامحه تماماً.. عيناه القاسيتان اللتان كانتا دائماً ترعبانه وزملائه قدغاصت فى محجريهما وأصبحا ينضحان بالبؤس والضعف.. وأين عصاته التى ألهبت ظهرى حين مرة؟ إنها الآن غير الأخرى فهذه الحاضرة

obeikandi.com

ليستندعليها.. مستحيل أو هذه الأرجوحة لا تزال تحلق فى السماء؟.. إن لها الآن عشرين عاماً وأكثر تحلق فى السماء.. إنها تدور كما تدور الشمس وكما تدور الأرض ووقف أمامها مستطلعاً حالتها.. يا لك من مسكينة أيتها الأرجوحة الشيباء.. لقد هزلت أسياخ حديدك السوداء القائمة.. ها هى أماكن الأيادى قد جعلت من المكان أبيضًا.. أما الباقى فقد أتى عليه الصدأ.. كم تحملت هذه الأسياخ وكم لامست ملايين الأيادى.

عندما دار بعنقه رأى المرأة التى لطالما رآها قبل عشرين عاماً ولكن أدرك ما حدث فقد علم أن زوجها قد مات.. ذاك الرجل الذى كان يحرمه دائماً من نصف دقيقة إضافية.. كانت عيناها دامعتين ولم يشأ أن يزيد آلامها.

(وأخيراً جئت).. توقف عند رجل طاعن فى السن يُرى بوضوح فوق عينيه خطوط غائرة تعكس كل ما رآه فى سوالف أيامه.

واتباع من عشته الصغيرة التى لم يتغير هيكلها (العسلية) وشيع الرجل بنظرة الماضى المحتضر والذكريات التى خلفت الشيخوخة وذهب يستكمل طريقه.. كان فى البداية يريد تجنب نظرات الناس

ولكن لم يعد لهذا أى قيمة الآن فأخرج (العسلية) وأزاح عنها أوراقها الشفافة ثم أخذ يقضم الذكريات.

سار فى طريقه الذى لطالما أثرى قارعته بخطواته الطفولية البريئة واعتقد فى البداية أنه قد تناسى كل شيء، ألا أن مجرد ظهور الذكرى تنبعث الذكريات ولكن ما لاحظه تماماً أن ثمة عمران يزحف على هذه المنطقة الغالية من بلاده فقد أزيلت بعض المبانى وأتت بعدها أخرى أقوى وأشد مفعمة بالقوة والسيط.

فى الربع الأخير من السوق وقف ينحرف إلى حارة ضيقة صغيرة.. فى نهايتها مدخل بيت وفى مقدمتها مدخل آخر.

كان كل ما حوله يعود إلى سيرته الأولى هنا هو يرى نفسه يلقى بحقيبته المكدسة بالكتب على الرصيف فتصطدم بآخريات لأصدقائه.. ها هو يقف فى منتصف الطريق يعترض الكرة الصغيرة معلناً رغبته فى اللعب ثم يستطرد ويتذكر ذلك الهدف المشهور الذى أحرزه بعد أن مرر الكرة من جميع أفراد خصمه.. هو أيضاً لا ينسى الهدف الآخر الذى أحرزه فى مرماه وآثار هذا سخط زملائه وفى هذه اللحظة شعر بالبرودة ربما لأن العادة أن يُقذف اللاعبين بالمياه

المسكوبة من المنازل المجاورة فلما أتت الذكرى أتت البرودة، ورفع بصره إلى منطقة معينة وكم كانت دهشته.. أنه لا ينساها أبداً.

تلك الفتاة التى كان يعاكسها الجميع.. كان شقاوة أطفال ولكن رغم ذلك فقد كان يشعر أنه يحب هذه الفتاة الصغيرة.. لن ينسى أبداً يومه الأخير فى بلاده يوم أن أتى إلى نفس المكان ليقولها لها ألا أنه عندما رآها عُقل لسانه واكتفى بأن شيعها بنظرة حزينة راكلاً حجر تصادف وجوده فى مكانه.

الآن قد كبرت وزاد جمالها.. هاهى عيناها الرماديان يزدادان جمالاً فوق جمالها الذى عهده فيها.. ها هو شعرها الحريرى المائل إلى الصفرة يداعب الهواء ويداعبه هاهى بملامحها البريئة وإيماءاتها الملائكية.. ولكن ما هذا.. إنها الآن تحدث من يجرى هناك ولكن من هذا الذى جرى هناك؟

إنه لم يلاحظه فقد كان شيئاً قصيراً بريئاً، قال لها هذا الشىء لفظاً واحداً جعله يترك كل شىء أى كل الحارة الضيقة.. قال لها (ماما) ولم يسمع باقى الكلمات.. عندما توقف عند نهاية الحارة كأنه يبعد عينيه عن الطريق الأسفلتى.. إنه يحاول ألا يرى الدماء.. فالدماء المتخثرة لا

تزال أمامه مهما مرت السنوات، لقد كان زميله الذى تطوع أن يُحضر الكرة الذى ولت إلى الطريق العام.. ورجع إلى الربع الأخيرمن السوق ووصل إلى النهاية ولكن كم كان فجيعة أين مدرسته؟

لقد ضاعت مدرسته.. أنها ليست هذه الجدران التى نخرها الدوران ليست هذه الأكوام من الحجارة والأخشاب وحتى إذا كانوا يريدون إعادة البناء فكيف إذن يعيدون إعادة الذكرى حية؟!!

من الممكن أن يشعلوا شعلة العمل ويجددوا شباب حقل تعليمى ولكن هل هذا عدل؟

هل من حقهم أن يحطموا مكان ذكرياته.. هذا هو فناء المدرسة الذى شهد لعبهم ولهوهم.. أنه الآن جثة مثقلة الأكوام.. أين عمره وذكرياته؟ لقد أزالوا كل شىء يصله بالماضى.. استدار كاظماً للدموع فوجد الشىء العجيب.. ذاك الكشك الصغير.. الذى دائماً ما كان يختلف إليه فى الوقت العصيب لشراء الأدوات التى يحتاجها.

اتجه إليه فوجد شاباً عرف بعد لحظات أن أبيه قد مات منذ زمن طويل فقال: لم يبق شىء من الماضى، كل أبطال الذكريات قد ماتوا حتى المدرسة هلكت.. ربما السوق هو البطل الوحيد الصامد..

إلا أن الشاب قال: لن يكون بعد أسبوع على الأكثر لقد صدر قرار بتغيير المكان وصرخ فى عنف بنفسه: ليس من حقهم أن يغتالوا البقية الباقية من عمرى لقد سُفح طموحة خارج البلاد وعليه الآن أن يبدأ من جديد ولكن بلا ذكريات.. يعود أدراجه مشيعاً ذكرياته لآخر مرة فى حياته.

openkandl.com

(٢٦)
(خطوة)

أخيراً سيأتى اليوم الذى طمح إليه ورغب فيه.. بالطبع لم يكن هذا اليوم هو حصاد القليل وإنما حصاد سنوات طويلة طويلة.. فهو لا يزال يذكر.. وهو على وشك المواجهة- تلك الأمسيات التى كان يطرب فيها بالكلمات.. كان الجميع يأنس عندما يغنى بينهم فشجعه الجميع دون استثناء وتوقعوا له مستقبلاً باهراً..

خرج عن تلك التشجيعات إلى الدراسة فالتحق بقدر استطاعته فى التعليم فقد كان يولى اهتماماً خاصاً بالغناء والطرب.

بالطبع لم يعد الطريق مفروشاً بالورود فقد انتقل من حيث يقطن إلى حيث يبزغ قال له البعض إنه لا شىء والآخرون كانوا على نفس الوتيرة ولكن قد يزيد البعض فيقول له إنه أحسن ولكنه لا يزال يحتاج إلى سنوات طويلة.. كل ذلك لم يكن ليفت فى عضده

obeikandi.com

فقد كانت كلمات التبشير بالسقوط واللا شيء تُشعل إرادته فيزداد عزماً وتأكيداً لسعيه راغباً إلى تحقيق حلمه.. ها هى الفكرة تلوح أمام عينيه.. إن هذا الرجل من القلائل الذين يقدرون أن يساعدوه ولا يعلم كيف اقتنص الفرصة ليقابله وفي عجالة سمع نبرات صوته فأعجب بها وأراد أن يقدمه إلى الجمهور.

ها هو يوم الحفلة.. يوم طال انتظاره إلا أنه جاء بعد أن بذل كل ما يستطيع من جهدها هو الآن فى حجرته ينظر إلى المرآة يحدث نفسه ويتساءل هل يستطيع أن يواجه الجمهور؟ هل سيخرج صوته الذى لطالما شدى به من قبل مئات المرات؟ ماذا سيفعلون إزائه؟ هل سيعجبهم؟ هل سيطربهم؟

هنا دخل الرجل إليه.. كانت عيناه تفيضان بشعور غريب.. الرهبة والشجاعة.. الحب والغيرة.. الأمل والسقوط..

لم يتحدث ولم يحاول هو أن يبحث إلى سبيل نحو عينيه فقد كان يخشى أن تتلاقى أعينهما فيرى ما لا يريد رؤيته.. وربت الرجل على منكبه فى رفق وابتسم دون أن ينبس بكلمة.. ولعله بذلك قال كل ما يكن أن يقال فى تلك اللحظة.. وكان ذلك بمثابة الثقة التى نبتت

فى لحظة فى أعماقه فأخذ يطلق زفرة حائرة مترددة فى صدرى أطلق معها كل قلقه وتردده وخوفه.. فى اللحظة عينها شق رجل الطريق إلى حجرته معلناً له عن مكاملة تطلبه وهى هامة من أخيه.. تذكر ساعتها أن ثمة برداً لعيناً تسلل إلى صدر أبيه وطلب من أخيه أن يمده بالأخبار قبل التطلع إلى اللحظة المرتقبة حتى يزداد إيمانه بنفسه..

قال له أخوه كلمتان ثم أُنهيت المكاملة.. أبوك مات.. عاد مترنحاً إلى حجرته فقد كانت الصدمة قوية.. هل مات عماده وعضده؟!!

لقد تركه مبتسماً داعياً له منذ الساعة.. هل هذا معقول؟

مات أبى.. مات أبى.. هكذا تمتم.. هل سأستطيع أن أعتلى المسرح وأواجه الجمهور وأنشد كلمات الحب والغرام وجثة أبى مسجاة على سريرها وقد اطلق سراح الموت بها؟

هل أستطيع أن أضحك وجثة أبى يمزقها الفناء هناك؟

انحدرت دمعتان وتملكه اليأس فقد أدرك أن هذا قرار بإعدامه وأن القدر دبر بمهارة- كعادته- الموعد واللقاء..

كان يصبو للحياة ويشدو للحب ولكن يوم أن يكون لهذا كله الإعلام والإعلان يكون عضده وصوته هناك.. يكون بصره مسجى

openkanali.com

مع تلك الجثة التى لطالما أغرقته بالحنان والحب.. بل كيف يتغنى بالحب ومن علمه الحب فى ذات اللحظة يموت ويتلاشى؟!!

إنه يكون بذلك منافق خائن لأبيه ولحبه الكبير..

هذا اليوم ليس يوماً عادياً أنه يوم لن يتكرر مهما عاش لأن الفرصة لن تتكرر بعد اليوم.. وتساءل: كيف سيتحكم فى انشاده واطرابه والنحيب يتصاعد رغماً عنه؟

كيف يقاوم البكاء فى كلمات غنائه ثم تسحق الدموع مقاومته وتطحن إرادته؟!!

إن الموقف خطير وكالعادة اللانهائية.. اختيار

فى هذه اللحظة دخل الرجل الذى هيئ به القدر الاختيار وتقابلت النظرات فتلألت الدموع فى عينيه.. مشى خطوات طويلة وتقهقر الرجل فوصل إلى منتصف المسافة بين باب الخروج وباب الدخول؟

تراءى كل شىء أمامه.. كان نداء حزنه وسنواته السالفة بالخروج فهو لا يستطيع أن يهب السعادة وهو لا يشعر الا بالحزن العميق..

ذاك الرجل الجليل الذى ساعده بكل شىء وجاهد وأوصله إلى هذا اليوم بعد جهد كبير والذى وقف أمامه يمسك بعصاه الرقيقة

ونوتته الموسيقية فى شموخ الا أن عينيه كانتا مذبوحتين بألم رهيب تراءى له بعض الجمهور الضاحك الباسم، وسمع هديرهم وتصفيقهم لإذاعة نبأ اقتراب موعد شموخ النجم الجديد..

تراءات له كل الأشياء وكان عليه أن يبدأ بخطوة نحو ما يعزم عليه وبالفعل كانت خطوته فى سبيل ما أريد له.

ooeikandl.com

(٢٧)
(الورقة الأخيرة)

كان يمتطى الحمار وهو يعرج به عبر الحارات والشوارع الصغيرة بالقرية النائية ويد الصغير تقود الحبل الشانق للحمار.. ولكن شىء غريب تسلل إلى صدره.. كان شيئاً كأنه الخوف من المجهول.. وكيف لايخاف من هذا اليوم خاصة؟

مد بصره إلى الأفق فوجد الشمس تخرج من بين السحائب خلف الأفق كأنها دمعة تتدرج على خد أحمر قانى.. انتقل إلى الحقول الخضراء التى عاش بينها طوال خمسة وعشرين عاماً متواصلاً..

بعد أن حسر بصره لفح وجهه الهواء المعتاد فأخذت خصلات شعره تتراقص ولكنه لم يهتم إلا بهذا السجل الذى بين يديه.. كان أبيضاً وبين شقيه أوراق كثيرة قد سُطرت كلها ثم نظر إلى الاسم الذى يتوسط السجل ثم ضحك ساخراً..

عاد بذاكرته إلى الوراء قليلاً جداً.. فوجد أن عمه ينتظر بفارغ

obeikandi.com

الصبر رجوعه صفر اليدين فهو خصم الأدب الأول.. فعمه لا يعرف من الدنيا سوى الأرض والفلاحة.. وبعد أن مات أبوه فقد وقع تحت سيطرة عمه وكذا أمه وقد كانت الأم والعم متفقين على أن هذه القصص التى يكتبها الابن والتى يذهب بها من آن لآخر إلى القاهرة سوف تنتهى إلى لا شىء.

وقد أقر أن كل هذا ضياع واستهتار.. وهو لا يزال يسمع كلمة من كلمات عمه ترن فى أذنه حتى الآن إذ قال:

عاوز تبقى زى بتوع السيما ياخيّ؟

كان الابن يستطيع أن يتحمنل كل شىء إلا السخرية منه أو النيل من مجهوداته أو طموحه لهذا، فقد أخذ الخصام يدب بين عمه وبينه فعمه لا يريد الأدب ويعتقد أن الكتابة مضيعة للوقت وقد مزق له من قبل جزءًا كاملًا من قصة كان يود كتابتها، وقد كلفه ذلك مجهودًا عظيماً حتى يعيد كتابتها من قبل..

ساعتها.. عندما انتهى إلى هذا الجزء من الذكريات.. توقف الحمار فنزل الى أرض المحطة وقال للصغير سأحضر اليوم عند المغرب.. ما أن وقف القطار حتى ابتلع كل من يقف على رصيف المحطة ثم اطلق صفارته الرعدية وانطلق..

ساعتها أخذ القصاص يتابع الذكريات تحت تأثير رج القطار.. تذكر كيف التقى بهذا الشاب القاهرى الذى قرأ له قصة قصيرة واعجب بها أشد الإعجاب ونصحه بالذهاب إلى القاهرة.. وذهب القصاص إلى القاهرة مرات ومرات.. دق أبواب كثيرة البعض كان يتحدث معه كأنه يشحذ والآخر يرده دون جواب.. وثالث لا يأمر بأن يراه..

كان كلما يعود يزداد عذابه فقد كانت نظرات عمه لا ترحم وكلمات أصدقائه قاسية.. يذكر تلك المرة الأخيرة التى قرأ لأصدقائه قصيدة من قصائده ووصل إلى هذا البيت.

فالذهب جحيم لدرب الفراق والشوك نعيم بسبيل قلب

وساعتها أخذ كل حاقد يبث سخريته فقال أحدهم: أعطنى جراماً من الذهب وأفارقك وأفارق بلدتك

وآخر قال: استفق يا شاعر أنت لا شىء.

وقد قابل كل هذا بالصمت ولكنه أقسم أنه سيراهم يوماً سيكون فيه الأعلى منهم.

وذات زيارة لكاتب صحفى.. رأى لأول مرة بوادر الأمل فقد قرأ الرجل له قصة صغيرة أعجب بها وبعدها أخذ رواية (تلك التى بين

openkanda.com

يديه الآن).

وقال كلمات أثلجت صدره.. فقد وعده بأن يذهب به إلى من يتبناه وبالفعل ذهب إلى كاتب معروف أنبهر بالأسلوب الرائع وأراد أن يقدمه إلى الناس، فضرب له موعداً اليوم يذهب معه والقصة إلى الناشر.

كم كان سعيداً بهذا أشد السعادة.. بالأمس فقط أخذ يتحدث مع أصدقائه اللذين كانوا وأفحمهم بهذه الأخبار وسمع من بين كلماتتهم كلمات كان يتوق إلى سماعها ولكنه لم يتحدث وفضل الذهاب عنهم.. ها هو ينظر إلى هذه الأوراق التى بين يديه فقد أدرك وهو يقبض عليها أنها حياته.. أنها الأمل والنور الذى سيصل به إلى الشمس.. شمس المجد.. كل ما كان يقلقه هو هذا القطار المتهالك الذى ينقله الآن إلى القاهرة فقد كان يخاف أن يمر الوقت دون أن يلحق بالموعد وهذا الموعد هو موعد حياته كلها.. حدث ما توقعه من سوء حظ فقد وصل القطار بعد تأخير ساعة كاملة لسبب لا يعرفه.. هكذا كاد الموعد أن يدبر، فاتجه إلى أقرب سيارة أجرة واندس بها وتوسل الى السائق أن يذهب به إلى المكان الذى يريد ولسوف يجزيه خير الجزاء خاصة أن نصف ساعة فقط هى الفيصل.. طلب منه سرعة الذهاب ولكن القصاص نفسه أدرك أن السائق لا

يستطيع.. فقد حشرت العربة التى يستقلها بين حشود العربات.. فقد اصطدمت العربة بالعربات والعربات بالناس..

علا الغبار كل شىء.. تعالت الأصوات.. تبددت ملامح السعادة.. ساد العبوث.. الناس كالخضم المتلاطم الأمواج.. الهواء كالدهماء يعصف بكل شىء.

ضاقت الأنفاس..

أخيراً نظر إليه نظرة حياة أو موت وأمره بأن يسرع مهما كلفه الأمر فالموعد موعد مصيرى.. تعاطف السائق معه ورأى كسرة فى جدار الدهماء والسيارات فأرادأن ينفذ منها ولم يفعل شىء سوى أن ضغط دواسة السرعة.

كان غافلاً عما وراء هذه الكوة فقد جاء بيت الدهماء بكل قوته ليسحق العربة ولم تمر ثوانى حتى كانت الأوراق الملتصقة بصدره ملتصقة بدمائه المتجلطة.

لفظ بيت الشعب كل ما فيه وتوجعت القلوب ولا يجد البعض سوى هذه الأوراق المتناثرة ليغطوا بها الجثتين، بالفعل حدث ولكنهم لم يستطيعوا أن يكملوا تغاطيتهما لأن دارهم تكاد أن تقلع..

تناثرت الأوراق الحمراء وعلى الرصيف الآخر وقف طفل يشاهد

obeikandl.com

كل شىء وهو يقضم القضمة الأول من رغيف محشى بالفول..

سالت مياهه على يديه ولكنه آثر عدم النظر فقد أعتاد هذه المشاهد أوصلت الريح إليه ورقة من أوراق القصة.. كانت تحتوى على أربعة عشر سطراً وفى النهاية آخر سطر قد كتب عليها (تمت).

لم يكن الطفل الصغير يعرف القراءة ليعلم أن هذه هى الورقة الأخيرة بالقصة فقد التقط الورقة ودس بها الرغيف وذهب إلى حال سبيله.

openkandl.com

(٢٨)
(ابن الحارة)

صاحبنا غريب الطباع.. فى صغره كان يلعب الكرة فى حارته وكان يأخذ بالألباب ولكن مع الأيام باعدت الأقدار بينه وبين هوايته المفضلة بعد أن أصاب درجات قليلة فى شهادة الإعدادية ترتب عليها أن يلتحق بإحدى المدارس الصناعية الزخرفية ولكن ما لبث الشاب أن وضع يده على شىء آخر فى نفسه.

كان منشأ ذلك فى أحد الأيام عندما جلس على القهوة الوحيدة بالحارة وراح هو والأصدقاء يتذكرون أحد أفلام السينما التى رآها من قبل وفى خضم المزاح أراد صاحبنا أن يقلد أحد الفنانين وانتفض وإذا به يقلده تماماً وتصادف وجود أحد خبراء القهاوى فأنبرى واقفاً إذ قال: يا بنى إنك ستكون مفناً عظيماً فى التمثيل.

انتهت الليلة مع الفجر وقد اعتقد اعتقاداً أكيداً أنه نجم السينما

obeikandi.com

الأوحد المنتظر..

عندما أشرق الصباح أخذ كتبه الدراسية واختلف إلى دور سينما الحى تاركاً المدرسة.

أحسب بنشوة غريبة إذا أنه عندما كان فى خضم الموهبة الأولى كان يحلم بالشهرة الواسعة والأموال المتدفقة والمعجبين والمعجبات.. هذا الأمل قد طار مع أجنحة الدخان بعد أن فشل فى اختبارات الأندية ولكن عادته تلك الآمال من جديد.. آمال فى تحقيق الأحلام وما أقساها أحلام وما أعظمها أحلام تلك التى تجعل من الإنسان يشعر بالتميز والتفوق على سائر البشر وليس هذا فقط بل أحلام تحقق الذات وتعوض جوانب عديدة من الحرمان.. فهو مثلاً محروم من أشياء كثيرة على اعتقاده.. عندما- مثلاً- يقف أمام المرآة يأخذ فى وضع يده على بعض جوانب وجهه ليخفى ما قد يراه قبيحاً فى وجهه.. تارة يبتسم وأخرى يبكى ولا يعرف أى وجه يريده يستطيع أن يطالح به الناس ويكون راضياً عنه.

كان لتأثير هذه الملامح الكثير على نفسه وعلى حالته العاطفية والنفسية فقد أحب صاحبنا من دون الفتيات أجملهن وأرقهن.. كان

يتعمد عندما يخرج إلى الحارة أن يوجه وجهه إليها وهى عادة لا تنظر إليه وقد لا تلاحظه ولكنه يذكر ثلاث مرات فى المرة الأولى لمحته وأكد هو ذلك وفى الثانية نظرت إليه نظرة شريدة لم تستقر على عينيه والثالثة كانت هى التى عزف لها أنشودة الحب وحفظ من أجلها كل أغانى الغرام والهيام.. ففى هذه النظرة استقرت العيون فى طريق واحد نعم كانت لحظة واحدة ولكن ما أهمية الوقت هنا طالما أن الحدث قد تحقق وهو نفسه لم يكن يطلب سوى ذلك.. سوى أن يراها ويحدق بعينيها..

تصور نفسه نجم من النجوم وشعر بالفخر لذلك لأن هذه الحالة ستصله بقلبه لا محالة فى ذلك.

كان أميناً وصادقاً مع نفسه وقرر أنه عندما يكون نجماً لن يفكر فى غيرها ولن يفضل عليها أحداً ولن يخونوا ولن ولن..

لقد عاهد نفسه أن حبه اليها حب دائم لا يموت مهما حدث.. وبالطبع عندما يصبح نجم لن يقطن بهذا المسكين المكون من طابقين كل طابق من حجرتين.. بل سيشيد قصراً.. نعم لابد أن يشيد قصراً، ولكن كم حجرة سيتكون منها القصر؟.. لم يمهله الوقت لذلك فقد

كان وقت عرض الفيلم قد انتهى وخرج الى الشارع العريض ومنها إلى الحارة.. قبل أن يخرج من مبنى السينما وقف أمام صورة الإعلام الضخم احتقر ذلك الرجل الذى ملأت صورته هذه الأمتار وقال: غداً.. ستكون صورتى تملأ كل الأجواء.

عندما مشى إلى حارته وكل الجمرتين اللتين يكونان مرمى الكرة وكأنه يتمرد على الماضى وعلى تلك الموهبة التى لفظته واحتقر الكرة وكيف سترتقى الكرة إلى التمثيل؟!! كيف سيرتقى الركل بالفن؟!!

وقف برهة وتصور موقفه وهو يجئ إلى الحارة وقد زفته طبول الانتصار وكاميرات النجومية.. تصور موقف زملائه منه انهم الآن لا يلاحظونه وكل ما يستطيع أن يقوله عنهم أنهم جاهلون بالنسبة له وهو عادى بالنسبة إليهم، ولكن هو لن يرضى بهذا بعد اليوم يجب أن يندم الجميع على عدم جعله قائد لفريق الحارة كلها يجب أن يندموا لأنهم لم يجعلوه القائد الوحيد والمدبر القوى، يجب أن يراه الجميع فيكبره ويتمنى لو تحدث معه ويجب أن يقول أهل الحارة يوماً أن هذا لرجل والنجم المشهور هو أحد أبناء الحارة يجب أن يقول أحدهم: أقسم أننى تحدثت معه أيان أن كان صغيراً وآخر

يقول: أقسم أنى أقرضته منذ سنوات طويلة.. يجب أن يتذكره الجميع والا ينساه فرد واحد.. ولكن كان هناك سؤال يشغله هو.. من أين أبدأ؟

فى اليوم التالى ترك كتبه الدراسية فى حجرته القريبة الشكل والنظام وراح إلى أماكن لم يعهدها أبداً.

راح إلى رجال ابتزوه وآخرون وعدوه وآخرون احتقروه.. ولكنه لا يستطيع أن ينسى يوماً فى حياته هذا اليوم قد بدأ بزيارة بعد.

سبعة شهور من التعب والمجهود المتواصل وبالطبع رسوب دراسى ومنازعات منزلية واحتقار من قبل زملائه وترفع من آخرين وفرحة من حاسدين.. بعد سبع شهور حصل على أول دور له فى حياته وكان هذا الدور هو الوقوف دقيقة واحدة بلا حديث أثناء تصوير فيلم.. وكم كانت سعادته عندما وصل إلى هذا الأمر لأن هذا يعنى الكثير من أنه سيصبح وجهاً على الشاشة الكبيرة ويستطيع أحد المخرجين أو المنتجين إسناد إليه أحد الأدوار الصغيرة ومرة فى مرة يستطيع أن يكون نجماً من النجوم.

ولكن الشىء الذى أسعده أكثر وأكثر هو أن التليفزيون سيعرض

مشاهد من الفيلم وقد تأكد من مصادر واثق منها أن الفترة والمحددة بدقيقة ستكون ضمن مدة العرض التليفزيونى الذى لن يستمر أكثر من نصف ساعة.

عندما اكتمل الفيلم تصويراً كان أسعد رجل فى العالم وقد أخذ ما حصّل من مال ولم يصرفه أبداً بل وضعه فى أوراق خاصة، وقد كتب عليها تاريخ الحصول عليها.. بقى شىء أخير لابد أن تعلم كل الحارة وقت العرض التليفزيونى لم يكن هذا من اليسير خاصة أنه يريد أن يمد حلقة الاهتمام حتى تشمل حبيبته.. فى المساء اختلف إلى منزلها وانتظرها فى نهاية السُلّم، ولما كان يعلم موعد حضورها من زيارات الجيران فى بعض الأوقات المحددة كان يقف وهو على ثقة من الأمر وجاءت..

وقف وهو يهيئ من نفسه واستقبلها بابتسامة عريضة فاندهشت ملامحها ومنذ تلك اللحظة حتى انتهى من حديثه معها لم يدر ماذا قال وماذا قالت بل لم يعد يتذكر أى شىء.

بقى فى ذاكرته شىء واحد هو أنه سيعبر إليها وقلبها بعد أن تراه بالتليفزيون وبالطبع ستكون فرحتها غامرة عندما يحبها المتميز الوحيد

openikandi.com

بالحارة ذلك الرجل الذى يطالعه الجميع عبر شاشات التليفزيون.

اتجه إلى أمه باعتبارها أكبر مثيرة للكلام فى الحارة وبث إليها الخبر وسعدت الأم بعد طول عبوث وخرجت إلى نساء الحارة لتتحدث اليهن بهذا الخبر، ابنى نجم، وكم شعر بالسعادة عندما استيقظ من النوم فى اليوم التالى وخرج إلى الحارة ليجد أن كل العيون تلتقى فى عينيه.

قرناؤه قد بدأوا يهتمون بهذا الصبى أو الشاب أو حتى الرجل النحيف ولكن رغم سعادته القصوى فقد كانت هذه السعادة لا تقدر بسعادته عندما رفع عينيه إلى نافذة حبيبته ووجدها تحدق فيه، أخيراً تلاقت العيون فى نقطة من اختيارهما، بقى شىء آخر هو الانتظار إن البرنامج سيعرض بعد اسبوع كامل.. وانتظر الجميع الأسبوع.. كان يشعر أن هذا الأسبوع سبعة قرون فحاول أن يضيع الوقت فى شتى الأعمال ولكن كان شيئاً هاماً يتذكره أن هذا البرنامج هو سبيله الوحيد إلى قلب حبيبته وإكبار الرجال له وتميزه عن سائر أبناء الحارة.

بعد سبعة قرون جاء الموعد واصطفت الحارة فى صفوف.. من

كان يملك تليفزيوناً يجلس بجانبه من لا يملك أما القهوة فقد امتلأت عن آخرها لأول مرة فى تاريخها أمام برنامج ثقافى.. كالعادة ما أن بدأ البرنامج حتى تطلعت إليه العيون.. كان وقت البرنامنج نصف ساعة، وبدأت الدقائق تتسرب من خلال أعينهم.. مضى خمس دقائق عشر دقائق، ربع ساعة، ثلث ساعة بل خمسة وعشرون دقيقة تحدث الكثيرون وجاءت فقرات من الفيلم ولكن هذه الدقيقة الملعونة التى قد ظهر بها كأنما خاصمها الجميع، أخذ العرق البارد يتساقط على جبهته الساخنة الملتهبة أنه يشعر أن النظرات تسأله وتتهمه بل إن رموش العيون قد أضحت سجناً لا يستطيع النفاذ منه.. وانتهى البرنامج.. وقف صاحبنا ولا حول له ولا قوة كان يريد أن يصرخ من أعماقه متمرداً على الظلم ولاعناً المصدر الذى أكد له ظهوره بالبرنامج، كان يريد أن يمثل للجميع الدقيقة بل ما كان بها.. كان يريد أن ينقذ كرامته بل كان يريد أن ينقذ أحلامه.

انفض الجميع من حوله وقد أطلقوا سخريتهم والتى بها كأنهم ينتقمون منه.

مشى خطوات قليلة حتى وصل إلى صحن ا لحارة.. ورفع بصره

اليها، تقابلت العيون، وبعد برهة أوصدت النافذة.. شق طريقه إلى منزله وسط نظرات ود أن يتفادها بكل ما لديه بل ود أن يتفاداها بحياته فقد كانت ابتسامات الساخرين وكلمات المتهكمين تنحر صدره وتكاد أن توقف قلبه.. لقد شعر بالإهانة الشديدة ولم يكن لى أى منطق حتى يرد.. عندما مثل أمام والديه كان صامتاً وهما كانا صامتين، ولكن الصمت لم يكن يعنى كل شىء.. لم يكن يعنى الرضا.. كانت ملامحهم تحمل كلمة الفشل، تذوق مرارة الكلمة، بل إن لهيبها أحرق كرامته وطموحه وكبريائه وثقته بنفسه وبعد لحظة واحدة قرر قراراً واحداً.. لقد قرر الهروب.. وهو يعترف أن الهروب سلبية ولكن لم يعد ثمة حل.. لقد انتهى.

عندماكان على وشك الخروج لمح بطرف عينيه الآمال والأحلام وانتزعت دمعة نفسها من بين جفنيه الحمراوين ولكن الحسرة التى صاحبت هذه الدمعة خلقت شيئاً آخر فى نفسه. خلقت الطوفان.. فهو لم يعتد أن يبكى ولكن هذه الدمعة قد أشارت فى فصاحة على مدى آلام نفسه ومدى ا لضياع الذى شعر به ولكن الأمر برمته كان له جنب آخر كنتيجة مباشرة للضياع الشامل، فبعد عشر سنوات ولج

إلى الحارة لأول مرة بعد تركها ولكن هل كان لهذا أهمية؟ لقد كانت أهمية ولوجه إلى الحارة مرة أخرى منبثقة من ذاتته وشعوره بالثقة، فقد كان يريد أن يثبت لهم خاصة كينونته.. نعم عندما ولج كان حبيبته أم لأربعة من الأطفال وقد مات أبوه وتغيرت ملامح الحارة ولكن الزملاء كانوا ما يزالون موجودين، معظم من سخروا منه كانوا موجودين عندما جاء مرة أخرى، نُسِيَ شيء أخير أنه عندا ولج إلى الحارة بعد عشر سنوات كان نجم السينما الأول.

openkandil.com

(٢٩)
الجبهة والقاع

كان الطريق يمتد وكأنه بلا نهاية وقد ابتلعه شحوب الغروب فبات المشهد والأشجار تحف الجانبين كأن المكان يجمع آلهة الأوليمب القديمة، ورغم ذلك فقد كانت سعيدة ولم لا ونبض القلب بجانبها وقد اشرقا بابتسامة وردية. وبعد دقائق من الحديث الحلو توقفت العربة وغُلقت الأبواب وولجا إلى ذلك المنزل المنعزل.. كانت تحبه فهو لها تلك القمة التى لا يصلها سواه، فهو الكاتب والروائى هو الفكر والعاطفة أحبت أن تعرف أين تولد الكلمات فاتجها وثالثهما الحب إلى حيث تولد الكلمة، جلست أمام مكتبة عتيقة قد تراصت بحناياها الكتب فى صفوف دقيقة وفى وسط الحجرة الرئيسية يقع المكتب الفاخر وعليه تراصت أوراق بيضاء ناصعة وعليها استلقى القلم، بزغت نظرات الانبهار فى ملامحها. استرخى فى مقعد مكتبه وقد أمسك قلم بين أنامله، قالت: (ما كنت اعتقد أن المكان سيكون

obeikandl.com

كذلك)، فى عدة جمل حسنة الترتيب أخذ يحدثها عن ذلك المكتب وتلك الحجرة وهذا الركن وهذه الكتب.. الخ.

اندهش قائلاً: (لماذا تبتعدين هكذا) فانتقلت إلى المقعد الوحيد الملاصق للمكتب واستطرد: ماكنت أحسب أننى سأحظى بهذا الشرف.. أنت لى حلم..

وردت: إن الفتاة الصغيرة لا يمكن أن تكون حلماً بالنسبة إلى مثل القلم الماثل أمامها.

استكانت ملامحه وأفاد بأن حلمه أن يكون معها ولا يكون معهما أحد.

انطلق يعزف على أوتار الحب والتقط يدها ولثمها.. وشعرت آنذاك أن ثمة شيئاً يدور ولم تعلم بعد ذلك كيف تسنى لها أن تعرف هذا.

انتشلت يدها من بين أنامله التى استعادت الامساك بالقلم وقال: أرى وجهك قد تخضب بالحُمرة يا لك من صغيرة.. إلا أنها أومأت إلى الصمت.

استطرد: يبدو أن الحبيبة ماتزال فى غلافها أو شرنقتها لماذا لا تنقرين البيضة لتخرجى إلى الدنيا؟ إلا أنها أرادت أن تذيب شكوكها، (يبدو أن ذوقك فى اختيار الأثاث رائع) ووضع القلم على أوراقه مرة

أخرى، قام واقترب منها، هكذا مزقت شرنقتك، أدركت عدم الفهم وتساءلت عما يريد أن يقول فرد فى صوت روتينى به مسحة من العاطفة.. الحب.. ببراءة شديدة تساءلت عن الحب ولم تكتف فانبرت فى لهجة مسرحية، اننى اسأل صانع الحب فى صومعة الحب.. اننى اسأل فى ذاك المكان خاصة لأنك تكتب هنا.. فى هذا الموضوع وعلى ذلك المقعد وبهذا القلم، إذن لم يبق سواك لكى تجيب عن السؤال.

ابتسم وتساءل مندهشاً: الا تعرفين الحب؟ هلا مزقت شرنقتك أولاً..

- ماذا تعنى بالشرنقة؟

- عزيزتى وحبيبتى أنت لا تزالين تحملين عقل الصبية.. هيا مزقى هذه الشرنقة لتخرجى إلى عالم المرأة الحقيقى عالم الحب.. إلا أنها لم تفهم أو لم تكن تريد أن تفهم، ابتعدت خطوتين وقالت: إن للشرنقة أهمية بالغة يا صانع الحب.

رد فى ثقة: ان هذه الشرنقة أول ماتعوق الحب..

- ولكنها..

- لا لكنها أنت لا تعرفين حبى لك.. هنا هذا المكان الذى لطالما شهد انبثاق الحب سيشهد تمزيق شرنقتك التى لا تستطيعين الرؤية من خلالها..

opelkanadi.com

- ولكن قد أصبح ضريره إذا ما مزقتها..

- لماذا لا تنطلقين إلى الحب؟

- وما الحب؟

- سؤال ساذج يفسد المكان.. الحب معروف

- اننى لا أزال بالشرنقة يبدو أنها تحجب عنى ما رأيته أنت

- الحب هو السر بين الرجل والمرأة..

- الحب المجرد؟

- الحب هو الحب

- إنك بذلك تقصد حبد القاع للقاع

- لكل شيء لغة ولكن شعور قمة

- قمة القيعان برهة

- وما هو عمر الإنسان؟ برهة!..

- كل العمر برهة؟!!!

- وهل نقيس العمر بالسنين؟ إن سعادة الدنيا بهذه البرهة

- وهل هذا هو كل شيء؟

- وماذا كل شيء؟

- القمة.. الجبهة

obeikandi.com

- فى البرهة يكون الجميع فى مستوى واحد..
- لأنها برهة وعدا ذلك فالقمة هى القمة
- يا لها من شرنقة
- ويا له من مداد
- أى مداد..؟
- مداد قلمك
- ماذا تعنين؟
- يبدو أن القاع الآن هو العمر الذى يبحث عنه الجميع ولكن من يبحث عن القاع لابد أن يظل فى نفس المستوى.
- وما رأيك فى مدادى؟

تبتعد عدة خطوات وتفتح الباب وتقول: برهة.. وفقط..

obeikandl.com

(٣٠)
الحائرة (أو)
زهرة بلا عبير

وقفت كعادتها أمام المرآة.. راحت تحدق بملامحها وهى فى حيرة.. هل تسعد بهذا الجمال؟ أم تلعنه؟.. بنظرة لا شعورية أظهرت جمال عينيها الزرقاوين، رسخت الحيرة على وجها فانتشت برهة وعاودت النظر إلى نفسها حتى تستطيع الخروج مرفوعة الرأس تتوج أنثاها بتاج الجمال الذى يجب أن ينحنى له كلهم.. كانت المسيرة إلى النادى تحتاج ربع دوران فصممت على السير ككل مرة وكأنها لا تحتاج إلى السير بقدرما تحتاج إلى أحضان الذكريات.. تلك التى أشعرتها بالسعادة ربما لأول مرة فى حياتها، فقد تخيلته وهو هابط من العمارة الشاهقة التى غُرست أمامهم.. تخيلته يسير بجانبها فى الصف الآخر يلاحظها بطرف عينيه وتحدق به بلحظ عينيها وربما أدمعت عندما تذكرت ذلك اليوم الذى تخاطب معها فيه.. كانت محادثة عابرة أشعرته خلالها أنها

obeikandl.com

ملكة جمال الكون الذى يجب أن يخضع لها كل رجل مهما كان، فى نفس الوقت الذى كانت تتمنى فيه أن تجثو طالبة كلمته التى لطالما حبساها عن بعضهما، فهو أيضاً ليس بالذى يخضع ويتمنى ويرجو وينتظر النتيجة.. ولا شعوريا ضغطت على تلك الزهرة التى كان قد أهداها إياها فى المحادثة الوحيدة كأنها تنتقم من نفسها.. كانت هذه الزهرة هى أحب الأشياء إلى قلبها فودت الانتقام من قلبها بسحق ما تعلق به من بقايا.. صاحبت الضغطة صرخة مكتومة وعبرة حارة ترقرقت على خديها، معترضة على هذا الكبرياء المميت الذى أوحى لها هذه الفكرة التى أحرقتها وأحرقته.

فعندما اجتمعت مع رهط صديقاتها المقربات أقرت احداهن أنها رأته مع أخرى بمفرديهما عدة مرات، جئن جنونها.. كيف يفعل هذا؟.. ولما تأكدت بنفسها هتفت أنه إذن آدم الخائن.. الذى يبث النظرات المحترقة ثم يلوى إلى لا شىء.. ساعتها قرر كبريائها الجريح أن ينتقم وردت الصعفة.. كان يجيب أن تقنعه أنه لا شىء وأن المعجبين بجمالها أعظم منه.. منهم من يستطيعون شراءه وداره وكل شىء.. منهم من هو أجمل وأوسم منه.. سمحت لنفسها أن ينميها كبريائها هذا الحب الذى استقر بأعماقها بآخر.. بل كانت

تتعمد اصطحابه إلى النادى حتى ترى كبريائه الذى يحترق والذى يظهر رغماً عنه.. كانت الصدمة شديدة.. كيف تفعل كل هذا فى لمح البصر؟ هكذا أيضاً تساءل: إنها إذن حواء الخائنة.. هل تظن جمالها زلفى حتى تمتهنه؟

صرخ.. لا.. لا.. لتذهب إلى الجحيم.. يجب أن يمتنع عن هذه النظرات.. سيحرق حبه بكبرياء الرجولة وسيكتفى بذاته سداً يسجن صرخات فؤاده.. لن يلجأ إلى أخرى يرشف من ضحكاتها ماء رجولته.. بل صمم أن يرتاد النادى أكثر من ذى قبل حتى لا تلاحظ أنه حزين.. يجب أن يضحك ويبتسم حتى لا تدرك حزنه إن صمت.

أما هى فقد تساء لت بعد ابحارها مع عماد غرورها أين هى؟ رأت فى قوة.. إنه خائن لابد أنه يراها فى السر.. لم تكن تستطيع مواجهة نفسها أو احتمال مواجهة كبريائها إذا ما علمت أنه برئ.. كانت ساحته تخلو من اتهام تلو آخر ولكنها كانت تُصر على أنه خائن لأنه يجب أن يكون سبب تعاستها لا هى..

لم تدرك أن مجرد محاولاتها لاتهامه تعنى أنه لا يزال بأعماقها.. فى هذه الأوقات كانت قطرات كبريائها تتزايد.. احساسها بالجمال يرتفع منسوبة فقد أدركت أنها تحبه ويجب أن تعترف بهذا.. أخذت

المساحيق ترتفع على وجهها فتشعر أنها أكثر جمالاً لترتفع عن شعور الحب.. إنها أكبر من أن تحب هذا الشخص.. واجهت النهاية وأكدت أنها لن تستطيع أن تستمر مع هذا الثالث.. فافترقا.. شعرت أن مثل هذه الخطوة عظيمة منها إلى الدرجة التى لن تفعل بعدها شيئاً آخر.. فإن خانها وظل حبه بأعماقها فهاهى تسامحه وتتخلى عن خطئها كأنها تدعوه إليها مرة أخرى، حدث ما لم يكن فى حسبانها، فقد قابل رهط صديقاتها تلك الفاتنة التى وجدنها معه عدة مرات وقالت احداهن: لقد كانت أخت غير شقيقة له.. لم تستطع منذ هذه اللحظة الدفاع عن كبريائها وجمالها.. بل أخذت تنتقم من هذا الجمال فأهملت المساحيق ورضيت بعادى الرداء.. ولأول مرة تجلس إلى مقربة منه.. تساءلت فى مرارة: إننى أحبه.. لقد ظلمته.. ماذا استطيع أن فعل؟ إن كبريائها سيمنعها من الذهاب إليه خاضعة ترجو الغفران والحب؟!

لاحظت أن نظرته قد تبدلت بأخرى بلا أمواج.. لاحظ هو ذلك الأمر وتعجب.. ماذا تريد؟ أليست هى البادئة؟ هل تحسبنى الفرصة الثانية؟ لا. سأتركها هكذا تحترق.. ما أن اقتحم احتمال حبها له نفسه الا وعاد جزء لا يُستهان به إلى قلبه منها.. عادت دائرته من جديد..

كبرياءه لن يرضى فهى التى أخطأت وهى التى تعدت.. إذن يجب أن تجئ تتلمس أولى خيوط رجولته وهى تكابر كعادتها وترفع رأسها تلملم نظرات المعجبين وتتمنى أن تلقى نظرته معها ولكنها لا تجدها.. عندما تذكرت كل هذا.. كانت قد وصلت إلى مقعدها وسط رهط صديقاتها وقد أودعت زهرته بين دفتى كتاب.. جلسن على مقربة منه.. هو يحدق باللاشىء.. وهى تحدق بزهرته المتداعية.. عندما هوت دفة الكتاب على الزهرة تحطمت تماماً وهوت بقاياها لتجد يديها.. فعلت كما فعلت أول مرة. قربتها إلى وجهها فى كثير من الرقة والكبرياء.. أول مرة وجدتها ذات عبير.. أما اللحظة فقد ترقرقت دمعة وصرخت من أعماقها قانطة.. الزهرة.. بلا عبير.

١٩٨٩/١٠/٢٣

openkanal.com

obeikandl.com

(٣١)

تصبرون

كان يوماً من أيان شهر يناير الشديدة البرودة والمطر ينهمر على قارعة الطريق وعندما أتت الريح كانت بعض القطرات ترتطم بتلك الألواح الزجاجية الملتحمة بالعصوات الخشبية التى نخرها الزمان فيحدث ذلك صوتاً رتيباً يبث القلق..

خلف تلك الألواح الزجاجية الملتحمة بالجدران ذات الطلاء الشاحب جلست تلك الفتاة على أريكة خشبية وقد ارتدت اسمالا باليه.. قد جلست وفى عينيها خشوع غريب وتساءُل عجيب وفى ثوانى أدارت عنقها الهزيلة بزاوية فقيرة فاصطدمت بجسم مطروح على أريكة أخرى لامس الحياة عن طريق تلك الأنفاس المتسابقة.. كظمت الفتاة عندئذن دمعها فقد تذكرت تلك الجثة وهى تحملها صغيرة مدللة إياها وتلك اليد التى تثرى بالعروق الضخمة وهى تحملها ثم ترفع بها إلى أعلى فتهوى إلى اليدين.. تذكرت الكثيروالكثير

ولكن لم يعد لها أدنى فائدة من التذكر.. بعد لحظة تصاعدت تأوهات من الجسد المسجى فعرفت ما يجب أن تفعله، ذهبت إلى مقعد ذى أرجل ثلاث وقد ارتكن إلى جدار ليتمكن من أن يقيم أوده ومن عليه، أحضرت اكسير الحياة للجثة التى غابت عن الوعى الكثير، وبطريقة روتينية تناول الرجل الدواء ثم نظر إلى الفتاة نظرة الهارب من شىء ما وتمتم بكلمات ضعيفة (دعينى أملأ عينى من عينيك قبل اللقيان) ثم غاب فى الغيبوبة التى كأنه أدمنها.

عندما استقام ظهرها فى وهن عصفت الريح بالألواح الزجاجية الموصدة فانفسخت وأزهقت تلك الريح ذاك الضوء الشاحب المنبعث من شمعة وحيدة قد ثبتت على أحد الرفرف.. وبسرعة، اتجهت الى ذلك الشباك النحيل وصارعت الريح حتى أغلقته وعندما اسندت جبهتها إلى يدها الضاغطة إلى الزجاج.. تراءى لها شبح ما.. وبعد برهة تحققت من الأمر.. فقد كانت تعرف صاحب الشبح الذى جاء متدثراً يقاوم ذاك الشتاء القاسى وقبل أن يلج إلى حجرته لمحها بطرف عينه فابتسم الابتسامة التى عهدتها منه، ثم ولج إلى الحجرة.. رغم الضوء الخافت جداً المنبعث من الزقاق الضيق الا أنها استطاعت أن تصل إلى الثقاب وتشعل النار فى الشمعة من جديد.. إلا

أنها لم تكن تشعر بالرضى لهذا الضوء وكأنها تعلم أن ما حدث سوف يتحقق ولسوف تأتى ريح أخيرة تمزق الضوء وتقتل الأنفاس الباقية المدخرة فى صرة ذلك الرجل المسجى على الأريكية.. كان تشعرأن ثمة قيداً يعتصرها.. قيداً لا يحد من حريتها فقط بل يضيق حتى يضيق صدرها ويختلج قلبها وتشتعل أنفاسها.. ها هى قد عاشت هذه العشرين خريفاً دون أن يكون لها الحق فى أن تحاول حتى مجرد المحاولة أن تصارع هذا لقيد.. إن هذه العشرين خريفاً كانت كالمشنقة التى ترهق روحها كل يوم فإذا ما جاء المساء تنبعث الروح فى الجسد المخلخل وتظل عيناها مسهدتين طوال الليل.. ها هو القيد يطالبها اليوم بأن تنقذ الجثة، لا يجب أن تتردد، يجب أن تنفذ من إرادة المشنقة وكفى كل هذاالعذاب.. نعم ستكون فتاة أخرى ولكن لم يعد ثمة أمل.. استوقفتها شقيقتها إلا أنها أصرت وهددتها بالبرد إلا أنها تحدت وخرجت من الباب فأحدث صريره المعتاد.. كان كل ماعليها أن تحبو وأن تقدر على سير هذه الخطوات العشر.. بدأت قدمها تخطو أولى الخطوات وانغرست قدمها فى ذاك الطين ولكن رغم أنها حدقت فى هذا المشهد وقد ارتكزت قدمها فى الطين إلا أن كل هذا لم يجعلها تفقد ذاكرة ما خلفته خلفها.

خطت الخطوة الثانية وقد انهمر المطر بشدة وأتت الريح بقسوة فانزاح الشال المهترئ من فوق رأسها وتبلل وجهها الرقيق بالدموع وتهدلت جدائل شعرها الذهبى.. كم كانت قاسية عليها الخطوة الثالثة كان ينبغى عليها أن تقتلع قدمها مما كانت فيه ولما لم تستطع أدارت بصرها إلى الخلف فإذا بقدمها تنخلع من موضعها.

مرت فى عرف القدر ربع الساعة وفى ذلك الحين كانت الشقيقة تفتح الباب الخشبى الموصد اثر ضربات متلاحقة شديدة.. عندما انهدم الحاجز رأت الشقيقة الفتاة فى حالة لم تكن قد رأتها فيها من قبل.. لم يكن ذلك الشعر المهندم بهذه الشعاثة ولا هذه الملامح الهادئة بهذه الشراسة ولا العينين فى تلك الحمرة، إلا أن الشقيقة قالت فى صوت متشح بالحزن رغم نبرته السعيدة: لقد باع العم القيراطين وأنقذنى المبلغ ثم ذهب، لقد حدث المراد فارتفع وجه الفتاة يبتهل والدموع تكسوه وقالت:

لقد نجونا.. الجثة وأنا.. لم أكن لأنادم موطئ قدمى..

(٣٢)
من أجل قصيدة

كانا يسيران بطريق طويل.. ونأيا عن الكون بجزء صغير منه تاركين بقية الأجزاء للناس ولكن هذا لم يكن يفصلهم عن الخضم فقد كانوا يصطدمون مرة وأخرى بأمواج البشر القادمين والذى يميز وجوهم ملامحهم العابثة ونظراتهم المتنافرة.. واشاراتهم المتصارعة وأصواتهم المتناحرة وهذا البُعد عن الخضم لأن نهر الطريق كان لعربات تنفث أصوات تبدد كل سكينة وتبث الهواء فى رواكد الجمر..

اكتفينا بنظرة واحدة لكى يفهما ما يعانيه الآخر.. وبعد برهة قال: انهم جميعاً متشابهين.. أتوا من الجحور والوكور ثم سيرجعون إلى سيرتهم الليلية.. انها دائرة وقد تهت بها، فشدت على يده ولامست أناملها الحلقة الذهبية المعلقة فى بنصره الأيمن وقالت: ولكن هذا كله لأنك شاعر.. أنت وحيد من بين قليل يستطيع أن يشعر أكثر من الأفراد العاديين.. ان موهبتك كان لابد لها من ثمن وهذا الثمن

obeikandi.com

هو أيضاً الذى يجعلك تبدع.. أنت حزين لهذا أنت تكتب، وضحك ضحكة ساخرة وقال: ولكن مركزى بالدنيا ليس شاعر فقط.. اننى أحب وأريد أن أتزوج.. لن استطيع أن ابنى من أبيات الشعر منزلاً يأوينا لن استطيع أن أملك بالمعانى ما يجعلنى أملك اكسير الحياة.. المال.. هل نسيت أننى فى بداية الطريق.. أريد وأريد سنوات عمرى تفلت من بين أناملى.. أيامى تُقطر من بين جفونى.. ماذا أفعل؟

وصمتت لأنها لم تكن تملك الحل.. ثم اطلق زفرة أسى واستطرد: يقولون أن أملى الوحيد هوالمسابقة الكبرى فى الشعر ولكن الجميع الآن شعراء.. هذا شىء غريب.. إذا كان هناك هذا العدد الكبير من الشعراء فمن هم القراء؟

كل حنايا الصدور تناولتها الأقلام.. لم يبق شىء آخر أستطيع أن أغمس فيه قلبى لأخرج بالقصيدة التى تستطيع الفوز.. أنهم يقولون لا فن بلا حزين.. ولكن حزنى هذا اعتمادى.

هل سأنقب فى الأرض عن مأساة أعيش فيها.. أن الحياة مأساة.. لم تتحدث وقد كان هذا وازع لديه ليتحدث أكثر فإنه يريد أن يشكو بثه إلى أحد ما.. وقد اعتادت هى على كلماته واصطبغت ملامحها بأطياف أبياته..

إفترقا..

كان الليل هذه المرة طويلاً أكثر من المعتاد فقد اعتادا أن يجافي اليوم عيونهما.. في هذه الليلة وضعت يدها على الكورة.. أخذت تتحدث في ظلمات الليل.. إنه يريد مأساة تهزه حتى يكتب.. يجب أن يتعذب حتى يُشعر.. ان ثمن بناء حياته يجب أن يكون فادحاً.. نعم لن يلبث أن ينساني.. ولكني لن أنساه..

في اليوم التالي أمسكت بطرف الحديث.. إنك تعلم أن الحب بيننا دام أربعة أعوام.. وإني لأعتقد أن هذه المدة كافية لتكون عنوان لقصيدة حياتنا.. إن الفشل هو المصير الوحيد.. هل تعتقد أنني سأنتظرك سنوات أربع جديدة حتى يأتيك الإلهام وتكتب القصيدة المزعومة حتى تنال الفوز.. إنك واهم.. أنت لا شيء.. أنت تافه.. بل أنت لا تستحق كلمة شاعر.. كان هذا كفيلاً لكي يبدد كثير منها في نفسه لقد لعبت على وتر حساس، وتر الرجولة.. حتى الصفعة التي صفعها إياها لم تكن لتحس بها فقد علمت أن قوة الصفعة تدل على قوة جرحه.

حتى الحديث الذي دار بينهما.. لم تعد تشعر به فقد غشت عينيها الدموع والتي لم تكن دموع آلام بل دموع حب تهدره بيدها..

ذكرها بدوره بأحلام السنين ولكنها تنكرت.. تكظم طوفان شعورها.. لكل شيء.. ذكرها بالهمسة والنسمة والبسمة.. ولكنها سفحت أمامه حتى الذكرى..

ومر شهر كامل على ما حدث.. وما أسوأه شهر.. بكت فيه كل دموعها ثلاثين مرة.. كانت تود أن تذهب إليه لتقول له أن كل هذا كان إثارة لشيطان شعره ولكنها كانت تتراجع فى اللحظة الأخيرة فهى لم تكن تعلم هل كتب أم لم يكتب..

ولن تنسى ما حيت هذه اللحظة العصيبة التى لم تكن لتتوقعها فبرغم أنها لا تعتقد فى الصدفة إلا أنها وجدته يسير على الجانب الآخر من الطريق.. فقد اعتادت أن تمر فى دروب قد سلكتها من قبل معه وكأنها تعيش معه مرة أخرى.. فلما رأته شعرت أنها لن تستطيع أن تعيش ثانية أخرى بدونه.. وليذهب شيطان شعره الخامل إلى الجحيم وما أن كادت تخطو أولى خطواتها حتى ابتعلته المادة وعندما ظهر بعدها بقليل كان ذلك كافى ليقبر طوفانها المفاجئ ويعيد قوتها سيرتها الأولى..

وكأنها كانت تنتظر هذا اليوم وهو حين إعلان جوائز المسابقة الكبرى ولم تصدق نفسها عندما علمت أنه صاحب الجائزة الأولى

opeikandi.com

وعنونوا الخبر بميلاد شاعر عظيم.. وقرأت قصيدة، كانت تتمناها فى قوتها ولكن لم تكن تتمناها موجهةً إليها.. وعندما وصلت إلى بيت معين طرحت الجريدة أرضاً وراحت تبكى. وكان البيت يقول:

أقسم لأسفحن حبك وأشنقن قلبى بالماضى

وبعد أربعة أيام تماما وصل إليها منه خطاب قال فيه:

أنا شىء.. أنا شاعر..

لقد حطمت معبد حبك الدنئ وانى لأهديك بهذا الحين يانخاسة الحب هذا القول:

وسأحب يوماً أتى وساعتها أنت تتلاشى

و.. أنا شاعر..

أما هى قبلت كلماته الأخيرة ثم دفنت وجهها بين كفيها وراحت دموعها تتسرب عبر أناملها فى غزارة.

openkandl.com

(٣٣)
«حديث الغسق»

كانت نهايات شعاعات النهار فى طريقها إلى القبور والحُمرة الشاحبة قد بدأت تتلاشى تماماً فانقض الغسق وأعدم النور فسادت الظلمة.. وهو.. جلس على سريره الذى عاش معه طوال عمره وقد أسند ظهره إلى وجه السرير.. كان الظلام دامساً لم يكن يريد النور فقد كان يريد النوم ولكن النوم أَبى أن يُسبى الا بعد جهاد فلم يجد بد من أن يرسل إناء نفسه فى أعماق ذكراته.. فتذكر..

أطلق زفير سعيد وأخذ يتحدث:

هذه هى الليلة الأخيرة لأنام وحدى على هذا السرير.. فى الغد سيكون لى سرير آخر مع.. مع من أحببت.. كم هى جميلة.. لقد كافحت من أجلها طويلاً.. ثم يضحك ضحكة الانتصار ويقول: كان يظن أنه يستطيع أن يستميلها من بين يدى.. لابد أنه أبلة.. انه لم يعلم بعد من أنا؟

obeikandl.com

هل كان يعنى تفوقه الدراسى أنه سيكون أفضل منى؟ أننى منذ أن علمت هذا حتى أخذت أستنشق هذه الكتب التى لم أكن أطيق مجرد رائحتها من قبل.. ولقد تفوقت عليه.. نعم.. هو أيضاً كان يعتقد أن مال أبيه كان يستطيع أن يقيدنى؟ بالتأكيد هو لم يكن يعلم ثروتنا.. لقد عبّدتُ الطريق إلى نفسى إليها ببريق المال.. كنت أعلم أنها امرأة.. والمرأة لا تقاد إلا بهذا الساحر.. ارتديت أفخر الثياب وركبت أفخر العربات.. أنفقت بكل بذخ.. لقد أعلمتهم جميعاً أن كل شىء صار ملك أناملى.. وحتى عندما أخذت أشق طريقى إليها بعد نظراتها المنبهرة بهذا البريق العجيب أخذت تتعمق ببحور الأنثى وتُقوى الدلال حتى أرضخ.. ولكنى أيضاً كنت أعلم أنها لن تستطيع أن تقاوم فلجأت إلى الحيلة المعهودة.. إنها المرأة أيضاً.. عذبتها بابتسامات الآخريات وكويتها بدعابات من أجمل منها كنت أتوق أن أرى هذا الشرود فى عينيها وعلامات الحنق منى ومنهن تسرى فى شرايينها.

لقد علمت كيف أجعلها كالخاتم فى اصبعى.. وحتى عندما قلت لها أحبك كانت كالغير مصدقة.. إن أوتار الحب دائماً تعزف ألحان الشك والغيرة.. ولكن ليس لدى سوى هذا الأمر وهذا الوتر خاصة..

إنه غرور حواء.. تكبرها وتمنعها.. شدتها وقوقتها.. كان يجب أن أكسر غرورها فتنقاد إلى ما أريد.

الآن دان لى كل شىء.. الحب والتفوق والمال.. هى جميلة.. ولكن لا أخفى أيضاً أننى أحبها ولولاها ما فعلت كل هذا، ما كنت لأتحمس للدراسة أو أحب المال هذا الحب الجم أو أتعلق بالدنيا من أجلها كل هذا التعلق.. أتصورها ملكلة لهذا فقد سخرت المال فى تشيد أعظم شىء ممكن أنه ليس قصر ولكن ما فعلته بالنسبة لى قصر.

فمكان عرسى لابد أن يكون قصراً ولابد أن يكون ملائماً لها.. كنت أود أن أكسو الجدران ذهباً لو هى أمرت..

آه.. هى تعلم كم أحبها، ولكن ما بالى أقول كل هذا اليوم.. إن الغد هو يوم زفافى.. لقد أعددت كل شىء.. كل شىء وحسبت كل شىء.. نعم لم أنس شيئاً.. اننى فى غاية الاجهاد.. الآن إلى النوم والغد سيكون أجمل يوم.

أرخى جفناه وراح فى سبات عميق..

وفى الصباح لم يستطعوا أن يوقظوه فقد وجدوه.. ميتاً..

obeikandl.com

(٣٤)
فجران

فى طريقها إليه تذكرت أولى لقاءتها بزوجها.. كان ذلك قبل عامين مضيا.. ورغم أن ذاكرتها ضعيفة إلا أن تلك الأحداث لن تكن لتمحى من ذكرياتها أبداً..

رأته وهو وحيد والديه أثناء نزهة وكأنهما كانا على موعد.. فإذا بها تجئ فى اليوم التالى لتجده فى مكان الأمس وكأنه يستعيد الذكريات.. هى وهو ما كانا يحلمان بأن يتحابا بهذه السرعة ولكن حدث ما تمنياه.. لم تمر سوى شهور قليلة حتى وكانا مستقرين فى بيت واحد وتحت سقف واحد.

مرت ليلتها الأولى كضيف جميل لم تكن تحلم به ومرت الشهور ولكن بدأت علامات القلق تنتاب الجميع فالعيون اتجهت إلى رحمها ولكن الرحم لا يزال بلا أمر.. ارتادا كل العيادات لمشهورين وغير مشهورين من الأطباء واجتمعت كل الأسباب عليها فقد كان عندها

obeikandl.com

نوع من العقم يستحيل معه الانجاب بأى صورة من الصور.

عاشا معاً وقد شعرا بأن ثمة شيئاً ناقعاً فيهما.. كل كلمات الحب قد استهلكت ولم يعد المجتمع يلاحقهما بجديد من الكلمات.. أخذا يجلسان لمدد طويلة دون كلمة واحدة ولكن نظرات فقط متبادلة.. كانت تعرف أن من حقه أن يفعلها.. وهو يعلم أن حبها ليس بالشىء اليسير الذى يهدر، وكأن ثمة أمل قد بزع فقد زار مكانهما أعظم أطباء الكون فى علاج العقم واتجهت إليه مرة أو مرتين أثنائها أدت كل الفحوص اللازمة.. هى الآن تتجه إليه.. تصعد خطوات السلم الثمانية والأربعين وكأن كل درجة كانت خطوة أمل ويقين يائس، ووقفت وفى يديها ورقة قد كتب عليها شىء ما.. ولكنها لن تكن لتستطيع القراءة فقد كانت تتوق إلى كلمات تسمعها، وقف أمامها رجلان وكلها تتجه إلى تغيرهما الأ ول يتحدث والآخر يترجم وهى تترقب كلمات الأول وتتهلف لكلمات الآخر وفى النهاية قالا: لا أمل.. لا أمل مطلقاً. كم كانت قاسية تلك الكلمات فقد كانت تعنى أن الأنثى التى بداخلها قد فقدت قلبها، هبطت الدرجات مرة أخرى ومع هذا الهبوط انعدم الأمل حتى وصلت إلى سطح المكان، هطلت دموعها المتلألأة ومسحتها.. فعلتها العديد من المرات.. وصلت إلى

مقرها الجميل وعشها الذى بنته بنفسها مع شقها فى أيام سعيدة.. قبل أن تلج إلى العش الجميل وقفت وقفة المتردد القلق الذى يعلم مسبقاً ماذا سيحدث له.. لم تجد من تلجأ إليه فهبت نفسها بحملة شرسة على القدر إلاأنها استفاقت فى الوقت المناسب ورفعت رأسها إلى السماء ومسحت دموعها بيد صابرة.. تحدثت معه وكم كانت الصدمة.. عندما وجدت أن عينيه لم يعد بهما ومض الماضى.. قال لها كلمة صعبة.. قال لها إنه سيتزوج.

منذ هذه الليلة أصبح حبها مجرد رجل تشعر تجاهه أنه يؤدى مهمة روتينية وهى بقائه بجانبها.. بالفعل تزوج وكانت تعلم الموعد والعروس، كما كان عجيباً ما حدث بعد ذلك.. إذ لم تمر سوى تسعة أشهر وقد أنجبت صاحبتنا طفلاً رائع الجمال، أما الزوجة الجديدة فلم يكن مانع واحد يمنع انجابها لطفل ولكن لم يحمل الرحم.

عاد إليها وساعتها لم تبخل بشىء، فقد علمت أن هناك من لا يبخل عليها ولم يرد نظرتها بدون قضاء حاجتها.

الحجرة ضيقة.. كالزنزانة المغلقة.. ولم تكن بوابتها سوى سد من أجساد الأطفال.. سريران أحدهما عن شمال والآخر عن يمين ولا أحد يستطيع أن يحدد عليهما مكان مخصص حتى هما.. الأب والأم.. قد

يفضلان اقتراش الغبراء فى بعض الأحوال.

فى ليلة من ليالى الشتاء. كان الأب والأم يجتمعان عند أرجل إحدى السريرين وقد اعتلاه طفلهما السادس وقد أخذا يرقبان ومن حولهما الأبناء صدر الصغير.. كل ما كانوا يرجونه هو أن يظل يعلو ويهبط حتى يشرق الفجر.. هكذا كان الطبيب يقول ثم أكمل ان هذا معناه أن النجاة قد كتبت له.. مع أذان الفجر.. كان الجميع يتنفس الصعداء أما الأبوان فقد تواجها وحدقا كل بالآخر ودار الحديث الذى يسبق كل حمل ولكن بهذه المرة كانا مصممين على بتر الرحم.. فلم يكنا يريدان أن يُزيدا العدد آخراً.

الرجل لم يكن يستطيع شىء فاتجه إلى امرأته ودعاها إلى إحدى النساء العارفات بهذه الأشياء فالمال لم يكن يكفى أجرة مواصلات إلى طبيب.. اقترحت إحدى العارفات بهذه الأحوال اتخاذ أسلوب ردئ إلا أن نتيجته مضمونة تماماً وهكذا ارضخت المرأة.. ورضيا وأخذا يعيشان بلا أرق من المستقبل.

لم تمر سوى شهور قليلة حتى كانت خصال الحمل والتى اعددتها المرأة حتى عرفتها من أول وهلة.. جن جنوب الرجل.. كيف يحدث؟ وكيف تخيب هذه الوسيلة التى لم تخب قط؟

اتجه إلى المرأة العارفة وانتقم منها بأن أخذ منها شطر ما أمدها به ولكن المرأة لم تيأس فإذا بها فى اليوم التالى تتجه إلى الأم وتتلوا عليها أساليب أخرى.

تساءلت الأم: هل من مفر جديد؟

فردت العارفة الواثقة: بالطبع هذه أشياء مضمونة.. كم كان عجيباً، الجيران عندما سمحوا أصوات غريبة كأنها ارتطام شىء بشىء.. ود البعض أن يحطم الجدران ويعرف ماذا يدور بالداخل ولكنه لم يستطع أحد.. بعد ساعة لاحظ الجميع قدوم طبيب فاندهش الجميع فقد كانت هذه هى المرة الرابعة فقط التى يلج فيها طبيب دار من الديار.. وقف الرجل أمام الطبيب والمرأة مسجاة أمامه مغمضة العينين. تحدث الطبيب كل هذا مستحيل لقد كان شيئاً فظيعاً ولكن العجيب رغم هذا النزيف أن الجنين مازال يتعلق بالرحم.. بعد شهور قليلة جاء الوليد.. جاء وفى وجهه الخير والبشاشة.. عيناه الزرقاوان الوحيدتان فى الأسرة كانت تلمع بسر غريب وجبهته ذات ا لخطوط القليلة كانت تبث الراحة للناظرين.. ضحكته تملأ الجميع بالهبجة والسرور.. وبكاءه كان يبكى له الجميع.

أخذ الجميع يتعلقون به فالأب يجئ كل ليلة على أطراف

الأصابع ثم ينظر إلى الوليد وهو مستلقى على رداء ناصع وتحته قطعة من القماش الأبيض.. ثم يزيح كل هذا ويطبع على وجنته قبلة رائعة كانت تريحه من كل آلام اليوم.. ولكن الشىء الوحيد الذى كان ينغص على الأب حياته هو الأم فقد صحب الولادة بعض المتاعب وللمرة الثانية ولج الطبيب وقرر عملية للتخلص من بقايا الجنين الذى كان. لم يكن الأب يتحمل النفقات فاتجه إلى المستشفى ووجد صغار الأطباء فى ذلك الفرصة ولكن كان نتيجة ذلك هو عملية أعدمت جزء من الرحم معها، وكان هذا أمراً بألا حمل بعد ذلك الوليد.. لم يكن الأب أو الأم ليعرفا هل يفرحان أم يحزنان؟

لقد قضى القدر بألا حمل بعد ذلك وكان فى هذا رغبتهما فتركا كل شىء يمر كعادته فإذا ما جاء الحمل كان الإجهاض من تلقاء نفسه.. مرت شهور خمسة عشر حتى جاءت هذه الليلة.. كان الابن يحبو وهو يملأ الحجرة بصوته المرح والجميع يترقبه بشغف ولكن لم تمر الساعة حتى كان الابن طريح الفراش لماذا؟ لا أحد يعلم..

لم يجد الرجل سوى الطبيب حلاً.. فقد كان الابن الذى لم يرده نور عينه وقمة سعادته.. ما أن أحضر الطبيب حتى فحص الابن ولكن لم يكن شىء لِيُتحمل بعد كلماته فقد غطى وجهه وقال: البقية

فى حياتكم.. ثم انصرف..

ضرب الرجل كفاً بكف متعجباً.. لا يكاد يصدق هل مات الابن؟

هل مات حبه الوحيد وجنينه الجميل؟

ماذا يفعل؟

من خلف البكاء رأى زوجته تبكى وتقول فى صوت مختنق: لم نكن نريدك بل أنت الآن الذى لا تريدنا.. ساعتها فهم الرجل كل شىء وندم ولكن لم يعد هناك فرصة للندم.

openkandil.com

(٣٥)
(دمعتان)

الحارة الصغيرة تجعل كل أهلها بيت واحد وهذه الحارة الصغيرة مثال.. فقد كان يذهب عنها حامداً الله ويأتى إليها عازفاً وكل ما كان يعفعله بها أنه يلج إلى بيته وفى بعض الأحيان يتحدث إلى أمه بشأن من فى هذه الحارة.. كان يتألم فى بعض الأحيان ولكن لم يكن ليستطيع فعل شىء.. فهو فقد اعتاد بالفعل سماع الهموم من أهل هذه الحارة كما أنه قد اكتفى منها بسماع أخبارها.. فى يوم من الأيام كان يجلس فى صحن الدار.. دق الباب فتحه وولجت إلى الدار أمرة شابة قد مر على زواجها شهرين فقط.. سألته عن أمه فأدخها اليها وجلس كعادته يسمع المذياع ولكن الكلمات وصلته.. كانت هذه المرأة جميلة.. قد رآها من قبل ولكن لم يكن يعلم إلى أى بيت تنتمى، ود لو أن يعرف ولكن لم تتلح له الظروف ذلك، أدرك من كلماتها مع أنها ليست المرة الأولى التى تسعى فيها إليها.. وانما مرات عديدة.. لاحظ منذ ولوجها

أن حُمرة عينيها شديدة فرجح أن تكون حزينة لشىء ما ولم يبرر هذا الحزن سوى كلماته التى وصلت إليه رغم المذياع..عرف من خلالها أن الزوجة الجميلة الشابة تُضرب كل يوم من زوجها الغنى.. وتعجب الرجل كيف يحدث هذا لهذه الجميلة التى كان يتخيلها أميرة وهى تطل فى بعض الأحيان من النافذة؟

ود فى هذه اللحظة أن يصفع هذا الرجل الجبان الذى يضرب هذه الرائعة.. لم يقتصر الأمر على سماع الكلمات بل صوت دموعها.. وكم أحب أن يرى كيف تبكى هذه الجميلة.. بالفعل قام وألتقص بالحائط ونظر بطرف عينيه فوجد دموع وجهها.. فى قرارة نفسه أرادأن ينتقم لها من زوجها خاصة بعد أن سمع الكثير وهو لا يزال فى موضعه.. عن طريقته فى معاملتها.. فلم يكن يتصور أبداً أن يعطيها هذا الرجل الثرى هذا المبلغ الزهيد ليغطى نفقاتها الشخصية.. فتصبر ولا تشكو إلا لأمه.. انصرفت المرأة وقد ودعها بلا كلمة إلا نظرة عطف شديدة.. اتجه إلى أمه وعلم بعض المعلومات.. فقد أفادته بأنها الوحيد التى تزوجت- وهى المتعلمة-أحد رجال أسرة رجالها ونساءها جاهلين.. وهكذا فهى لا تعانى مطلقاً منه فقط بل تعانى من كل الأسرة.. هذه تغضب فى وجهها.. وهذه تقذف بالملابس

فى وجهها وهذه تردد كلمات لم تتفوه بها.

(إذن فقد وقعت قريسة هذه الأسرة) هكذا قال صاحبنا، وردت الأم (تماماً)، وبعد أن سمع هذه الكلمات غلى الدم فى عروقه فقرر أن يتصرف وأن يجعل هؤلاء الناقصين يعتبرون ويحسنون علاقتهم بها.. احتار فى الأمر.. فسهر لهذا ليالى ليست قصيرة حتى إنه ذات مرة عندما سمع صوت استغاثتها لضربها كان يود أن يقتحم الدار ويصرع الظلم.. ولكنه لم يستطع- فى ليلة من الليالى قرر أن يتدخل بحق فأمهل الظلم حتى الصباح وساعتها سيذهب إلى الرجل ويعنفه ويعطيه درساً فى معاملة النساء، لم تمر ساعة حتى سمع طرقاً عنيفاً على الباب، لم يكن سواها، لم تلتفت إليه فقد اتجهت هذه المرة إلى الداخل حيث أمه مباشرة وأخذت فى عبارات قليلة موجزة مؤثرة تشرح لها كيف أن زوجها مريض جداً وهى تحتاج إلى أبيها الذى يعرف طبيباً ممتازاً جارهم.. هى تريد التحدث لأبيها عبر الأسلاك.

لم يكن ثمة اعتراض فطلب صاحبنا الرقم لها وما أن أمسكت السماعة حتى أخذت تتحدث وقد خنق الدمع صوتها فقالت:

بابا.. (......) مريض يا بابا.. لا أعرف لهذا سبب.. أنا خائفة.. بابا.. لا أحد يهتم به.. أنا التى جلست بجانبه.. لقد اكتفوا بأن يأتي الصباح

إنى سأجن..

(تمسح دموعها)

هل ستجئ فوراً؟

انتى منتظرة.. أرجوك تعال بسرعة.. ومكثت مع الأم لحظات قليلة فسألتها عن كل هذا البكاء، فردت إنه زوجى.. وما أن سمع هو هذه الكلمات حتى كاد أن يدمع فقد علم شيئاً لم يكن يعلمه فى المرأة.. كم ضحك ساخراً عندما قارن بين الدمعتين.. دمعة الأنثى ودمعة المرأة..

obeikandl.com

(٣٦)
(اعترافات اللحظة الأخيرة)

كان المكان غريباً فهو لم يعتاد التردد على هذه الأماكن الشاعرية ولكن كان لابد أن يختار الوسيلة السريعة لوضع قراره حيز التنفيذ!

كان لابد له أن يتذكر وهو على شفا هذا المكان ما الذى جعله يتجه صوب هذا المجهول.. كأن هذه اللحظة كانت لحظة الرواية لحياته التى لم يعتنِ فيما قبل بسردها أمام نفسه.. فقد كان يعلمها علم اليقين إذن فلا داعى لهذا الحديث عن أشياء مريرة لطالما أراد أن ينساها.. هو يذكر أول ما يذكر تلك المرحلة التى كان يعيشها وهو لا يريد أن يعيشها.. كم من مرة ننفر من شىء ولكن لا نستطيع أن نفر من موقفنا إزائه..

كانت الطفولة.. كان يمتاز بدقة جسمه بحيث جعلته هذه السمة من المميزين فقد كان سخيفاً شاحباً.. لم يكن لذلك قيمة إذا لم تترجم إلى صفة الضعف.. نعم فقد كان ضعيفاً.. ولكن لم يكن

obeikandl.com

بوسعه أن يفعل شيئاً.. فلم يكن أى شىء يستطيع أن يبثه القوة التى يريدها.. كأن هذه القوة التى نأت عنه أصبحت سمة قرنائه.. كان دائماً يندس بين أصدقائه الصغار بالحارة الصغيرة ولكن لم يكن ليصيب من اندساسه معهم شيئاً.. كانت الفتيات الصغار تتطلعن من النافذات لأوقات قليلة ولكن ارتبط هذا البزوغ بإهانة صاحبنا لأن من يفوقه قوة كان يهينه بقصد لفت الانتباه.. لم يكن ليدرأ عن نفسه تلك الضربات المهينة التى أخذ يتلاقاها على قفاه وعلى وجهه ورغم ذلك فلم يكن يستطيع أن يخرج بصوته الى الخارج حاد النبرة لأن فى هذا زيادة التنكيل به.. عندماكان ينفر فى بعض الأحايين كانت قدماه تعدو به إلى مكان ينأى به عن الجميع حتى لا يتعرض للضرب.. لم يكن لهذا الضرب أن يكون شيئاً إذا ما قورن بضحكات المستهزئين به المستخفين به، خاصة تلك الفتاة التى تصغره بعام والتى كان يشعر بأنه ثمة خيطاً غير مرئى يربطه بها.

كان الزمان يعدو وكلما مر يوم كلما إزداد الجرح ومزقته الإهانات.. كان عليه أن يضع جداً لكل هذا فقرر أن يقنع الجميع بأنه أفضل منهم جميعاً لا بقوة ساعديه بل بقوة عقله لهذا صمم أن يفوقهم دراسياً ويقاطع تلك الحارة القذرة التى تتلذذ ببكائه كلما

أهانه أحد أبنائها.. وبالفعل، أخذ يستذكر بكل ما أوتى من قوة فى ذاك الذهن المرتكز فى الجمجمة التى تعلو هذا الجسد الهزيل، لم تكن السنوات التى تمر إلا درجات يحدد بها مدى تفوقه على أولئك الذين كانوا يسخرون منه. لن ينسى يوماً قد مر وكأنه لن شمسان.

كان يوم إعلان نتيجة إحدى الأعوام الهامة بالحياة الدراسية وكان يومها صاحب المركز الأول فى تلك الحارة التى عاش بها بين أكنافها فى ذلك اليوم سمعت كل حجرة ضحكاته ورأى كل حجر ابتساماته وتلاقت عينيه بعينيها وهى تنتظر إليه فى حيرة. منذ ذلك اليوم فقد استطاع صاحبنا أن يضع له القالب الذى يريده وأن يعتنق تلك العلياء التى أرادها رغماً عن كل معترض.. الفتى لم يكن يدرك أن هناك من القلوب ما تملك سواد الليل فى ليالى تكتنف السماء السحب ويختفى القمر فقد كان ثمن تلك القمة هو كراهيته ممن اعتبروه دميتهم. فى يوم من الأيام، لاحظ هو ذلك فى أعينهم ولكم لم يكن ليزيده هذا إلا سعادة على سعادته، فى يوم قرر أن يفاتح تلك الفتاة التى اختار قلبه.. قابلها على ذلك السلم الذى عادة ما يجمع الذاهبين والآيبيين ولكنها لم ترد بل ساد وجهها حمرة الخجل عندما قال لها كلمة الود.. لاحظ الأصدقاء أن ثمة علاقة تدب بين ذاك الذى كان تحت أيديهم

يشبعوه ضرباً كلما أروادا جذب نظر هذه الفتاة التى تمسك بطرف خيط العلاقة.. عندئذن قرروا أن يرجعوه كما كان أو على الأقل أن يشرخوا ويمزقوا تلك القمة التى صنعها على أنقاض جهودهم.. تحرشوا به وفى النهاية اجتمع عليه البعض وأشبعوه ضرباً ورغم الجهود التى بذلت للحد من هذا سواء كان من أهله أو من أهل العدل إلا أنه قد بات من الواضح أنه قد فقد كرامته إلى حد كبير.

فى اليوم التالى كان كل شىء قد انتحر بين صاحبنا والفتاة التى لم يعجبها تفوقه واصراره لأنه لم يستطع أن يصرع أولئك الشباب.. أخذت فكرة السيادة تسيطر عليه ولعل هذه المعركة الخاسرة كانت نتيجتها نهاية حب ضعيف بل كانت إعاقته عن دخول امتحان عام دراسى فقد تزامن هذا مع بداية امتحانات دراسية وهكذا بدأت نقطة الانطلاق!

كان يشعر أنه فقد شيئاً غالياً ثميناً.. لم يكن تلك الفتاة التى صفعها ذات مرة بعد ذلك فى نفس المكان الذى صارحها بحبه فيه ولكن كان كرامته.. كان أمله الوحيد هو أن يثبت للجميع أنه يستطيع أن يقهر هؤلاء.. ووجد الفرصة تلوح فى بعض أصحاب السوء ولكن كان عليه أن يصطبغ بصبغتهم فلم يعد يشعر أن هذا العلم

openkanal.com

الذى أخذه وسيلة ليرتقى به أغناه عن إهدار كرامته وإراقة كبريائه.. إذن فلابد أن يمتلك السيادة وأن يكون عزيزاً فى قوم يستطيعون أن يعطوه حقه المهدور منذ أعوام. فى ليلة تحرشت جماعته بعض المعتدين وكانت النهاية هى التنكيل وتشويه هؤلاء المسمين أصدقاء الطفولة.. فقد كان شنيعاً فى انتقامه وتنكيله بالجثث التى تبعثرت على قارعة الطريق وهكذا وفى غضون أسابيع أصبح يستطيع أن يسلط سوط تنكيله على من يريد منهم فقد كانت تلك البطانة كظله وتستطيع أن تفعل معه أى شىء فقد عرف كيف يستحوذ على أذهانهم بعلمه الذى لم يفلح به أن يتسيد الغوغاء وقد كلفته تلك السيادة التى أرادها دراسته لمدة ثلاث سنوات.. وفى ختامها كان أبيه جثة هامدة فلم يستطيع أن يرى فشل ابنه واندحاره.. كان هذا بمثابة المنبه الذى جعله يستفيق من غفلته وهكذا قرر أن يعود إلى عمله لم يكن من المستطاع أن يفعل. ورضخ الأب لمطلب ولده وتم رحيلهم عن المكان برمته وذهبوا بعيداً.. ربما فى مدينة جديدة!!

كان يريد أن يقتلع جذور الماضى من أعماقه ولم يكن ليفعل إلا اذا ودّع الماضى وحرق ذكرياته التافهة الرديئة الحزينة.. بالفعل بعيداً عن ماضيه استطاع صاحبنا أن يعود من جديد إلى دراسته التى أهلته

الى الجامعة وتخرج منها وهو الأمل ذاته.. الدنيا ملك يديه سيعمل ويعمل ليحصل على المال ليتزوج تلك التى أحبته وأحبها ولم لا يحب من جديد؟!

هل توقفت القلوب عن النبض مرة واحدة؟! بالطبع لا.. إذن لا يمكن أن تكون التجربة الأولى القاسية والتافهة قاضية على ذاك القلب الشاب.. بالفعل بعد جهد جهيد استطاع أن يقتنص عملاً صغيراً بإحدى الأمكنة.. فوجئ بأن أحلامه مع هذا العمل ستتوقف إلى الأبد ولن تتطور لأن قوتها متخاذلة قليلة فى غضون عدة أشهر كانت تلك التى أحبها بين أيادى رجل آخر استطاع أن يحصل عليها وفى لحظات وقع بصره على السيادة الجديدة.

قرر- كما قرر بالماضي- أن يكون سيداً لهؤلاء الذين عذبوه ويعذبوه، سيُعلّم تلك التى نبذته لفقره أنه أقوى منها وأفضل منها وسيقتلها حسرة ويدمر زوجها الثرى الذى خطف منه من التقت مع قلبه فى وئام، سيجعل هؤلاء الذين لا يريدون رؤية وجهه يتمنون رؤيته لأنه سيمن عليهم ولكن سيمن عليهم ليستعبدهم وهو يعلم، سيكونوا تحت امرأه أى فرد يحمل عنصر سيادته، إذن فلماذا لا يكون هو؟...

فى السجن- وهو النهاية الحتمية للاختلاس!- التقى بأمه فى زيارتها السابقة وقد قالت إن أبيه قد قضى نحبه ولم يعد لأسرتهم أحد.. ولكن جدران السجون لسيت كالورق إنها صخور صلدة تشج رأس ناطحها وتقطع عزم من بداخلها.. وبين تلك الجدران تعلم أن ثمة شيئاً يسمى الطريق المشروع ولكن من يستطيع أن يسلكه؟ لابد أن يكون سالكه رسولاً نبياً حتى يتحمل المشاق فالحشود لا يمكن لهم أن يتحولوا عن الشر إلى الصلاح إلا بمعجزة.. خرج من هذه الجدران وقد تغير حالة فبعد أن كان شديد النزوع إلى السيادة أصبح راضياً عن دوره فى مسرحية التعساء فقد أدرك أن مثله الكثيرين وهو لن يحاول أن يدخل إلى هذه الجدران مرة أخرى.. ها هو يعقد العزم على أن يشق الطريق من جديد وأن يجعل أمه وأخوته فى أمان وأن يتناسى ماضيه ولكن فاته مع هذا الأمل أن الحشود التى تبتلعه لا تنسى شيئاً.. سار بينهم وكأنهم يعلمون كل شىء عنه فقد كانت لعنة الجدران تطارده وانحسر الأمل..

كانت الشمس هى الأمل ولكن بعد الجدران ولعنتها. أخذ الغروب يتبوأ الصدارة كان يذهب مع الشروق أملاً أن يجد العمل وأن يستطيع أن يستر ذاك الفاه الكبير الذى يتبلع كل شىء معاش

أبيه ونقود البيع لمملتكات الأسرة الهزيلة..

فى يوم جاءه أحد العمال وهو صاحب ورشة ضخمة وذهل صاحبنا من كرمه وفى ساعات كان هذا الرجل هو تلك القشة التى تتعلق بها الأسرة وركع الابن شاكراً وسجد حامداً الله على رحمته التى جاءت بعد أن نفذ الصبر وسارت الأيام فقد بدأت تبتسم الحياة.. أخذ بعض المال يتدفق بين يديه والآخر لاسترداد بعض الممتلكات التى كانوا قد باعوها والتى لم تكن لهم سوى كل شىء بقى من الذين قضوا نحبهم وكأن هذه الأشياء ألسنة هؤلاء الذين كانوا معهم فى يوم من الأيام وما أقصى الفراق الأبدى!

أخذ صاحبنا يسترد ثقته فى الحياة وأخذت كلمات الشكر والحمد تلفظ من لسانه وأحب صاحبنا ذاك الرجل المعطاء الفضول.. وأخذا يترددان على منزلهما بلا حرج وكان ذاك الرجل بلا زواج وقد شعر أن أسرته هى أسرة صاحبنا.

من جديد أدرك الفتى أن ثمة حباً لابد أن يقع والسؤال كان لمن نظرات هذه الفتاة التى تمرق بجانبه بالورشة ثم ينتهى بها الأمر إلى شارع ضيق ومنزل أضيق.. وصارح صاحبنا الرجل بحبه لهذه الفتاة والتى لم يرها الرجل من قبل إلا نادراً.

فى يوم ما قرر صاحبنا أن يتبع هذه الفتاة إلى منزلها وبالفعل بدأ السير خلفها وعندما ولجت نحو الشقة كان هو مازال بالباب الخارجى.. ولما أدرك الباب استوقفه رجل ومنعه من الدخول وأندهش صاحبنا وقال: ما المانع؟

ورد الرجل: ما عملك؟

فقال: أنا عامل فى الورشة التى بالشارع..

وضحك الرجل فقال: إذن اصعد..

ولم يفهم صاحبنا شىء، عندما ولج من الباب إلى الشقة عرف كل شىء فقد كانت الشقة فى ذاك المكان مناسبة حتى تكون بعيداً عن أعين بوليس الأداب.. هرول إلى الخارج وقد احتقر النساء ولمن يجد أحد يشكو إليه سوى صاحب العمل عندما طرق الباب وفُتح كانت أخته الوسطى تتجه إلى صدره ودموعها على خديها وقد تمزق بعض من ثيابها.. بينما الرجل كالثور.. وبرزت العينان فى محجريهما قالت الابنة وهى تحترق: لقد راودنى عن نفسى حتى لا يقيلك من العمل ولا نجد الطعام. ترك أخته وقد اشتعلت دماه فى عروقه بنيران شرفه وثقته المهدرة واتجه إلى الرجل الطيب!!! واعتصر حنجرته فخر صريعاً.. لم تستطع الابنة تحمل المشهد ودوى صراخها يملأ الأرجاء

ولكن الابن ما لبث أن ولّى أخته وسقطت مغشياً عليها.

هنا أدرك الابن أن كل أمله قد ضاع فقد فُقد كل شىء فقد من قبل سيادته وحبه وكرامته وحريته وها هى حياته مهددة.. ولكن من سيستمع إلى مجرم مثله قد زار جدران السجن مرة أخرى؟!!!

إذن عليه أن يكون ذا سيادة ولو مرة واحدة فى حياته.. لابد أن يكون حراً فى ذاته مرة واحدة فى حياته.. وثار السؤال فى رأسه: هل سيظل هارباً إلى الأبد؟

لابد للدماء أن تستيكن عندما تُعلق الرأس إلى حبل.. إذن فقد عرف كيف سيكون حراً.. والآن.. اللحظة.. وضع يده على السور الحديدى وقفز كالبهلوان فقط حراً فى النيل!!!

الثلاثاء ١١,٣٠ مساء

١٩٨٨/٨/٩

openkanal.com

(٣٧)
(الطريق لا يزال طويلاً)

كانت السحائب تحجب القمر تماماً فلا يظهر بصيص ولو قليل من نور يرشده أثناء السير.. أخذ يسير لا يعبأ بهذا الوحل الذى يغرق قدميه والذى يتسلل عبر فتحات كبيرة قصمت نعله، كان لا يزال يضنى به على الفناء.

بعد برهة صدمت وجهه موجة باردة فراح يبث شقى حلته المهترئة ببعضهما البعض وعندما حاول أن يُعمل فيها المزلاج سقط بين يديه فبثه فى جيبه الأيسر ولكنه لم يتنبه أنه وفع فى الثقب الكبير الذى نخر الجيب.. لم يجد بد من أى يبث يديه إلى جيبى سرواله ففعل وقد أهمل كل شىء بعدها فى لامبالاة فأخذت الريح تعبث بحلته العجيبة وتعصف بأطراف شعره الرمادى الحريرى فتكشف عن صلعة كبيرة لم يهتم بأن يرها أحد حتى دموعه التى تسبرت عبر جفنيه الصلبيين اثر اصطدام عينيه بالريح الشديدة.. لم يهتم بها إذ

obeikandi.com

سرعان ما تبعثرت وشبْعت شقوق وجهه الغائرة والعديدة.. كان من الممكن أن يدافع عن نفسه ولكنه لم يحاول وبعد برهة اكتفى بأن مسح على صلعته ليدرء عنها النظر.

فجأة شعر بظمأ شديد فاتجه إلى حانوت صغير بابه ذو شق واحد فدلف اليه فشعر بحرارة الجو فقد كان المكان لكى الملابس وتمنى لو أن يظل بالمكان إلى أمد ولكن لم يستطع واتجه إلى (زير) قريب من بداية الحانوت وقذف بالكوب البلاستيكى إلى القاع وأخرجه حيث أفرغ محتواه فى بطنه وساعها خفف بصره فاصطدم بالمرآة ومنها بنفسه ومرت لحظة عصيبة لم يصدق أنه هو.. فقد حطم ولده السابع المرآة منذ ثلاث سنوات ومنذ ذلك الوقت لم ير نفسه فى مرآة ولكنه كان يود ذلك كثيراً ولأول وهلة هاله ما رأى فقد لاحظ أن شعره قد اشتد بياضه بشكل كثير فالرجل المتخصص فى تقليم شعره لا يرى مرآة ولا يرى أيضاً بقايا شعره.

أشار فى وهن إلى هيئته وقال أهذه عيناى؟ انهما غاصتا بوجهى بشكل مريع.. لقد اختفى لونهما البنى إلى لون فاقم أسود وتساءل: هل يتغير لون العيون؟ ولاحق نفسه أهذه عظام وجهى؟

لم يجب هذه المرة فقد نهره صاحب الحانوت فتلوت ملامحه

وخرج حانقا عليه ولكن هذه اللحظة التى رأى نفسه فيها كانت كافية لتعلمه مدى ما اعتراه من تغيير.

تأسى لما حدث وود لو لم يمر ما رآه وكأن هذا الأسى قد أنهى طريقه الطويل المعتاد بسرعة، فوقف فى مقدمة الحارة ينظر إلى كل شىء باحتقار شديد حتى نفسه، لم يهرب من هذا الاحتقار وما أن بدأ يظهر بداخلها حتى لاقته نظرات الرجال التى لم تضن عليه بالاحتقار هى الأخرى..

آثر على هذا الصمت وبالفعل وصل إلى نهاية الحارة حيث ملجأه الوحيد.. دفع الباب دفعة واحدة واهية فانفتح وولج أولى خطواته إلى صحن الحجرتين وما أن رآه الصغار حتى هربوا على الفور كالجرذان المذعورة متفادين السباب والشتائم التى كان يغمرهم جميعاً بها.. هذه المرة لم يفعل شيئاً بل لم ينبس بكلمة واحدة فقد جلس على المقعد الوحيد فى الحجرة واسند ظهره إليه فى استرخاء وراح يتملى كل ما حوله.. فقال: ماذا حدث لك؟ لقد ذهب كل شىء.. رجولتك ولت منذ زمن طويل فما أطول أيام اليأس.. ملامحك ضاعت بين رحى الأيام.. هذا كل ما تملك، ثمانية جثث يستوعبهن الحصير وسرير واحد لا يسع إلا لشخص واحد.. حجرتان ليس بهما إلا جدرانهما..

كنت تريد أن تكون ضابطاً أليس كذلك؟ إنك مسكين.. لم تمر لحظات الا وجاءت زوجته وقد ترك التعب آثاره على ملامحها فابتسمت ابتسامة شاحبة أقرب هى صرخة منها إلى ضحكه واتجهت إلى قدميه عالجتها من الحذاء المقضى عليه ووضعتهما بإناء به ماء ساخن.. كأن هذا البخار المتصاعد أزاد حرارة تذكرة فراح يستطرد.. كنت أيضاً تريد زبيدة أخت هذه الأرنبة ولكنها ماتت.. ماتت وخلفت إليّ من تحمل بعض من ملامحها.. إنها لا تعرف أى شىء من هذا ولكن يكفى أن تعرفه أنت لكى تحزن.. حتى الأبناء ضاعوا..

تذكر الأبناء فتساءل: هل جاءت زبيدة؟

وتلجلجت المرأة وتعثرت الحروف فى حلقها وقالت: لا.. ثار ولكنه ما لبث أن هدأ وراح فى هدوئه مرة أخرى واستطرد: ان الرجال يعتقدون أنها عاهرة ولكنهم لا يعرفون أنها ابنتى.. بالتأكيد لا يعرف أحد أنها ابنتى.. أنا السيد افندى نعم فى قاع الوظائف الحكومية على الإطلاق ولكن الكل يحترمنى ورغم عملى الثانى والثالث إلا أن كل من يعمل معى يحترمنى.. كلهم يدركون أننى أعظم رجل يحسب فى هذه الأرض.. لابد أن كل من تحدثوا معى بشأن زبيدة لم يدركوا أنها ابنتى.. يا لهم من أغبياء لقد قالوا إنها تخرج من منز ل عادل.. ذلك

الجامعى المؤدب كل ليلة ولكنهم ليثبتوا جهلهم فهى تعمل خادمة فى منزل بعيد وأنا بنفسى أسأل عنها وعن سلوكها عندها يفصح ولدهم بأنها على خلق بل لقد أنقدنى ذات مرة خمس جنيهات كمكافأة لها على عملها اليومى..

ثم أنهم لا يعرفون أن زبيدة تشبه زبيدة التى أحببتها وأننى عندما قبلت زبيدة منذ عشرين عاماً كادت تقصى عليّ.. انهم جهلاء.. حتى الابنتين الأخرتين يعملن فى مصنع وأنا أثق فيهما كل الثقة.. انهم أبنائى.. وهن بناتى.. من المستحيل أن يقعن فى الخطأ مهما حدث، انتهت فى هذه اللحظة المرأة من غسيل الأقدام. مشى فجأة أحد الأبناء يطلب منه جنيهاً لأمر دراسى، فثار الأب فيه ولعنه وسبه ولكنه فى النهاية وضع يده فى جيبه وأخرج آخر قرش يملكه ووضعه فى يد الطفل وطبع قبلة بائسة يائسة على جبينه ثم مسح دموعه، أما الباقون والباقيات فلم يستطع أن يجيب طلبهم.. فراحوا يجرون وراء الفائز بالثروة فى كل مكان، تحت السرير الوحيد والمقعد الوحيد وحول الرجل الوحيد، وولج الابن إلى مكان معتاد يعلوه رف.. ولكن الأبناء اكتشفوا مكانه فاتجهوا إليه ولم تمر ثوانى حتى انسكب ما فوق الموقد الذى يعلو الرف على وجه أحدهم.. ارتفع صراخه وتسارعت

أنفاسه.. فقفز الرجل من على المعقد واتجه إلى ولده ذى الوجه الملتهب.. أخذه بين يديه فارتفع الصراخ.. لم يعرف ماذا حدث أو ماذا يفعل.. لم تمر ثوانى حتى امتلأت الحجرة بالرجال وهاهى الثوانى تمر والرجل يحمل قطعة من اللحم المهترئ بين يديه ومن خلفه تهروب الأم الذاهلة الدامعة ومعهما الرجال يصكون كفاً بكف، أما بقية الأطفال فقد قبعوا يفتشرون الغبراء متلاحقين، وقال أحدهم: هُوّ أشرف هيموت؟

ها هم جميعاً يتمعنون والطبيب قد اختلى بجثة ولده يفحص بها ما يريد.. هوت الأم تسند ظهرها إلى الحائط تمسح دمعها بالوشاح الأسود ذى الرقع الذى يلف وجهها، أما هو فقد أحاطه بعض الرجال يخففون مما آلم به.

بعد ثلاث ساعات كان الرجل يرجع إلى الوكر الضيق تاركاً الأم مع الابن يعانى الآلام ومن حوله من يطمئنها من الأطباء.. كان سيذهب ليُطمئن بناته الثلاثة أن كل شىء على ما يرام ويرجع مرة أخرى إلى الجثة التى لا تزال تحمل من النبض البقايا.. عندما ولج إلى الحجريتن رأى بقية الأبناء الأربعة قد تكوموا فى كومة واحدة متلاصقة وقد راحوا فى سبات عميق فوق الحصير، غطاهم بشىء ما لا يمت إلى

فراش السرير بصلة.. تعجب من هذا التأخير الذى حدث، إن بناته يجب أن يحضرن منذ الساعة بل الساعتين وتلاعب القلق به لفترة ولكن ما لبث أن سمع صوت طرقات رغم أن الباب مفتوح وبعد برهة سمع هذه الكلمات:

ان هناك من جاء من قسم الشرطة يريدك..

فرد فى لهفة: لماذا؟

فقال الصوت: لا أعرف.. ثم مشى الرجل سريعاً وعلى الفور اتجه الرجل إلى قسم الشرطة.. فقال الضابط: أنت الأستاذ سيد، فرد فى تلقائية.. نعم.. أنت أبوزبيدة وهنومة وعلية فرد: نعم وفى لمح البصر تحدث الضابط: يؤسفنى أن أقول لك ان بناتك الثلاثة عاهرات.. ولقد ضبطهن منذ أربع ساعات بأحد الشقات المعروفة للدعارة.. شىء واحد أريد أن أسألك إياه من أين تعلمن هذه الأساليب القذرة.. إن الآداب تخطط لهن عام. هوى الرجل على المقعد الخشبى الصلبى ودفهن وجهه بين يديه وهتف من أعماقه.. انهم ليسوا جهلاء بل أنا الجاهل.. أنا الأبلة وانتفض فجأة وقال: يجب أن أراهن، نظر الضابط إليه نظرة تقدير وضغط زر الجرس فجاءه أحد الأفراد. لم يستطع أن يتبين أى شىء فقد كانت الدموع تغشى كل شىء أمامه وبعد عدة

opeikandi.com

كلمات أخذ العسكرى بيد الرجل إلى الزنزانة.. كان الظلام يسود كل شىء ولكن الرجل كان يعلم كيف يسير إلى الزنزانة فهذا هو عمله وعندما وقف أمامها بث المفتاح الغليظ فى الثقب وأداره فانفتح وولج الآخر إلى الزنانة.. وقف أخيراً أمام بناته ولكنه لم يرهن لقد كان الظلام دامساً.. ولكنه كان يشعر بأنفاسهن.. نعم كان يشعر بهن وبنبضة قلوبهن بل بهمسهن، كان الباب مفتوحاً قليلاً وسيد أفندى يقف فى هذا البصيص من النور الذى ينبعث من الفجوة بين إطار الباب الحديدى والباب.

وقف يحدق فى الظلام يتخيل بناته، وبعد برهة قال فى صمت يخنقه الدمع: بعد سنوات عمرى كلها.. تكون بناتى عاهرات.. منبوذات.. ساقطات.. بعد سنوات كفاحى أشعر الآن أن السجون مأواهن؟

زبيدة.. أين أنت؟

مرة فترة صمت ساعتها سمع صمت البكاء المكظوم حتى لا يسمعه أحد فقال: أتبكين يا زبيدة.. وأنت ياهنومة؟ وأنت يا علية؟ أتبكين؟

كنتن تستطعن أن ترحمننى وكذلك عرضى وشرفى.. لو أنكن أبيتن الوحل.. هل الفاقة هى الدافع، لقد كنت أفعل كل ما فى وسعى،

أعمل ليل نهار.. كنت أعطيكن كل ما استطيع.. كنت استطيع.. وتوقف الرجل فجأة وتساءل فى دهشة مستكراً.. زبيدة هل أنت عاهرة حقاً؟

لقد ضاع كل شىء.. كل شىء ضاع.. إننى أخفى عليكن اننى أود قتلكن.. ألا تتحدثن؟ ألا تتكلمن؟

دافعن عن أنفسكن.. سأصدق كل شىء.. فقط تكلمن.. قلن إننى كاذب وأن هذا الضابط لم يقبض عليكن وأنتن لا تتمتعن بالدنس والخطيئة والانحطاط والوحل.. قلن لى أنكن بريئات.. قلن.. قلن.. ولكن صوتاً لم يصله فقال وهو يقاطع أنفاسه المتلاحقة.. إذن لقد قتلتننى حقاً.. ان الخنجر المسموم لا يُطعن إلا من الحبيب.. أنتن بناتى.. أنتن منى.. كيف تقتلننى؟

لقد صلبتننى على صليب أطلال الشرف وضربتننى بسوط الدعارة.. ثم دفن وجهه بين كفيه وراح يبكى.. ساعتها شعر الرجل بأن ثمة حركة تحدث فتحرك بحواسه إليها.. كانت زبيدة.. لم يستطع أن يفعل شيئاً.. بل حتى لم ير ملامحها.. كان الظلام دامساً تماماً وهى لا تزال فى الظلام فاقتربت منه.. مدت يدها وركعت على ركبتيها..

أمسكت قدمى أبيها.. أخذت تتحدث: (أبى.. لا تلومنى.. لقد أُغتصبت يا أبى.. إن ابن الأثرياء فعلها.. وبعدها أقنعنى أننى لن أفعل شيئاً.. وسألنى ماذا أريد؟ فقلت الزواج.. هل تعلم ماذا فعل يا أبى.. لقد ركلنى.. ركلنى يا أبى.. قال إنه يستطيع أن يفعل بى كل شىء وبك كل شىء.

كنت أراك تجئ تعلق بقايا روحك على كتفيك تزفر الهدوء والسكينة وتتنفس البؤس والشقاء.. هل كنت استطيع أن أقول لك اننى مُغتصبة؟

إن قولى لك سيدمرك أنت.. أنا لا أدافع عن نفسى ولكن كل هذا جزء من الحقيقة.. كنت على وشك الانتحار ولكن عادل.. أنت تعلمه جيداً انقذنى لم أكن أعلم أن يستثمر هذا الانقاذ لنفسه فقط أدرك أننى على وشك الانتحار فلما أفضت له بسرى راح ينقذنى ثم يغتصبنى مرة أخرى.. لم يبق شىء أعيش من أجله يا أبى.. انت الوحيد الذى جعلنى استمر فى الحياة.. كنت أريد أن أساعدك وكنت أريد الموت.. وسقوطى لم يكن يعنى إلا الموت.. فضحك الرجل ضحكة الموت وقال: أنت تصنعين خط دفاعك من خيوط العنكبوت ولكن

opeikanda.com

الذى لا تعلميه أننى لست ذبابة.. أننى أود أن أقتلك وهما أيضاً، القابعتان خلفك كالكلبتين ولكن ماذا يفيد قتلى لكن؟

لقد قتلتننى.. ثم جر قدميه خارجاً من الزنزانة التى أوصدت على الفور.

مشى الرجل كالمذهول لا يعرف ماذا يفعل أيقن أنه لابد أن يفعل شيئاً ما.. فاتجه إلى أحد المنازل العظيمة وسأل البواب هل ابن سيدك موجود ولكن البواب أفاد بأنه قد سافر ولسوف يرجع فى الغد.. فكظم غيظه ومشى دون أن ينبس بكلمة واحدة أخذ يفكر ثم قرر أن يقتل عادل.. إن هذا أمر مفروغ منه.. سيقتل الاثنين لا يهمه إذن بمن يبدأ.. بالفعل دلف إلى المنزل وصعد الأربعين درجة وطرق الباب طرقتين وعلى الفور فتح عادل له: كان شاباً وسيماً عيناه خضراوان وملامحه هادئة جميلة ولكنه فوجئ بأن الرجل يقتحم الباب ويغلقه وشحب لون الفتى. كان يعلم هو أن الرجل طيباً وأن الابنة عشيقة له وقد خاف أن يكون الرجل قد علم عن ذلك، فتراجع سبع خطوات ولمح الرجل سكيناً على المائدة فأدرك أن النهاية على وشك الحدوث.

أما الفتى فقد شعر أنه فى موقف لا يحسد عليه.. إن الشرر يتطاير من عينيه لابد إذن أنه علم كل شىء ولكنه لم يرد أن يوهم نفسه بشىء من هذا فقد ز اره الرجل عدة مرات من قبل، بالطبع ليس فى مثل هذه الساعة الغريبة ولكن لا بأس، يجب أن يحتفظ بهدوئه حتى آخر لحظة.. فقال: أهلاً.. سيد أفندى.. كيف حالك؟

فرد فى صمت مكظوم الحنق: بخير.. بخير..

فاستطرد الفتى وقد لاحظ أن الرجل تقدم خطوة.. ماذا عن أشرف؟ اننى سمعت أنه بالمستشفى؟ خطا الخوة الثانيةوهو يقول: بخير.. وقال فى نفسه.. لم يبق سوى ثلاث خطوات حتى أصل الى السكين ومنها إلى قلبه. خطا بالفعل الخطوة الثالثة فالرابعة.. هنا قال عادل: وماذا عن الأبناء؟

كأن هذه الكلمة قد أنقذته فعندما أتمها كان قد أصبح بجانب السكين المسجاة على سطح المنضدة ولكن يده لم تتحرك بعد أن سمع كلمة الأبناء، تذكرهم.. إن هناك أربعة من الأبناء ينامون على بعد عشرين متراً من هنا..

هتف بالسؤال: ماذا عنهم؟ انه يستطيع أن يقتل هذا الثعبان

openkanah.com

القذر وهذا المتعملق الحقير بل يستطيع أن يقتل بناته الثلاثة ولكن ماذا بعد هذا؟

هوى الرجل على المقعد الذى يبعد عنه خطوة واحدة ونظر أمامه الى اللا شىء فلمح السكين مع نفسه ولكن أذنه سمعت عبر أنين الذكريات صوت الأبناء وهم يتحدثون.. وتساءل: ماذا المصير؟

ان هناك ثلاث عاهرات وبفعلته هذه سيتزايد عددهن إلى خمسة عاهرات وهناك ابن مشوه يحتاج إلى من يأخذ بيده.. أن عليه أن يقاوم نفسه الدموية والتى تريد أن تنتقم من أجل الشرف والعرض.. إن عليه أن يقاوم هذا كله فى بيته.. لقد بقى من عمره الأبناء اللذين لم يتدنسوا بعد وهو بهذا الذى كان يريد سيقضى عليهم جميعاً، ولكن نفسه لم تأبى الهزيمة بهذه السهولة فوسوست اليه الانتقام ولكن بقايا روحه ألهمته وأوحت إليه بأن هناك من يعتلى عرش العدل والانتقام.. ساعتها قام منتفضاً والدموع تتسرب من بين جفنيه وأمسك بالسكين بين أنامله جيداً ففزع الفتى فزعاً شديداً، رفع الرجل يده إلى أعلى ثم هوى بما فى يده على وجه المنضدة فشجه واستقر به ثم قال فى هدوء تعصفه رائحة الدماء.. فلتذاكر

يا ولدى حتى تعرف.. فإذا ما عرفت حاسبت نفسك.. خرج.. أخذ يحرك قدميه جاراً إياها حتى وصل إلى الحجرتين.. ولم يهتم أثناء ذلك بنظرات الشماتة أو الاحتقار أو الرثاء، فتح الباب ثم أغلق واستلقى على الحصير الجاف وأحاط بيده أبنائه الأربع، ساعها استيقظ الأبناء وقال أحدهم: هُوّ أشرف هيموت يا بابا؟

كظم دموع وقال: لن يموت يا بنى.. لن يموت يا حبيبى فقال الفتى ضاحكاً: فين ماما؟ فقال الرجل: كلهم سيجيئون.. هى وأشرف.. لا تخاف.

opeikandi.com

(٣٨)

(الملعب)

كان الميدان كبيراً جداً.. دائرى الشكل متلاطم السيارات مكتظ الناس.. الجميع يسير على غير هوى.. فيصطدمون ويتحطمون.. ولكنهم لا يدرون ماذا يستطيعون أن يفعلوا؟ كان المثير للعجب أن الجانبين هادئين أما الوسط فقد كان صاحب هذا الاشتعال الغريب.. كأن هذا الموعد هو التسلية فأخذ نفر من الجانبين يقترحون مباراة لكرة القدم ولم تمر ثوانى حتى أخذ أهل هذا الوسط دون شىء ما بالأرض، ثم أخذ نفر الجانبين يخططون الملعب بما استخرجوه فأصبح من السهل أن يرى كل إنسان الخط الأسود على قارعة الطريق.

جاءت المشكلة الثانية وهى إقامة المرميين، اقتترح أحد الأفراد اقتراح ظريف للغاية لم يعترض عليه أحد فقد ذهب كثير من المقترحين الى المقابر وقد ملأوا جوالين بعظام الأموات ثم أشعلوا بما خططوا به الملعب ناراً ووضعوا العظام فى آنية كبيرة حتى انصهرت العظام

ثم صبوا المصهور على شكل المرمى وثبتوا المرميين فى طرفى الملعب.. جاءت المشكلة الثالثة وهى الكرة.. ولكن أحداً لم يلتفت لما حدث فقد ذهب رجل أعسر إلى أحد أ بناء الوسط وقطع رأسه ووضعها فى منتصف الملعب.

شكّل نفر قليل اللاعبين وفى لمح البصر تدفق اللاعبون إلى أرض الملعب مسرورين وقد وضع رئيس الفريق الأحمر قدمه اليسرى على الكرة، أما الفريق الأبيض فقد استلم نصف الملعب الأيمن منتظر الصفارة.

من الخارج كان رئيسا الفرقتين مع اثنين من الأشخاص وهما الحكمين أحدهما من جانب والآخر من جانب ولما قل العدد اتجهوا إلى رجل أفعوانى الشكل واكتملت ثلاثتهم.. مرت لحظة عصيبة تبادل فيها الحكام الثلاثة النظرات ذات المعنى وانطلقت الصفارة.. مرت الكرة من قدم إلى قدم وكلما كاد فريق أن يحرزهدفاً زأر احدى الجانبين مشجعاً، مرت دقائق كثيرة والضحكات تتعالى من الجانبين ولكن اللاعبين لا ييأسون فقد كانوا يتصارعون ليثبتوا جدارتهم وأحقيتهم للفوز.

حدث ما لم يكن فى الحسبان فقد استلم ذلك الرجل الأفعوانى إدارة المباراة فترة من الوقت وكان أول شىء فعله هوطرد لاعب..

سأله رئيس فرقته لماذا؟ فرد فى لغة غريبة أن هذا اللاعب لا اسم له عنده، وتعجب الفريق كل من ذلك، الرجل هدد بطرد الجميع أن لم يذعنوا للأمر وبالفعل طرد اللاعب الذى تطفل على الملعب طبقاً للدراسات الحكمية لهذا الرجل.. تذمر البعض ولكن كانت النتيجة سيئة للغاية إذ تعرض لاعب قاد الفريق لضربتين متتاليتين حتى إن وجهه قد أصيب إصابات بالغة، كادت يده أن تبتر بسبب هذه الإصابات ولكنه لم ييأس إذ جمع كل أعضاء الفريق لأول مرة وتقدم باعتراضه وأجبر الجميع على قبوله.. ساعتها صمت الجانبان وانتهت المباراة، ما لبث هذا القائد أن اعتذر للحكم وكان فى هذا إرجاع الأمور لما كانت عليه هذه المرة طرد هذا اللاعب وأصبح هناك لاعبين ينقصان من الفريق.. لم ييأس هذا القائد فقد كان يوجه اللاعبين من خلف الخطوط حتى يستطيعون احراز هدف ولكن التخطيط هو الا يحرز اللاعبون الهدف فى أى من المرميين، هكذا أراد هذا القائد ولكن أحداً لم يستمع إليه.

الهمه تفكيره بأن يتحدث بميكروفون إلى اللاعبين حتى يسمعونه ولكن المهيمنين على المباراة رفضوا على اعتبار أن القائد قد اعتذر من قبل ولا يحق للمعتذر أن يبدى أسفه أو اعتراضه.

تساءل القائد عن أسلوب الاعتراض فقال المهيمنون وكلهم ثقة: سحب الاعتذار.. ساعتها أطرق القائد وقال فى نفسه: أريد أن أحطم هذا الملعب وأنقله إلى مكان آخر وأريد أن أدفن العظام إلى حيث أتت وأن أريح الرأس التى أدمت كل الأقدام وأن أعيد تسجيل هذا اللاعب فى السجلات، وأريد أن أسحب الاعتراض ولكنه قبل أن ينبس بقراره نظر إلى لاعبى الفرقتين فوجدهم منهمكين فى ركل الكرة.

openkandl.com

(٣٩)
(رسالة)

لم يكن فى حسبانه أن يكتب لأحد فى يوم من الأيام خاصة إذا كانت الكلمات تمس الشعور كان دائماً يسخر من أولئك الجماعة الذين يكتبون إلى أحبائهم سطوراً تحمل رغام بساطتها أروع المشاعر إلا أنه أخيراً رضخ وأمسك القلم وطفق يسطر.

لا أعرف فى الحقيقة ماذا أقول بل لا أعرف ماذا سأكتب ما أريد بثه أننى سئمت الوحدة بعد طوال غيابك.. نعم لم أكن أراك إلا قليلاً ولكن كان ذلك القليل يكفينى أما الآن فلا قليل ولا كثير فكل شىء صار فراقاً.. بالطبع أنت مندهشة ما هذا الكلام؟ ومن صاحبه ولكن يجب فقط أن تدركين ولا شىء آخر يهم.. كل ما أريده هو أن أقول إن الأمر قد انتهى.. نعم لقد أدركت أننى أحبك ولن أنالك.. ولكن العجيب هو أنت.

كانت الفترة السابق إختبار لى ربما يكون جمالك هو صاحب

obeikandl.com

الأثر ولكن أعتقد لا.. لم يكن ذاك هو السر فقد يحدث من هى أجمل منك ولكن لم يكن هناك شىء ليجذبنى إليها.. ربما تكون رقتك وكلماتك ولكن أعتقد أن هذا أيضاً ليس النخاع.. خرجت من كل أمسياتى معك بمفردى بأن هناك شيئاً انسانياً يجذبنى لك.. شىء لا ينحط إلى الغريزة البحتة ولكنه شىء أثيرى لا أستطيع أن أفهمه.

حبيبتى.. معذرة أن قلت هذه الكلمة.. أنت لى شىء مبهم ولكن فيه سر السعادة وأنا لست من أولئك الذين يتعبون أنفسهم بفهم سر السعادة أو الأسرار الأخرى كسر الحب مثلاً، أنت أيضاً مبهمة لى لأنك امرأة ولكن ما يجعلنى أحلم وأحلم شيئاً بسيطاً.. اتذكرين عدد مرات التقاء عينينا؟ إننى اتذكر جيداً.. انهما مرتان ولكن فى كل مرة رغم أن زمنهما أقل من ثانية أشعر أن الدهر امتد حتى صارت الثوانى قروناً.

ورغم أن الزمن كان بسيطاً إلا أننى تعمقت بهما ووصلت إلى القاع فعلمت أنك تحبين وتقاومين.. تريدين وتمتنعين.. إنك امرأة، عزيزتى لهذا فقط أعذرك فأنا احترم غرور المرأة وثقتها فى نفسها وخاصة أن المرأة تقع دائماً فريسة شعورها كإمرأة قوية شامخة طامحة إلى تحطيم أسطورة الرجل، وبين شعورها كأنثى تريد الحب

والسعادة والإطار، وقد وقعت أنت فى شباك الاختيار أتختارين نبضة القلب أم ضربة القلب؟

هناك شىء آخر يجدر به أن يذكرنى فى رسالتى الواهية. أنت تعلمين جيداً.. ان ثمة حواجز اجتماعية بينى وبينك وبالطبع أنت لاحظتى دبلوماسية لفظة اجتماعية، فالمجتمع كالجبل لا يمكن لمن فى سطحه أن يرتقى قمته إلا بعد الرحلة الطويلة وليس من المعتاد فى هذا الجيل أن يمد من هم فى القمة أيديهم إلى من هم فى القاع وبالأحرى لمن يهبطون إلى السطح ليصعدوا جميعاً خطوة خطوة..

وأنا لا أعد مقصلة إذا تذرعت بهذا فهذه هى الحقيقة وأنا لا اتهرب من الحقيقة ولكن أحاول فقط أن أقلل عدد السهام التى ستخترق جسدى الواهى أثناء الصعود.. والآن لا أعرف لماذا كتبت؟ ولكنى شعرت أن هناك رغبة لا تقاوم تحرك يدى ومن ثم قلمى لتسطر بعواطفى تلك الرسالة التى لن أطمع فى أن أوصلها إليك.. انها رسالة ضالة.. لا يعلم كاتبها ما مصيرها.

كاد هواء النيل أن يقذف بالورقة إلى بعيد إلا أنه احتفظ بها بين أنامله بعد أن أحكم ثنيها عدة مرات وها هو يلتفت ليجدها.. ان هذه المرة الأولى التى يجمعهما بمفرديهما مكان واحد.. ووجم الفتى

ولم ينبس بكلمة واحدة وحتى لم يخطر بباله أن يجلسها على المقعد المجاور وانما قال بعد إن أمسك بالورقة جيداً.. أنت.. نحمد الله على سلامتك. وقفت بعينين صامتتين حالمتين عميقتين وكادت أن تبكى.. فى هذه اللحظة ود لو أن يتجه إليها يحميها من كل شىء حتى من الهواء الذى يحيطها وأشار لها بالجلوس فقد اكتفى هذا، فجلست فى هدوء وقالت: لطالما رأيتك هناك فعلمت بديهياً أنك لابد أن تكون هنا.. إلا أنه لم ينبس بكلمة.. كانت تلك اللحظة تعنى لهما الكثير، أرادت أن تفتح كوه فى جدار الصمت فأحالت بصرها نحو الشفق وقالت: الشفق فرد فى صوت عميق: الشفق؟

الشفق هو الموت؟

فرد فى صوت آمل: الشفق لنا هو البعث لغيرها.

ولكنها انفجرت: لا تستفزنى بفلسفتك الآملة إلا أنه لم يتحدث فاستطردت: هل تعلم لماذا جئت.

كلا..

ساعتها شعر أنها على وشك شىء عظيم فقد حدقت به جيداً وقالت: هل تحبنى؟

وهوت الكلمات على رأسه كالصاعقة إلا أن صوتا لم يصدر منه

فقد كانت عيناه محجوبتان بسحب الاندهاش والواقع ولما لم تجد كلمة لمعت عيناها وسادت الحمرة وجهها: أنا أحبك. مرت لحظة رهيبة كادت دموعها أن تتساقط، زاد شحوبها مع الغروب: كنت أستطيع أن انتظر كلمتك سنوات طويلة ولكن لم يمهلنى القدر سوى هذا فقط. كان عليه أن يعالج الموقف بحكمة: ماذا تقولين؟

تحدثت: ليس هنا وقت بالفعل. أن هناك من هو قادم ليخطنى وأنا وأنت فى سبيل واحد.. صدرت كلماته: ولكن هناك فارق كبير بينى وبينك.

لا فرق بين قلبين كلاهما من تراب.

- قد يكون الفرق فيما فوق الأجساد.

- المهم هو الجوهر.

- ولكنى أراك واثقة من حبى جداً.

- إننى أعلم هذا من زمن طويل.

- ما مؤهلات القادم؟

وأمدته ببعض المعلومات عن ثرائه وعلمه.

- إذن لماذا لا تتزوجيه؟

- ماذا؟

- لا ماذا؟ أنا مرتبط بأخرى.. لا تحاولى أن تزيدى العرض أكثر من ذلك.

- عرض؟.. أى عرض؟

- كل شىء عرض وطلب وأنت عرضت وأنا لم أطلب، وعلى الفور أزاحت وجهها إلى الناحية الأخرى وأمسحت دموعها بسرعة ثم واجهته وسددت إليه كلمات قوية لترد لنفسها كرامتها فقالت من سيل كلماتها: كنت أحسب أن حبى لك كبيراً ولكن عرفت أننى وضعت شيئاً ثميناً فى خزانة من الصفيح لا تقدر قيمة ما بها.. ثم ذهبت متألمة مشروخة القلب، أما هو فقد قال: أخاف عليها أن تصعد الجبل فتتألم معى.. هو أفضل لها ثم أخرج عود ثقاب وبث به النار فى رسالته المطوية.

obeikandl.com

(٤٠)
(الجريمة)

السكون رهيب الصمت يصم الآذان.. الريح تعبث بالأغصان.. وهو استل سكينه الضخم وبثه فى صدره ثم أخذ يسير، يسير إليه.. كانت الطريقة طويلة لا يرى منها بصيص من نور، لم يقابل أحداً الهم إلا رجلاً وحيداً أخذ ينظر إليه مذعوراً.. أما هو فقد استطرد المسير. وضع يديه فى جيبه تاركاً وجهه يلفحه الهواء. فضاقت عينيه وأدمعت احداهما.. كان مرعوباً من هذا الرجل الذى يأتى من بعيد ولكنه أيقن أن الثقة هى الفيصل وبالفعل لم يلتفت إليه ولم يبد خوفه فمر الموقف بسيطاً.. ها هو يتوقف عند الباب العام للدار كلها.. البواب يغط فى نوم عميق.. لا مار واحد الظلام يكتنف كل شىء.. بالفعل خطى خطواته إلى الباب.. واجتازه وبدأ يصعد الدرجات الرخامية.. كان يعلم أن الصوت فى هذه الآونة قد يجلب متاعب لا حصر لها لهذا كانت قدماه تلمسان الأرض.. لمساً.. هاهو

obeikandi.com

يجتاز الطابق الثانى.. ويعرج إلى الثالث ويستطرد فيصل إلى منتصف الطريق وفجأة يسطع النور وينطلق صوتاً رهيباً ممزقاً هذا السكون.

وقف فجأة وقد تصبب العرق على جبينه وتسارعت دقات قلبه.. بزغ من الباب رجل ضخم الجثة يحمل فى يده اليسرى زجاجة خمر ثم يصيح بأعلى صوته بأقذع الألفاظ لزوجته.. التى توسلت إليه أن يدخل ولكنه لم يرد.

صمم أن يقف إلى الصباح.. ساد المكان حركة غريبة وتوارى فى الطابق الثانى المظلم تماماً. ظل هكذا حبيس المكان ما يقرب من ثلاث دقائق.. لا يقتصر الأمر على ذلك فلم تمر دقيقة واحدة أخرى حتى سمع صوت أقدام تصعد.. كان الصوت يدل على ضعف الصاعد وملله من ذلك فقد صاحب الصعود اصدار صوت الحنق.. لم يفعل الرجل شىء سوى أن التصق بالحائط واستتر بالظلام وساعده على ذلك ردائه الأسود.. صعد الصاعد ولم يكن سوى البواب.. وقف أمامه مولياً إياه ظهره وهو يحدث نفسه بصوت مسموع: ترى هل يكون أحد قد صعد بالفعل؟

ليس لهذا إلا الاستاذ الثمل دائماً.. انحذر العرق بارداً على جبهته وكتم أنفاسه وود لو أن يحطم القلب الذى يسمع ضرباته بوضوح

تام.. وصعد الرجل درجات السلم وتحدث مع سمعان الذى انفجر فيه بصوت مكلوم بالخمر: ابتعد أيها الأحمق لم يجئ أحد ولن يجئ أحد طوال إقامتى هنا.

مرت خمس دقائق أخرى تنازعته أشياء كثيرة ورغبات عديدة، وفى النهاية قرر العدول عما سيفعله، بدأ يهبط أولى درجات السلم ولكن صوتاً شق الهواء قال: أين أنت يا حنفى.. ولم يكن صاحب الصوت إلا زوجة البواب.. ماأن سمع كلماتها حتى اتجه إلى ما كان فيه من مكان وكتم أنفاسه فقد أيقن أنه الآن محصور بين طابقين والظلام الواهى وحده ما يستره، لم تمر ثوانى حتى دخل الأستاذ سمعان، هبط حنفى البواب دون أن يلاحظه ساعتها أعدم النور وساد الهدوء أما هو فقد جلس أرضاً يستريح قدمه من هول ما كان فيه.. بعد لحظات أخذ يصعد الدرجات من جديد واجتاز الطابق الثالث وهو لا يصدق أنه يجتازه.

ها هو يصل إلى الطابق الخامس وهو الطابق الأخير، ما يزال يصعد فى بطء شديد.. وفجأة سرق السكون مواء قطة صغيرة داس على ذيلها، لم تتحمل القطة فصرخت مرة ولم تكتف بالثانية بل أخذت تسهب فى المواء.. جن جنوه، فقد أدرك أن النهاية آتية لا شك

فيها ووقف عاجزاً عن كل شىء فقد وقف بين شقتين والقطة أمامه تمزق الليل بموائها ومن الممكن فى لحظة واحدة يفتح الباب وتكون الكارثة.. فى غضون ثوانى جاء الفرج فقد تركت القطة المكان وهبطت تموء إلى غير رجعة فى مكان آخر.. وبعد لحظات انتهى المواء..

أخيراً جاء سطح المنزل واقتحمه ووجد الهدف، وهو هذه الحجرة الوحيدة التى جاء اليها مرتين من قبل.. كان يعرف الطريق جيداً.. فلم يدخل عبر الباب بل من الشباك المتوسط المساحة وكان يعلم أن أسفله الأرض مباشرة لهذالم يكن ثمة عوائق.

فى لحظات كان يتوسط الحجرة ومن خلال النافذة أخذ النور يسطع فرأى الشىء إلى على قلته كان كل ما يبغى.. فاتجه إلى الدولاب.. وفتح شِقه وساعتها بزعت الجنيهات الألف فى حزمة واحدة.. نظر إليها وأمسكها بيده ثم نظر إلى زميل عمله المسجى على السرير وقال: كنت أنا المستحق لها.. أنت لا ولد لك ولا ابنة أما أنا فمسئوليتى أكبر.

أغلق الباب وقد تنفس الصعداء فقد أدرك أن جريمته ستكون سرقة فقط اتجه صوب الشباك ولكن القدر لم يمهله أكثر من ذلك فاصطدم بشىء ما لم يره وكان هذا بداية صراع.. لم يكن ثمة مجال

ليريا بعضهما فأحدهما يجد سارق فى حجرته ولابد أن يزود عن نفسه وعنها والآخر لا أمل له إلا الهروب دون أحداث ضجة، لابد إذن أن يقتل هذا الرجل فهو خصيمه المبين فى العمل.. فلن يرحمه حتى إن توسل إليه، فى بضع لحظات كانت الحجرة كومة من الحطام وبين هذا الحطام كانت جثة الرجل.. أما صاحبنا فقد هرب ولم ينس السكين فقد أغمدها فى قلبه وأخرجها مرة أخرى، لم يكن هناك وقت لأى شىء فقد وضعها فى صدره فى مكانها الذى كانت فيه واتجه إلى الخارج.. ها هو يكاد أن يجتاز الطابق الأخير وفجأة سطع النور وفتح الباب وقال رجل لزوجته: يبدو أن شيئاً ما قد حدث، إن الجلبة كانت رهيبة.. على الضوء رأى يديه الملطختين بالدماء وردائه كذلك ولم يجد أمامه إلا الطريق الذى ترك ليهرب.. بالفعل صعد إلى السطح ووقف وهو لا يعرف ماذا يفعل، وفجأة صاح ديك بجانبه فمزق الصوت أذنه.. ابتعد عنه فى حنق من كل شىء وألقى نظرة أخيرة على الحجرة المظلمة ثم اتجه صوب السور الطوبى فوجد أن الأمل كله يكمن فى سطح المنزل المجاور ولكن المسافة ثلاثة أمتار والتهب السؤال: هل سيستطيع أن يقفزها؟

فى هذه اللحظة كانت الأصوات الآتية من أسفل تتزايد وكان

هذا كان يعنى شيئاً واحداً أن الطريق الوحيد هو المجازفة، ارتقى السور وقفز ونجح.. هذه القفزة كانت تعنى بداية قفزات فمجرد أن ينظر أحد من السطح سيكتشف من على السطح الآخر أخذ يقفز من مكان إلى آخر وهو لا يعلم إلى أين يتجه.. الشىء الوحيد الذى كان يفعله هو أنه كان ينظر إلى الخلف.. ها هو السطح الأخير قد أتى فلم يجد بعده شيئاً سوى الأرض.. هبط الدرجات الرخامية فى قوة اللامبالاة واليأس.. ووصل إلى الشارع المنزوى وتنفس الصعداء لذلك فقد كان منظره يوحى بلا أى شك أنه قاتل.. بدت الحيرة على وجهه أين سيتجه؟

فرأى أن يتجه إلى هذا الشارع الضيق وبالفعل ولجه فى منتصفه وجد نفسه محاصر بأربعة من الرجال.. دار بينهم حديث قصير علم منه أنهم يريدون المال الذى يحمله وأنهم يعلمون من منظره والدم الذى لم يجف على ملابسه أنه قد أنهى القتل فى التو واللحظة ولم يجد شيئاً يفعله فقد أنكر أن معه مال وهو يعلم أن السلاح سيكون له الغلبة فى النهاية إلا أنهم صوبوا إليه مسدساتهم فى لحظة واحدة، واطلق أحدهم طلقة أصابت قدمه وصرخ: نحن لا نمزح.. لم يجد بد من أن يعطى إياهم ما سرق وما من أجله ارتكب كل هذا.

أعمل يده فى جيوبه وكم كانت المفاجأة بأنه لم يجد أى نقود.. رجح أنها قد تكون قد سقطت منه أثناء الهروب.. لمح فى أعينهم أمارات النهاية، واتجه إليه أحدهم وفتشه ثم قذف بالسكين بعيداً.. ووقف أمامهم يسترحمهم.. كان يريد أن يعطيهم المال ولكن مبرر الجريمة ضاع فى خضم الهروب من الجريمة.. كان يريد أن يسترحمهم حتى لا يقتلوه ولكنه تذكر ما فعله من دقائق.. لم تمر سوى دقيقة إلا وكانت رصاصة ممزقة قلبه.

openkandl.com

(٤١)

(رد)

عزيزتى.. أ..

لا فائدة..

أُنهكت قواى من طول الصراع..

اقترنى بالسباك...

الماجستير / ب. أ. أ.

obeikandl.com

(٤٢)
«الثالث»

ما بين الليل والنهار كان يمشى بمفرده على الطريق الطويل الذى اعتاد أن يجوبه منذ زمن طويل.. إلا أنه لم يجد شيئاً جديداً يفكر فيه أو يؤديه، فجأة ضحك ضحكة ساخرة لم يدر من أين أتت.. بعد برهة أيقن لماذا ضحك؟ فقد أدرك أن شيئاً مهما كان لن يحقق له رغباته بل رغبة واحدة منها فلم إذن يفكرأو حتى يبكى؟

أراد أن يحدث أحداً فلم يجد ورغم أنه فتت الجريدة قراءة إلا أنه أراد أن يثبت أن لا أحد يستحق الحديث معه وأيضاً كل رغباته مجرد زفير.. فاتبع البرهان..

جرت عيناه على السطور وأدركه القنوط بعد برهة فمزق الجريدة وبعثر ألسنتها على قارعة الطريق غير مكترث بنظرات الاحتقار من البعض والتشجيع من الكثيرين.. ارتد السؤال فى نفسه تساءل لماذا فعل هذا؟ جاءه الرد بالتحدى لكل شىء كان يجب أن

obeikandi.com

يفعل شيئاً يتحدى فيه أى إنسان أو أى شيء مهما كان.. إنه يريد دائماً أن يستفز كل من حوله بل يجد لذة غريبة فى استفزاز أصحاب النجوم وخرق المادة التى تصنع النجوم.

مرة أخرى أخذ يضحك بشدة وسخرية ولكن هذه المرة لم يسأل نفسه عن شيء فقد ترك كل شيء يسير ويمر دون حتى ملاحظته.. تذكر أحد الأنباء التى مزقها عن الدمار والذرة فاجتاه شعور طاغى بالقوة كأنه يملك أداة تدمير العالم، صرخ فى أعماقه.. نعم.. نعم اننى أملك قنبلة ذرية وتخيل هذا على الفور بل راح إلى الأرض آخذاً من بطنها فلذة قابضاً عليها وانطلق هاتفاً..

قنبلة.. قنبلة.. ابتعدوا.. انفجار..

كم شعر بالسعادة حينما رأى تلك الابتسامات المدبرة والعبوث المعتلى الوجوه وكم ضحك ملء شدقيه عندما رأى كل من حوله يهرلون لا يلوون على شيء.. وقف وهو بالفلذة على الأرض فساد الانبهار والتعجب ثم انهالوا عليه ضرباً.. وعندما اكتفوا بما أشبع غرورهم كانوا جميعاً مذهولين فقدكان لا يزال ساخراً من الجميع ضاحكاً..

مرة أخرى عاد إلى الطريق ولكن فكرة القنبلة الذرية لم تفارق

خياله فراح يقنع نفسه بالفعل أنها معه ولكن كان هناك سؤال: على من سيصبها؟ فأجاب على الفور.. على العالم.. ضحك ساخراً متسائلاً: أيهم.. ثم لاحقته نفسه فقرر أنه سيصبها على الطرفين فى وقت واحد ولكن كيف ذلك؟ لم يقتنع تماماً بما يفعل بل قال مسراً قوله إلى نفسه: لماذا؟

لماذا سيصب قنبلة عليهما معاً؟ إنه ان فعل هذا سيوجد طرفين جديدين إذن فليصبها على الوسط يجب أن يحطم دميتهما فيحزنهما ومرة أخرى تساءل لماذا؟ انه ان انتقم بهذه الطريقة سيهب الراحة لمن عذبوه وأهدروا رغباته وحطموا أحلامه.. نعم.. نعم الآن يجب أن يبقى الأمر كما هو عليه.. فاتجه إلى النيل وقذف بالهواء المدخر بين يديه إلى النهر.. ساعتها أطلق ز فرة حاره لقد انتقم.. يجب أن يدور كل من أداروه بين رحى الضياع، وعندما وصل إلى نهاية الطريق لم يجد شيئاً يفعله، لمح فتاتين فاختار أقبحهما فشاغب إياها..

(٤٣)
سأواصل

(واحد شاى يا أسطي) القى الفتى هذه الجملة.. رددها جالساً قانطاً.. بادره.. لمن؟ للمعلم صبحى.. ضحك صامتاً.. المعلم صبحى؟!!

طيب.. فتح نوتته الصغيرة آخذاً النظر إليها.. غباء.. كيف تاهت من ذاكرتى كل المطالب؟ إن مايجب أن يدفعوه أكثر مما سجلته.. اللعنة على النسيان.. من لملوم الحرامى لعبده الملاوانى.. ولا عزام الترزى.. ابن.... لا.. حتى لا يسمعنا فيحجب عنا الماء.. انه (يطفح) الشاى مجاناً مقابل ماء صنبوره الأسود لهذا الكشك الواه.. معلهش.. آه.. معقول؟ خمسة وسبعون قرش فقط لأحمد (المزين).. سقط الشاى الفائر على الشعلة فأطفأها.. توالت القطرات على يده وأحرقتها.. رُد إلى الواقع.. أغلق النوتة.. (ملعون أبوك بابور أسود زى المشاريب) حمل الصينية.. سار بأفعوانية عبر الشارع المزدحم..

obeikandl.com

وبعدين.. الواد بركة عاوز درس خصوصى.. ومراد.. عاوز لعبة والبت رضا عاوزة هريسة.. والست عاوزة لحمة.. وأجيب منين؟

بسرعة رد السلام- صباح الخير يا عم لملوم يا أمين- واحد شاى متعة.. وحتت تلجة.. وأنا خدام السيادة.. وقف يراقب من بعيد.. فتح لملموم المحفظة.. سال لعابه على الأوراق من كل صنف ونوع.. أخيراً أتى لملموم بورقة..

- تسلم يا معلم.

استطرد.. ربع جنيه يا حرامى؟!!

معلهش..

فى الطريق إلى الكشك أوقفته سيارة..

- واد يا كامل

- أيوه يا بيه

- أناموش قلت الكشك بتاعك ده تغور بيه

- مفيش مكان تانى يا بيه.. أبوس إيدك..

لا ايدى ولا رجلى.. الكشك يزول..

- هتبقى منك يا بيه ولا من الترزى ولا من الحلاق.

obeikandl.com

- اسمع الكلام أحس أسجنك..

- حاضر يا بيه.

سارت السيارة.. جلس على الرصيف لا يدرى ماذا يفعل.. أى مكان يذهب بعد كل هذه الرحلات والمشاجرات؟.. وماذا سيسجل اليوم لبركة ومراد ورضا والست؟

ردد.. معلهش..

obeikandl.com

(٤٤)
الكائنن الصغير

عيناه أبتا الاستسلام للنوم.. قرر أن تكون الليلة موعد التنفيذ.. تذكر محاولاته الغابرة للقضاء على هذا الالحاح ولكنه لم يتحمل.. صرخ.. أعددت كل شيء.. لا تأجيل.. جلس منذ زمن طول على مقعده ذى الثلاث أرجل.. استل القلم وأعمله فى فكرة.. راح يرسم الخطة.. يبدو أنه لا يزال ينتظر الإذن من شيء ما فى صدره.. حتى الآن لم يستطع أن يزحزحه عن رأيه.. هب متمرداً على كل شيء.. أحدث ذلك زلزالاً للحجرة.. فتح الباب الخشبى فثار صوت التروس من مكامنه الصدأة.. وقف يشاهد كل شيء وحده فى صمت مطبق.. أليس هذا بيت الرجل الى أختلق كل الحيل ليخرج دون أن يراه.؟ أليس هنا مكان المرأة السليطة اللسان التى أهدرت كرامته.؟ كل هذا من أجل القبر الذى يقطن به.؟ حتى الشحاذ لم يعد يلتفت إليه.. لقد شاهد الجميع ماضيه المحترم إلا أنه فقد إلههم - الذهب- فكفروابه آدمياً..

obeikandi.com

هكذا لابد أن يطيح بهذا الأبلة الذى مازال يتنفس بقايا الشهيق فى صدره.. لابد أن يكون ذبح بعد كل هذا العذاب.. لقد أدرك حقائق من حوله.. قرر أن يستعيد إلهhe ليعتلى به الرءوس.. سيستعيده من أعلى.. استدار وبعينيه وميض غريب.. أغمد سكيناً فى جيبه وشيئاً آخراً فى جيب صغير بالقميص الأحمر.. أغلق الباب وأنهى الأنين.. وصل إلى عينيه رفات ضوء قادم من أسفل.. صمم أن يصعد حيث لا ضوء.. انه الآن بالطابق الأخير.. أمام باب خشبى ضخم.. مسح قطرات عرقه.. عالج الباب بالمفتاح.. أصبح الآن بالداخل.. استجمع قواه على هدى الضوء الشاحب من أركان الصالة المضغوطة.. بهدوء فتح الباب.. خطا أولى خطواته بالحجرة.. وجدها نائمة على سريرها الحريرى الذى لا يئن تحت وطأة جسدها.. اتجه إليها فى هدوء.. أنه يريد ذلك الشىء الى استقر برقبتها.. أخرج الخنجر حتى يطمئن بقتلها.. ان حدث ما ليس بالحسبان.. ها هى توليه جيدها الذى يتدلى منه مفتاح متوسط الحجم إليها بخيط أسود.. لابد أن يقطع الخيط.. جَزة واحدة تكفى.. اقترب أكثر.. مد السكين إلى عنقها الرقيق أحاط النصل بالخيط.. استجمع كل قواه.. قطع الخيط.. ياللهول.. سقط المفتاح على صدرها الناصع.. وضع السكين على الفراش وقد تصبب

العرق على جبينه.. كيف لا تستيقظ؟.. لابد أن يقترب أكثر.. عاودت يده السكين.. لفحت وجهه انفاسها فعصفت بمقاومته الرجولية.. عض على نواجذه.. إلا أن دماء جديدة قد تبدلت وهو يشعر أن الأمر يكاد يفلت من بين يديه.. كم حدث نفسه مئات المرات بجمالها وها هى أمامه لا تبدى حراكاً.. يستطيع أن يفوز بها ثم يقتلها خاصة أنه لا يعترض على القتل إذا ما فضحته.. هكذا يفوز بكل شىء لحظات رهيبة مرت.. قرر أن يعدم خياله.. لقد جاء للسرقة فقط.. مد يده مستهيناً بكل شىء آخذاً المفتاح فلامس بنانه جلدها الحريرى.. كم اندهش.. لم تستيقظ.. بث المفتاح فى الدولارب. الآن كل ما يريده أمامه.. ها هو الإله الجديد.. أصفر اللون.. ليغترف منه.. مد يده إلى مبغاه.. لامسهم.. ذُعر.. لقد وقف حائل غريب بينه وبين هدفه.. اشتعلت نفسه لم التردد..؟ لقد خاض فى ذلك الأهوال.. لقد انفجر الكائن الصغير.. كان يعتقد أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة.. فوجئ بعملاق لا يستطيع عصيانه.. أغلق الباب.. لفظ المفتاح على صدر النائمة.. أولى ظهره كل شىء.. هرب.. من جديد استقر فى حجرته.. هدأ.. لعن نفسه.. أيقن أنه جبان.. لا يفهمن الدنيا.. لا يستطيع أن يعامل الناس.. يجب أن يضع نهاية لكل هذه الحياة القاسية.. يجب أن..

توقفت خواطره اثر طرقات رقيقة.. فتح الباب.. كانت هى.. صُعق. أدرك أنها أتت تهدده لابد أنها رأته.. استقرت يده بحركة تلقائية على موضع السكين.. جلست بعد حديث مقتضب.. كم كانت دهشته.. تر كها تتكلم.. صرخت.. انها تحبه منذ شهور طويلة.. راجع نفسه فوجد أن كل ما تقوله ينطبق على حالة حب..

استطردت تستعطفه.. كم كانت تقضى الليالى وحيده.. باكية.. توسدت صدره.. سقطت من يده السكين.. همست.. لقد نامت بليلتها ساعة واحدة فقط رأته فيها فى حلمها الوردى.. أنه يلبسها عقد لؤلؤى.. تذكرت على سبيل الصدفة أن المفتاح قد سقط من عنقها أثناء النوم.. أعطته إياه إذ تخشى أن يضيع ولا تعرف له مكاناً.. أخذ المفتاح.. سألته هل سيتزوج ابنة صاحب البيت حقاً؟

لم يعرف بم يجب.. احتضنها.. قبّل جبهتها.. اتفقا على الزفاف.. خرجت بأعين سعيدة باكية فى هدوء.. كان الوقت فجراً اتجه إلى الفيض القادم من النافذة.. ابتسم فى هدوء..

(٤٥)
ليلة التفوق

ضجيج الطبول لم ينل من استرسال أفكاره.. العيون كلها تشيعهما إلى عش الزوجية.. يداهما متداخلتان.. تغوص بعينيها من خلف وشاحها الأبيض بالأرض.. ابتسم لها.. توارت عن عينيه فى خجل.. أُغلق الباب.. وبهدوء ساد الصمت.. بخطوات متئدة اتجهت إلى السرير.. جلست.. اتجه نحوها.. جلس بجانبها.. عيناه اخترقت الوشاح الأبيض.. تبدلت نظرته إلى أخرى.. بعنف ضمها إليه.. تسللت أنامله إلى جسدها فاحتوتها تماماً.. أراد أن يحدثها.. أن يصارحها.. التمس الهدوء الذى خطط له.. كأنه يُهنئ نفسه..

(مبروك.. الآن أنا الأقوى.. بين يديك خصمك العنيد.. سميرة.. أتتذكرين؟ تلك الأيام التى شهدت كبريائك عليّ.. انتصارك على نفسى؟ أعلم أنك قوية.. قاطعة.. ولكنك لم تصمدى أمامى.. ان كان عقلك

obeikandl.com

أقوى من عقلى.. إن كان تفوقك عليّ خاصة.. قد أثارنى.. نال منى.. فإنك أيضاً لم تستطيعى مقاومة حبى.. أعلم أنك ستصدمين ولكن الذنب ليس لى.. أنت تعلمين أن جمالك ضعيف.. أن كل الحواءات الى صدرى يتمنين.. آه.. ان كنت صاحبة انتصار هناك.. فإن خطأك أنك تصورتى أننى أحبك.. ماذا بك يجعلنى أحبك.. وجهك النحيف البارز العظام؟

عيناك السوداوان الضيقتان؟.. كل شىء بك يدعونى للنفور منك بالمقارنة بالآخريات، كأنه هنا قد وصل إلى ذروة انتقامه.. تنبه على صوتها الخاجل:

وجدى.. آلمتنى..

كانت أصابعه قد غُرست بها.. تأسف عبر ابتسامة غريبة فسارعت فدفعت وجهها إلى صدرها.. عاود ابتلاعها.. (سميرة.. لم يكن كلمة الحب التى قُلِتها انتصاراً كاملاً.. ان من هى مثلك تستطيع أن تسحق فؤادها بأمر من عقلها.. نعم.. كنت تستطيعين نسيانى إذا ما أفصحت لك عما أنويه.. إن انتصارى الساحق سيكون بغزوك.. انتصار الرجل على المرأة.. زوجتى.. لا يكون إلا بالوصول إلى أعماقها..

openikandi.com

هذا غير المتعة تماماً.. ساعتها ستسلمين لى.. ستنتظرينى.. أو سأجبرك على الانتظار.. ساعتها سأجبرك على الرغبة فى.. عندئذن.. سأطلقك.. إنه شهر واحد فقط يا زوجتى العزيزة وتُعلن نفسى هزيمتك لكل الوجود.. هنا.. استكانت تماماً.. تهدجت أنفاسها.. رفعها عن صدره.. أغمضت عينيها.. ابتسم ابتسامة النصر..

opeikandl.com

(٤٦)

صاحبه

قرر أن يذهب إليه.. رغم تعبه الناجم من السفر.. أرادها مفاجأة لصديقه الوحيد.. أراد أن يطلع على خطاب الشاعر إلى حبيبته.. انطلق إلى الشارع (تُرى ماذا يفعل الآن؟.. هل أتم الخطاب الذى سيرسله إلى الحبيبة؟..) انطلق بين الزحام يصطدم بالأكتاف.. كانت رغبته حادة فى رؤيته.. توقف فجأة.. ها هو صديقه.. هرول إليه.. كاد أن يعانقه؟ التفت فوجده آخر.. *مستحيل.. انه هو. عيناه السوداوان.. شعره الخشن.. ايماءاته المنفعلة كشِعره النابض.. بل الطول الفارع.. يخلق من الشبه أربعين).. ضحك.. تذكر صديقه إذا ما كتب.. فكل شىء مبعثر.. الأقلام متنافرة.. الأوراق فى كل مكان.. إذاما ولج رتب كل شىء بينما الكاتب لا يزال يكتب لا يدرى ماذا حدث؟.. قرر أن يشترى قلماً هدية.. انه يتذكر أنه يعانى دائماً اختيار قلما يكتب به.. كم ندم عندما وصل إلى الحانوت.. وجد عدوهما اللدود.. راوغ المكان ودخل من الباب الآخر.

عندما خرج لم يستطع الفكاك منه.. تعجب انه هو القادم إليه..

- مساء الخير
- نعم.. ماذا تريد؟
- اتبتاع قلماً؟
- كما ترى..
- لمراد؟
- ماذا تريد؟ (يضحك) أوتضحك؟
- قل له عندما تراه.. مساء الخير؟
- حاضر.. سلام.

غريب هذا الغبى.. انه يضحك بشكل هيستيرى.. هل فى شراء قلم شىء مضحك؟.. آه.. اننى أعرفه.. هو هكذا دائماً.. حقود.. اننى مازلت أتذكر كيف باع مراد من أجل الحبيبة ذات العينين الزرقاوين.. كم قال عنه.. كم سبه.. إنه الآن مجنون لأنها اختارته.. مت بغيظك أيها الضحوك.. آه.. وصلت.. ثلاثة طوابق فقط ويفتح لى أبوه الباب.. أنا أعرف طريقى جيداً يا سيدى لا تتعب نفسك بمرافقتى.. الآن أطرق الباب.. طرق الباب.. مرة.. مرتين.. ثلاثة..

أخيراً فتح أبوه الباب.. صدمة النظرة الجامدة.

أين مراد؟

جاءه الرد من بئر سحيق. دفناه أمس.

(٤٧)
مرور

التحم بها.. هبط حتى المواسير الطافحة.. لم يعد يتلمس حبيبته الحمراء.. فهى الأخرى إلى آخر قد أصبحت.. ركل طوب المرمى فصرخ الأطفال.. الكرة تحطم لوح الزجاج.. يبتسم.. ضاقت عينيه اثر الريح فلم ير الوجوه الناعمة والجيوب المكتظمة. اعتقدوا أنه شارد.. كعادته.. دارت العقارب دورتان.. قدماه لا تزال تبحث عن أى شىء.. توقف الزمن ولكن قدماه لم تقفا.. نظر إلى كل من حوله.. كان وسط النهر.. السيارات تحيطه والأرجل لا تستقر.. تسمرت قدماه.. حدثها (تركت كل شىء.. وأين أى شىء)؟.. جلس القرفصاء انعقد حوله الجميع.. نظروا ونظر إليهم.. دقت ساعة رهيبة طبول السرعة.. وتوقفت كل العجلات.. تصاعدت كل الأبواق.. تصاعدت من بين الجميع ضحكات.. توافد رجل وجلس بجانبه.. ضحكوا.. تبعه الجميع.. جلسوا.. أخذوا يضحكون.. لا تزال الأبواق ولا تزال الطبول.. وهو لا يعلم متى سيرجع إلى حجرته الوحيدة..

obeikandl.com

(٤٨)
المحطة

أسرعت خطواتها.. يجب أن تلحق الموعد بأى ثمن.. الطريق الأسفلتى طويل مكتظ بالعربات.. لابد من اقتحامه للوصول إلى المحطة.. ها هى الإشارة التى لطالما أودعتها الانتظار توقف كل شىء.. ثبتت عيناها على المكان حتى لا تضيع صورته.. خطواتها المتلاحقة تدق الصف فى عناد.. يجب أن أراه اليوم. إن لى عشرين يوماً لا أنام.. سأقول له ليذهب كل شىء إلى الجحيم.. لا نريد سيارة ماذا سنفعل بها وسط كل هذه العربات؟

توقفت.. تلاقت أعينها مع عينين.. فى لمح البصر وضع يده على أكرة باب سيارته فانفتح قليلاً.. لم تبادله الابتسام.. وضعت نظارتها السوداء على عينيها حتى لا ترى إلا ما تريده.. استمرت.. هتفت..

نعم.. لا أريد أ ى شىء.. الحجرة الوحيدة التى سنملكها سنحولها قصراً.. والأثاث.. لم تكمل.. فقد رأته يصعد سلم الكوبرى.. رفعت

obeikandl.com

النظارة عن عينيها.. لم تصدق.. نعم.. هو.. يجب أن تناديه.. أن تضع نفسها ين يديه.. أن تبكى متوسدة صدره.. كل شىء يذوب ولكن قلبها يريد الطريق الذى أراده.. لم يبق لها إلا أن تصرخ.. تنادى.. لتجرب.. تعلم أنها لن تجده مرة أخرى.. لسانها المتعطش الى اسمه ينطلق.. ومعه كل ألسنة السيارات.. استرحمت بعينيها كل يد حتى يسمعها.. أصوات تعلو.. وصوتها يضيع.. توقفت انها لم تعد تراه.. لقد صعد إلى حيث ابتلعه الناس.. سقطت نظارتها.. تهاوت دمعتين رغماً عن العينين السوداوين.. تحركت الأفواج مرة أخرى.. حطمت سيارة النظارة.. وقفت كجزيرة وسط السيارات الهادرة الزاحفة من كل اتجاه.

من بعيد مازال يمسك بمقبض الباب المفتوح.

openkamdi.com

(٤٩)
(خيال المآتة)

إنه رجل مسئول.. عظيم الشأن ولكن هذا الشأن لا يرتقى إلى مرتبة المطلق ورغم ذلك فإنه يخيف الجميع لأنه رجل حق لا يخشى ى حق الله لومة لائم.. رغم قوته وأسلوبه النظامى فى العمل بين زملائه إلا أنه رحيم خارج العمل فهو يردد دائماً (كل شىء لابد أن يأخذ حقه).. من الطبيعى آنذاك أن يكون له أعداء، وأعداءه من طائفتين أولهما أسفل درجة منه وظيفياً وثانيهما أكبر درجة منه، ومن الطبيعى أن يكون هناك اتصال بين الجميع رغم أن العداء متفشى إلا أن المحبة أيضاً واجبة فإن كان هناك من يكرهونه فهناك من يحبه، أتى فى الساعة المحددة تماماً.. لاحظوا أنه اليوم على غير حالته فيدو أنه سعيد هذا اليوم.. فلم يكن يوماً شعره النصف مجهد بهذا التمشيط الدقيق وحتى جبهته ليست منقبضة الثنايا فتاهت

obeikandl.com

خطوطها القدرية فى خصال الارتياح حتى هذه العوينات السمكية التى تحجب خلفها عينين رماديين رقيقتين وأيضاً مفزعتين إيان الطلب كانت براقة اليوم منه، كعادته اطلق تحية السلام ولكنه وقف وسط الحجرة والجميع يعلمون ماذا سيقول، فزأر بصوته الجمهورى معلناً عن غضبه لعدم وجود هذا الزميل ثم حك أنفه الطويل كعادته الأزلية وفجأة تلاصقت شفتاه الغليظتان اثر ظهور المتأخر المهر ول فاكتفى بنظرة واحدة من نظراته الحادة ومضى إلى مكتبه بحجرته.

أما سليمان أفندى المتأخر فقد شيعه بنظرة ثائرة حانقة تود لو أن تفتك به بعد ما يقرب من الساعة دخل إليه عبدالله أفندى وهو يجف دموعه فأخذ الرجل يهدئ من روعه ويجلسه ويطلب له الليمون ويسأله عن حاجته.. فأخذ عبد الله أفندى يتحدث: الملعون سليمان يهددنى بأنه إن لم يأخذ المال سيبلغ الشرطة.

على الفور ارتفعت يده إلى ما تحت أنفه الطويل يحكمه فى هدوء ويقول:

سليمان أفندى ظالم يا عبدالله ولكن عبدالله نظر إليه نظرة التوسل وقال: انت الضامن.

فقال الرجل: هل عرفت الآن لماذا هو ظالم؟

فهتف: هو يريدك أنت؟

فاعتدل وقال: المهم هو ألا تخسر شيئاً.

فصرخ الرجل: إنه معلون.. ولكن ماذا افعل كان ولدى الوحيد مريض وكان.. ولكن الرجل لم يكمل فقد قاطعه وقال: أنا الضامن، لا عليكم، فانفجرت عينى عبدالله بنظرة اندهاش وقال: أنت يا أستاذ سلامة.. فقال سلامة: هذا.

- ولكن هذا الأمر يختلف.

- نعم أنا لست من الأثرياء بل من العامة ولكن كان عهدى والعهد دين.

وبعد ساعة أخرى كان سلامة يواجه سليمان ويقول: إذن أنت تريد المالى منى.

- هذا أمر ضرورى وبديهى.

- الا تنتظر قليلاً؟

- يا مديرى أنا لا انتظر أحداً.. كان هنا محتاجاً أقرضته المال وأنت ضامنه، أردت المال والآن لا تريدون أن تعطونى حقى.

obeikandl.com

- انتظر حتى بداية الشهر.

فقابله بنظرة تنفذ من عينين ضيقتين غائرتين وقال: لا انتظار.

فهتف سلامة: ماذا تريد إذن؟

وكأن الفرصة قد لاحت فقال: إن كل الأموال تستطيع أن تولى إذا ما وقعت على بعض أوراق التوريدات، فأسند سلامة رأسه على المقعد وضحك ضحكة صفراء ذات معنى ولم يتحدث وإنما أشار إليه بالخروج فخرج وهو يبث اليه نظرات الثقة.

قام سلامة وأخذ يحدق إلى كرسيه فى حزن وأخذ يقول: لقد فهمت الآن كل شىء.. انهم يريدونك أنت يا سلامة، يريدون ضميرك.. انهم يريدون أن يثقلوا كاهلك بالذلة والمهانة والخيانة، انهم يريدونك دمية فى أيديهم يلهوون بها متى شاءوا وما عليك إلا أن توقع لا.. لن أسعى إلى الخراب لن.. توقف عن الحديث ثم استطرد.. لكن الجزاء المهانة أيضاً.. التحقيق والبوليس وأنت تعلم الباقى..

اليوم زواج ابنتك أليس كذلك؟

هل يمكن أن يلتقى الملتقيان.. القهر والسعادة فى يوم واحد؟

ماذا يمكن أن تقوله أسرة الزوج عنك وعن ابنتك؟

لن يهم أحد دخولك إلى الزنزانة ولكن الكل سيشير إليك ممزقين شرفك وما أكثر أنامل الحنق والانتقام من ضمير وميزان.. أما العرس أو السجن يا سلامة؟

إن المبلغ كبير لا يمكن أن يُدبر ماذا أفعل؟

وإذا وضعت توقيعى فكيف أستطيع أن أخرس إبهامى يوم الحشر؟

أين المخرج؟

إننى لا استطيع أن أبيع كل شىء من أجل السجن؟

فى نفس الوقت كان سليمان أمام أحد الجالسين على المقاعد الوثيرة وضحك، ثم مشى سليمان واتجه إلى سلامة وبالفعل فرد أوراقه أمامه ثم قلماً أسوداً على الورق وجلس وقد ابتسم، دارت عينا سلامة فى جنبات حجرته كأنه يودع الجدران وبأنامل مرتعشة أمسك القلم الأسود ولم يكن عليه إلا كتابة خمسة حروف هى لبنات اسمه كانت هذه اللحظة هى اللحظة الفاصلة.. تذكر أيان أن كان تلميذاً متميزاً.. متميز فى كل شىء فى هندامه ورباطة عنقه الأنيقة وقميصه الناصع وطلعته وهيئته.. تذكر يوم أن واجه أستاذه بأن أستاذه قد أخطأ وصمم على موقفه حتى أمام الناظر فما كان من الجميع إلا أن

تعاطفوا مع التلميذ والذى لم يكن مخطئاً ولم يهب الموقف.

تذكر كل مواقف حياته الصلبة الشجاعة التى لا تلين حتى هذا الاسم الذى أطلقه عليه بعض المداعين من المقربين (سيف) لم ينسه. تذكر الابنة التى لن تلق أبيها بين يديها ولن يجد زوجها يداً تصافحه تحت مئذنة الشرع الناصع لتقرأ الفاتحة ولتتمم الزيجة.. تذكر بناته الآخريات الثلاثة وولديه الكبيرين.. كل فلذات كبده سيعلمون أنه كان على حق عندما نصر ضعيفاً ولكن من حول أبنائه فلن يقدرون شيئاً.. كان يجب أن يضع الحد الفاصل بين قلبه وضميره بين نفسه وروحه وعندما لامست الورقة ناب القلم لم يستطع القلم أن ينفث التوقيع فقد أطاح سلامة بالقلم والورق وهوى بقبضته على وجه مكتبه الهادئ وصرخ لن أكون خيال مآتة أيها الحقير.

وبعد ساعة كان يجلس أمام رجل من رجال النجوم وبعد العديد من الاسئلة والإجابات أخذ الطوق يضيق على الرقبة وأمر الرجل بحبس سلامة أفندى وقبل أن يمسك العسكرى بيد سلامة لمح سلامة لوحة كبيرة قد رسم عليها كفتى ميزان بينهما كلمة الله، وانهالت كلمات الأذن اليسرى تبدد روعة هذه الكلمة فى نفس سلامة وامسك

الرجل بيده فى قوة ساعتها شعر أن كل ما أسسه قد انهار وقام يلقى النظرة على اللفظ (الجليل). وماأن التفت حتى كان عبدالله يجئ مهرولاً يهتف: كل من يعظموك يا أستاذ سلامة كل من يحبوك جمعوا لى المال ليخرجوك أنت، بعد سبع ساعات كانت أنامل سلامة فى قوتها تلتقى مع أنامل الزوج وهما يقولان الحمد لله رب العالمين.

openkandl.com

(٥٠)

«كبرياء»

كانت أصوات غريبة تصدر إثرقرع الباب الخشبى ذى الثقوب القليلة عندما تثاءب ليفتح الباب.. وجدها.. وجد كل شىء.. الحب الكبير.. الذى استمر سنوات سبع.. رآها وقد أتت إلى هذه الحجرة المنبوذة عن المجتمع.. وهى من تعتلى أرباب الثراء.. جاءت.. ورأى عينيها بعد شهر غياب.. وفراق، رغم أن كل أخبارها كانت لديه.. وكأنه ببيداء فأخذد ينهل من عينيها بقدر استطاعته.. كم كان يحب عينيها!

أومأ برأسه لها فولجت دون تردد.. بهذه اللحظة دارت عنقه متعجبة وتساءل ماذا حثها على المجئ؟ إنه يتذكر كلماتها التى صدمته منذ ثلاثين يوماً.. يتذكر شفتيها الرقيقتين وهما يصدران أمر الإعدام.. فقد قال لها بعد سبع سنوات صمت.. أحبك ولكنها أجابت بأنها تحب.. وكان يعلم هو من تحب.. وكان يعلم ماذا حدث طوال هذه الأيام الثلاثين.

obeikandl.com

عندما ولجت رأت أن الجدران أضحى طلاءها تلك اللوحات المرسومة فى كل مكان.. رأت فى الجانب الأعلى على اليمين وفوق السرير مباشرة صورة مشنقة تشنق يد وأعلاها صورة قبر يخرج منه رأس.. رأت أشياء عجيبة لم تستطع أن تفسرها ولكن الشىء الوحيد الذى فهمته هو ما رأته أمامها مباشرة بعد أن استقرت فى وسط الحجرة.. فقثد رأت قلب يحيط وجهها.. نعم.. نعم هذا هو وجهها بكل ما فيه من ملامح فهذا هو شعرها الذى تتاذفه أمواج الهواء.. وهذان هما شفتاها الرقيقتان والمصحوبتان بابتسامة مشرقة.. كل شىء كان يعبر فى فصاحة عنها.

تواجها.. قالت: لم أكن أعلم أن خيالك شديد الخصوبة بهذه الدرجة.. ان صورتى كالحقيقة.. فأجاب بعد أن رفع رأسه ووضعها أرضاً عدة مرات: أنت خيالى، مسحت بأناملها بشرتها فى قلق ومرت لحظة عصيبة لم يتحدثا فيها.. وبعدها قالت:

ماذا عن آخر كلمات لك عنى؟

وكأن الدهشة عقلت لسانه فقال: ماذا تعنين؟

فردت فى تلقائية: أعنى آخر ما قلته لى؟

فضحك ضحكة متألمة وقال: آخر ما قلت أنا أم آخر ما قلته أنت؟

مرة أخرى مرت لحظة صمت ثم قالت: اننى أُنهى آخر كلماتى فقال على الفور.. انت بهذا مطالبة بالإجابة عن سؤالى؟ ولم تنبس واكتفت – بإيماءة من رأسها، فقال فى صوت متطلع: ما رأيك الآن إذن؟

فقالت فى رقة: نحن لدينا شعور واحد.. مرت نصف دقيقة رهيبة.. تبادلا فيها النظرات الحادة والرقيقة فى آن واحد ثم انفجر ضاحكاً.. اتجه إلى صورتها واستوى على كرسيه أمام صورتها وقال:

منذ ثلاثين يوماً جئت إليك أبث نار حب صامت لمدة سبع سنوات، ورفضت، وكنت ساعتها أعلم السرولكن إذا تراكمت سحائب اليأس فى نفوسنا فلا تنتظرى الشمس.. لقد دفعتنى لحظات ترقب نهاية العذاب إلى أن أعيش الواقع دون أن أعطى حساباً للأمل.. حتى إن كان أملاً ضئيلاً فإن أعيش يائساً أفضل عندى من أعيش معذباً تحت وطأة أمل ضئيل لمدة قصيرة.

أنا أعلم أنك تحبينه.. ذلك الفتى الذى نافسنى فيك.. لا تحاولى الحديث.. أنا أعلم كل شىء.. إن هذا الفرد الذى يعتلى قمة المجتمع أحاط قلبه بالزيف ليكسر قلبى أنا منافسه التقليدى لا يحب خطوطى الواهية وهى أيضاً لا تحبه.. وكنت أنت الفيصل.

لقد أخذك بلون العربة.. وبريق الورقة. وأنا لا أملك شيئاً..

أعيش مقبوراً منبوذاً عن العالم.. أضع كل أعماقى بالألوان.. واللعنة على نفسى وألوانها.. ماذا جنيتُ منها؟ لا شىء.. وبعد أن انتهت المنافسة انتهى حبكما فأردت أن تنتقمى منه وتردى اعتبارك.. أنا سيدتى لست حذاءً تنتعليه متى أردت حماية نفسك من الطين.. لقد جئت اليوم إليّ لا من أجل حبى الذى تكذبين باسمه ولكن من أجل نفسك.. وغرورك.. كان من المستطاع الا أردك بائسة ولكنى لم أجد فى عينيك ذلك البريق الذى جذبنى اليهما.. لم أجد فيك الحب. استطيع أن أصف بريشتى كل شىء إلا الومضة التى لا تُرى إلا برهة.. ان هذه الومضة.. هى الحب.. أنا لا أرى هذه الومضة.. بل وجدت الصلف والغرور.. لهذا لابد أن ترجعين محطمة الكرامة لا لأنك أردت الحب ولكن لأنك اتجهت إلى ذلك الجرذ الكامن بوكر قذر وكأنك تتوقعين أنك ما أن تتلفظيه بالحب سيهز ذيله منتشياً.

كلا سيدتى.. ان الجرذان أيضاً لهم كرامة.. هذه هى صورتك أليس كذلك؟

كنت سأشترك بها فى مسابقة.. أما الآن.. (يغمس الريشة فى فوهة اللون الأحمر ثم يضغط موضع الجبين فيتساقط مهدماً الخطوط).. ثم قال موليها ظهرها..

أن الأمل فى الفوز إن كان ممن سفحنى وهدم كرامتى فأنا لا أريده.. أما هى فقد اتجهت إلى الباب وواربته ثم خطت أولى خطواتها نحو الخارج ولكن قبل أن يكتمل الخروج نظرت إليه بطرف عينيها ثم أغلق الباب.. ساعتها دقت رأسه بين كفيه أما هى فقد مسحت دمعتين فاضت بهما عيناها.

opeikandl.com

obeikandl.com

(٥١)

«الحب الكبير»

تواً أنهى آخر ورقة فى رواية (الحب الكبير).. أطبق جفنيها.. راح إلى نافذته.. كانت كل شخصيات الرواية أمامه حتى إنه استشعر دفء العناق الأخير، بين البطلة والبطل.. كم حسد البطل على هذا الحب الذى عاشه بعد أن ظل سنوات طويلة يبحث عنه.. لم تتوقف الأمور عند هذا الحد فقد فجرت هذه الرواية كل ما اعتقد أنه أسكنه من حب فى وادى قلبه السحيق.. ظن أن أحلامه فى أن يجد حلمه الجميل.. الأشقر.. الأزرق العينين.. قد خبت.. الشىء المحير أنه لم يكن يجد ما يفعله.. أيذهب إلى كل وجوههن ينتقى أحدها؟ أنه لا يريد هذا الحب الأزلى عبر النوافذ يريد حباً يخترق كل قصة ويقهر كل ما سمعه من قبل.. عاد إلى مكتبه متوعك الخطا.. واحتضنت عيناه صورة الممثلة الفاتنة ثم تلصص فى نظراته إلى قسامتها البارزة فى كل اتجاه.. اختجلت نفسه فأطلق زفرة حارة.. قد تكون حاسدة

وقد تكون متمنية- وكأنه حدث نفسه لماذا لا تكون هذه الفاتنة خاصة حبيبتى؟ إن الشهرة لن تكون عائقاً.. لسوف.. ولكن لم يكمل الحديث إذ أتته صوت جلبة من الخارج.. لم يكن يعهد بشارعهم الضيق كل هذه الضوضاء.. أطلق عينيه.. كان تصوير سينمائى.. هبط الدرجات فى لمح البصر.. امتزج بالمشدوهين الذين يرون وجوها لا يعرفوها الا عبر الأثير.. سرعان ما اندمج فى المشهد القصير.. لم تأخذه الأضواء أو الكاميرات، بل أخذه هنا الوجه الهادئ هناك.. كانت مُحاطة بكثير.. أخذته قدماه اليها..منعته الأيادى.. فازدادت لهفته من أجلها.. لم يكن يتصور أن يلاقى هذا الوجه خاصة أو هذا الجسد خاصة- بل أصبح على وجه اليقين.. إن هذا الوجه هو وجه أحلامه الممتدة فى كل لياليه.. سقطت نظراتها على قلبه كسيف ملتهب.. أهمل كل من حوله وجلس رصيفاً ينظر إلى الممنوعة عنه.. فجأة ذهبوا.. استقلوا سيارة لا يعرف حجمها ولكنه لم يتبعها لأن اذنه سمعت الغيث.. انهم سيأتون غداً فى نفس المكان.. إذن ليكن الغد موعدنا.. استرخى بسريره وعينيه تحطم السقف داعية السماء أن يلقاها غداً.. كان ليله كنبضات قلبه بطيئة على غير عادتها.. دقات الساعة المتكاسلة تثيره جاء الصبح بطيئاً ومعه موعد الذهاب إلى

المدرسة.. لم يفهم كلمة من دروس الثانوية العامة.. رجع ذاهل اللب متشاجراً مع كل زملائه.. سخروا منه ومن حبه ومن الممثلة الفاتنة.. سبهم فهم لم يفهموه ولم يقدروا أحلامه الطويلة التى ساقها اليهم قبل حقيقته.. دعاهم لرؤية حبيبته.. تحداهم أنها ستقابله وسيقنعها بنفسه.. جادلوه إلاأنه تشبث وتشبث.. ارتدى حلته.. وفى الشارع استطاع أن يجد له ثغرة يصل إليها.. نعم مكان التصوير منعزل عن مجرى الشارع وأن البيت الذى يحوى الجميع محاصر ولكنه يعرف طريقاً إلى الشباك الخلفى.. ومنه إلى حجرتها.. صعد وهبط.. أخيراً دفع الشباك بأصبعه وقفز فى لمح البصر إلى الداخل.. أطلقت صرخة مكتومة خاصة أن الحجرة مغلقة وأنها تبدل ملابسها.. لا يعلم هل سُر أم حزن لهذا الذى رأى.. وقف صامتا أمامها.. سألته بعينيها الزرقاوين.. دار وقت كأنه حول وفى نهايته ما كان منها الا انها فجرت الكارثة.. بعد نصف ساعة كان يسير فى الطريق بمفرده.. الجمع من خلفه ينبث منهم إضاءة سينمائية.. اختلف راكلاً حجرة فى طريقه فانتهى به المطاف إلى حارة صغيرة أنارها البدر.. هنالك فقط سمح بدموعه ان تهبط.. أن يتألم.. أن يتوجع.. إنه يحتقر كل شىء.. نظرة الكاذب وأحلامه الغريبة والمظاهر التى لفت عقله.. ماذا يقول

لأصدقائه غداً؟ بل كيف سيقابل أهل شارعه بعدما حدث؟ أمعقول أن يحدث كل هذا؟ أمعقول أن يحب هذا الحب عن دون كل حب؟ أمعقول أن يكون من أحبها من التهمت مظاهرها.. ومن تواءمت مع كل الصفات التى رآها فى أحلامه.. أمعقول أن تكون ممثلته الفاتنة نجم الكوميديا المعروف (.....) أثناء تأديته لدور نسائى؟!!

openkandl.com

(٥٢)
«مازالت فى ظله»

تؤثر الابتعاد عنه.. الافلات من نظراته الحادة.. الطريق امتد بينهما امتاراً.. ألهبت الاسئلة قلبها.. ماذا سيفعل عندما نتقارب؟ هل سيطلق كلمة.. هل سأرد بكلمة: ماذا سأقول له.. كيف سأهرب من عينيه الفولاذيتن؟!

تذكرت ماذا جرى منذ شهور طويلة بنفس المكان.. أعلنا الانفصال.. هتفت بداخلها شعلة ندم.. ردتها بكبرياء. رددت لن أكون من تترجى.. نظراتها التى تبدأ تتهاوى أو غلت فى التذكر.. كانت تتمنى أن تترجى.. أن تستطعف.. أن تبقى فى ظله.. تذكرت دموع ليلها.. شتاء الفراق مع النجوم المحيرة.. وسحاب من بين ثناياها وجهه يبدو.. تخرج إلى السحاب لكن يتقدم الضباب.. تهطل الأمطار ودموعها التى لم تتخيل إلا تسقط إلا على كفه.. لماذا هى فى فضاء شاسع.. خطواته تقترب منها.. ضربات قلبها تكتمها حتى لا يسمعها

obeikandi.com

فيزداد كبرياءه.. تمنت أن يقف الزمان.. إذ تقابلت العيون.. بثت إليه جملتها.. هل تريد المزيد من الابتعاد؟.. أنا مازالت على العهد.. أبحث عن رائحتك.. لا أشعر بالأمان إلا فى ظلك.. أسعى إلى وجودك.. كانت ثانية واحدة.. رد إليها عبراتها.. ابتسم ابتسامة روتينية.. سارا كل فى طريق.. افترقا.

opeikandl.com

(٥٣)
(هو والأفعي)

أمه وأبوه قتلتهما الأفعى منذ سنوات طويلة.. حتى جاء الأمس وكان دور أخيه الأكبر والوحيد.. كانت تأتى فى سكون رهيب بقصد غريب فهى لم تعتد أن تبرر أسباب المجئ.. فإذا ما حدث أخذت تنفث سمها فى كل من يعترض الطريق.. جاءت كعادتها تريد شيئاً غريباً ولكن أخاه لم يكن ليصمت أمامها.. نعم الجميع صامت ولكن أخيراً تحدثت بكل القسوة لتفصح عن مطلبهم الأزلى.. ثبتت الأفعى نظراتها إلى أخيه وقد بات أنه من الواضح أن الثوانى ستسفر عن انطلاق السم ثم المصرع.. وبالفعل تركته بلا حياة وعادت ادراجها.. كان ينظر إلى الأمر كما نظر إلى ما سلف.. وفار السؤال من أعماقه.. إلى متى؟

لقد مات أبوه وأمه وأخوه.. إن الدماء لا تذهب هدراً أبداً.. ولابد أن يأتى اليوم الذى تقطع فيه رأسها.. ساعتها دب الحنين إلى

obeikandl.com

رؤية أسرته فصغرت الأنفاس فى صدره وانفجر قلبه واهباً دماءً جديدة. ترك فلذة الجبال تسقط من يده فقد أدرك أن الراية لابد أن تصبغ بالدماء لكى تثبت ألوانها.. استل من الحجرة ما بها من وسائل الرحلة ثم بثها بالسيارة ووقف أمام الجميع وقد تبادلوا النظرات، وهاهم يعلمون ما يعتمل فى صدره.. فقد أدركوا أن البداية لابد أن تأتى.. فاضت أعينهم بوميض من أمل تشوبه حُمرة القبور ودعته نظرات غريبة ترغب فيه وتتمنى له ملكاً أطيب..

ولج إلى سيارته وأوصد الباب ساعتها تطلع إلى المرآة فوجد عينين لطالما أحب التطلع اليهما إلا أنه لم يتطلع كثيراً.. فمازالت دماء أخيه المتجلطة تعصف بالأنفاس فى صدره.. الطريق ممتد وفى نهايته يكمن الهدف.. ها هى قدمه تغضط على الطريق فتنهبه السيارة.. لم يبق شيئاً.. عليه إذن أن يصل إلى الأفعى. ها هو يقتحم سدود ضلوعه ويحطم جدران نفسه.. ساعتها دوت الزغاريد الدامعة.

(٥٤)
(عبد الدايم)

كان التجمهر كبيراً.. وكان هذا الأمر يحدث لأول مرة فى هذا الشارع.. ومن بعيد وقف رجل أشيب الشعر والشارب.. أفطس الأنف.. ذاهل العينين.. وقف وهو لا يعرف ماذا يحدث قرب هذا المسجد.. فهذه هى المرة الأولى التى يجد عندها هذا التجمهر أمام المسجد، تساءل فى سخرية هل يمكن أن يصلى كل هؤلاء الناس.. لم يستطع أن يكبت فضوله فاندس بين الناس يجمع منهم ما يشيع فضوله..فاتجه إلى رجل يرتدى جلباباً أسود وسأله فقال لا يعرف ماذا حدث ولكن يبدو أن هنالك صلاة جنازة.. كانت هذه الكلمة ذات وقع خاص فى نفسه فهو يكره الموت وما أن يسمع كلمة جنازة أو موت حتى يفر من المكان.. هذه المرة كانت مختلفة عن كل مرة فهو لم ير أبداً مثل هذا الحشد فى جنازة، تعجب أن من يصلى قليل ومن ينتظر كثير وكثير.. بدأت علامة استفهام كبيرة ترسم بداخله فهو الآن

يريد أن يعرف من هو الذى مات انتقل عبر الحشد من وجه إلى آخر.. لم يكن ليأخذ منهم أى معنى مفيد.. فهذا يقول لا أعرف وآخر يقول انه غريب وهكذا.. وصل إلى رجل كان يعرف أنه من هذا المكان سأله فإذا بالرجل يهز رأسه علامة المعرفة ولكن عندما هم بأن يتحدث إذا بالصندوق الذى يلم عظام الميت قد ظهر وقد حمله الكثير ومن خلفهم أخذ الرجل يسير تاركاً صاحبنا بلا جواب.

صاحبنا لم يستطع أن يتحمل هذا المجهول فصمم ولأول مرة أن يتجه إلى الناس يسألهم وبالتأكيد سيعلم من هذا الذى مات؟

ما أن اندس بين الحشد مرة أخرى حتى أخذت الدهشة تتقمصه فقد لاحظ أن ثمة نظرات اندهاش وتعجب واستهجان فى عيون الجميع.. فالبعض يضرب كفاً بآخر وآخر يتحدث الى من بجوارهْ ثم يندهش فاغراً فاه وآخرون يضحكون فى سخرية حزينة.. كل هذا جعل الرجل كالمشدود وضاعف رغبته فى معرفة الميت.. كأنه وجد ضالته وهو إمام المسجد الذى كان البعض يصلى فيه منذ قليل فاتجه إليه وحدق بعينيه الواسعيتن ولحيته الطويلة الناصعة. وقال له من الذى مات؟ الرجل لم يلتفت إليه بل أخذ ينظر إلى السماء ويضغط على حبات المسبحة الرمادية وبعد لحظات أخذ

يشيع الصندوق وهو يتابع السير قال: إنه رجل.. جن جنون صاحبنا انه يسأل سؤالا لا يمكن أن تكون هذه اجابته ولكنه لم يستطع أن يظهر استهجانه فسارع إلى سؤال أدق لا يمكن إرجائه: من هو؟ فهز الرجل رأسه علامة الاستكانة والتفهم وقال: عبد الدايم.. ومرت لحظة عصيبة أعقبها صاحبنا باستهجان شديد وقال فى صوت مهزور عبدالدايم.. اقترن عن الرجل وقد سار ذاهل اللب وأخذ يحدث نفسه: عبدالدايم..؟ مستحيل.. ان هذا الرجل لا يموت.. إن طوله يقارب المترين مفتول العضلات حطم قيد حديدى من قبل أمامى.. صرع عشرة رجال أمام جمهور من الناس ولم يكن يملك سوى عصا.. نعم هو جبار رهيب لا يرحم ولكن.. لم يكمل كلماته.. إذ أخذ يتخيل مرة أخرى خاصة وجهه. ذلك الوجه المستدير الضارب الى الحمرة والشارب الكث الملتوى وهذه العمامة البيضاء التى كانت تتلطخ بالدم بعد كل ضربة رأس منه لأحد المتمردين.

بعد برهة أخذ يفعل مثلما فعل الآخرين.. فقد ضرب كفاً بكف ولكن فى النهاية لم يصدق أن عبدالدايم قد مات فهو لا يزال يرى صورته منذ أربعة عشر ساعة فقط وهو يصرع رجلين أحدهما انتقل إلى المستشفى والآخر مات.. إن حركته لا تزال تتمثل أمامه وهو

يجرى وراء أحد الهاربين منه والذين لم يدفعوا له الإتاوة.. لا يزال يتذكر كل هذا، ضحك ضحكة ساخرة من كل شىء.. لا يصدق أن عبدالدايم مات فقرر أن يذهب لأول مرة فى حياته إلى المقابر حيث يرى وجه الميت حين يُدس فيه التراب حيث يُقال إن ابن آءم لا يرضى إلا بالتراب ولا يملأ عينيه إلا التراب..

عندما دخل إلى المقابر وتوقفت المارة وصمت الحشد.. هوى الصندوق إلى الأرض وفتحه رجل ما ثم أخذ بعض الرجال يحملون جثته فى رداء أبيض بين أيديهم.. أقروا الجثة بداخل القبر، كانت هذه اللحظات كافية ليصدق الرجل أن من مات كان عبدالدايم حقاً فقد كان طوله نفس طول عبدالدايم وهو لم ير فى حياته رجل فى مثل هذا الطول إلا هو..شاهد من يدفنه فى هذا الرداء الأبيض وبعدها يقبض قبتضه من التراب ويقذفها إلى وجهها ويقول: لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب.. تصور صاحبنا لو أن هذا الرجل فعلها وعبدالدايم يتنفس ثم أقسم أن الأمر كان سينعكس فوراً.. أخذ الرجل يسد تلك الكوه الأخيرة التى كانت تربط عبدالدايم بالدنيا وأثناءها كان كل الرجال صامتين وكأن على رءوسهم الطير، فجأة حدث ما جعل كل الألباب ذاهلة فقد جاء الكروان من فوق الرءوس وبث دعاءه إلى الجميع..

فبكى البعض وهز الآخرون رؤسهم ولكن صاحبنا كان يعلم أنهم يفعلون ذلك لأنهم جميعاً يتصورن أنفسهم مكان عبدالدايم.. رجع الجميع ولكن صاحبنا زامل الإمام فقال له: قل لى يا شيخ عبدالقوى كيف حدث هذا؟ فضحك الرجل وهو يقبض على مسبحته: لقد صدمه طفل صغير بدراجة فأصابت رجله اليسرى فاختل توازنه فوقع أرضاً فاصطدمت رأسه بالرصيف فمات صريعاً على الفور. فضرب صاحبنا كفاً بكف متعجباً وقال: عبدالدايم يصرعه طفل، فقال الإمام مبتسماً ساخراً: «وما يعلم جنود ربك إلا هو». صدق الله العظم.

ولكن صاحبنا ظل على استهجانه فانفجر فيه الإمام عبدالقوى وقال: ما لكم كيف تحكمون؟ هل تظنون أن هذا الرجل الذى دفناه منذ قليل خالد؟ اننى أود أن أقول لكم اسمه انه عبدالدايم.. لا الدايم.. ثم تركه ومشى.. أما صاحبنا فقد ذهب إلى المسجد.

openkanal.com

(٥٥)
صفحة من المذكرات

كان الليل يقبض كل شىء حوله.. شعر أنه كالمجنون فأسرع إلى النافذة يلتقط الشهيق ثم علا بنظره الى السماء فاتصل بالقمر ورأى ضوءه الفضى يغمر المكان ساعتها شعر بالوحشة الشديدة ودفن وجهه بين كفيه وردد فى نفسه: كم أود التحدث ولكنه لم يجد أى بشر يتحدث إليه فتوجه ببصره مرة أخرى إلى السماء ثم اسند رأسه الى معصمه فقد علم أن السماء تعلم كل ما يعتمل فى قلبه، أبرقت الفكرة فى رأسه فاتجه إلى مكتبه الدقيق وأخرج من بين أوراقه ورقة واستل قلمه وراح يكتب: لم أعتد كتابة مذكراتى ولكن أجد نفسى أنقاد إلى الجنون.. لم يعد هناك أحد أتحدث إليه، ثم مد بصره، إنه يرى فى ورقته شيئاً ما، أخذ يسطر من جديد، كل أصدقائى اثبتوا أن عاطفتهم لى لا تتحمل ما سأسره اليهم.. فالأمر صعب التصديق.. ماذا سأقول لهم؟ بل من منهم سأقول له؟

obeikandl.com

لم يعد أمامى سواكِ.. نعم أنت لماذا تندهشين؟ اننى لأول مرة فى حيات أُقر بحبى لك ولا أجد فى عالمى من اتحدث اليه إلا أنت.. نعم أنت التى استطيع أن أسر لها كل شىء حتى لو لم أكن أطمع منها بأى شىء. ولكن أين أنت؟

حتى أنت يا من أحببت لا أجدك بجانبى.. صورتك لا تفارق خيالى لهذا سأحدثها، سأقول لها كل شىء أود قوله.. كم أحبك يا فتاتى الصغيرة الرقيقة.. هل تعتقدين أن هذا مفاجأة؟.. لماذا تكتب ملامحك أمارات العجب؟.. نعم أحبك.. ولكن منذ متى لم يكن القدر الحكيم ليتدخل..؟ لابد أن يبث نفسه بيننا.. لابد أن يبتلى القلوب ثم يقف من بعيد يهب المثوبة ويقضى بالعقاب.

كنت قد لمحت من نظراتك نظرات مرقت من بين جفنيك المعذبين، وكم كانت مختلفة عن كل الأخريات.. كانت نظرات تمزق قلبى وتجعلنى أتساءل: لماذا كل هذا؟

أنا أعلم أن موقعك من العالم فوق القمة ولكن هل تظنين أن الشرخ الذى أصبتى به سينال منك وحدك؟.. لا تفكرى.. لابد أن تعلمى أن هذا الشرخ الذى أبكاك وأبخس من روعتك الى حين قد مزقنى قبل أن يمزقك.. انت لا تصدقينى إذن؟ وإلا لماذا هى

الإيماءات المندهشة؟ أنت لا تعلمين شيئاً عنك فى قلبى.. أنت يا فتاتى الرقيقة كل شىء لى.. هل تتذكرين.. ابتساماتى.؟ بالطبع لا.. أنا أتذكر ضحكاتك.. نظراتك.. ايماءاتك.. مسحات شعرك حتى خطواتك..

هل تعلمين نبضة قلبى؟ أنا أعلم قلبك ولكن لا أعلم لماذا أنت تهوين تعذيبى وتعذيب نفسك؟!.. كل هذا وتندهشين أن يكون الشرخ الذى أصاب قلبك قد أصابنى معك وربما أكثر منك؟ ولكن أن أردتى أن تحولين هذا الشرخ الى جدار رهيب يفصل بيننا فأرجوك لا تفعلى لأنك بهذا تحدثين شرخاً آخر بقلبى ولكنه لا يُداوى.. والشرخ الذى تريدينه سيقضى على كل نبضة قلب وكل ذرة حب.. لماذا لا تأملين معى؟ لماذا لا نداوى معاً هذا الشرخ الذى أبعدك عنى إلى حين؟ لماذا لا نرمم المنهدم ونلتقى بالأيادى نبنى من جديد؟

لماذا تصرين أن تكتمين الحب وتسفحين الإعجاب؟..

وقد تتساءلين لماذا لا اعترف لك؟

ولكن إن كان كل ما فى ملتى قد أضحى محض الخيال وأن حبك المتصور لا شىء.. تصورى هذا معى.. وتصورى أيضاً أننى ذهبت إليك.. ولكن هل تعتقدين أن من هم أمثالى من يقدسون كلمة الحب ويكتبون عنها ويترنمون بها يذهبون إلى من يحبون (يعرضون)

كل ما فى قلبهم إن وُفّقوا كان بها وإن لم يحدث كانت النهاية؟.. هل هذا يجوز؟..

يجب أن نبدأ معاً وعندما تلتقى العينان سينبض القلبان وستتعانق الأحلام عندما تتركين القلب بلا قيد كبريائك وانتظارك انتظار الأنثى المعتاد لاختبارات الحواءات الأخريات.. عندما تفعلين ذلك.. سنلتقى فى طريق واحد.. لن يفصل بيننا كبرياء أعمى ولا غرور زائف.. وستجدينا نتلفظ بها (معا) فى آن واحد.. أرى فى عينيك وميض وأسمع نبضات قلبك فلا تخشى شيئاً.. ولتعلمى أن الشرخ سُيداوى ولكن معاً لن يحتاج إلا للنسيان بلا آلام.. (ثم أطلق زفرة حائرة وأخذ يكتب من جديد).. لا أعرف إن كان هذا الكلام يمكن له أن تقرأيه أم لا؟..

إننى لا أكتب فى ورق خاص.. اننى أكتب فى أوراق الشجر وعلى صفحات القلوب ربما يقرأه كثيرون، ولكنت أنت فقط من أريد له أن يقرأه فإن قرأتيه ونبض قلبك فنحن على الدرب ولا تحاولى بعدها أن تسفحى الحب.. ثم نحى الورق جانباً وانتظر دقيقة.. وبعدها آواها بسجل بجانبه وشيعها باسماً ثم طواه.

(٥٦)
(إنه الحب)

كان يعتقد أن القلب لا يخفق إلا مرة واحدة فقط لهذا عاش مدة طويلة فى حالة استسلام للأمر الواقع فقد أدرك أن حياته تدور فى فلك واحد.. إن رأى وجهاً لم يكن ليعجب به إلا إذا قارنه بالوجه الذى أحبه فى يوم من الأيام، إن تحدث مع حواء كان كل الكلمات تقدر على ميزان واحد هو، كلماتها، فهى أفضل أو أقل من كلماتها؟

شعر أنه سجين دائرة زجاجية لن يستطيع أن يحطمها وفى نفس الوقت لم يستطع أن يحتويها وكأنه يعيش بها ودونها.. كان يريد الحب كغيره من طالبيه ووقعت عيناه على كثيرين منهن، لم يخفق قلبه إلا لها. هى من قريباته ولكنه لم يكن يهتم بهذه القرابة إلا عندما رآها فأخذى ينقب ويضع بذور شجرة العائلة حتى أثبت أنها تستحق كلمة قريبة أو هو الذى يستحقها.

وكانت الزيارات المتتابعة ومعها كانت النظرات الحائرة التى

تبث القلق والسهاد.. لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً، فهى بالنسبة إليه شىء بعيد وأن أحبها فهذا لا يعنى أبداً أنها تحبة.. ترك الناس يسمون هذا كما يحلوا لهم إن شاءوا قالوا ضعف وإن شاءوا قالوا عدم ثقة بالنفس، أما هو فقد رضى عن نفسه.

بدأ السؤال يهدد لياليه ماذا سيفعل؟

لم يجد إجابة.. ظل هكذا شهر أو شهرين وفى كل يوم يظل يفكر ثم ينتهى إلى لا شىء.. وجد أخيراً الحل فصمم أن يجاذبه الحديث فهو لا يستطيع أن يقول لها الكلمة إلا إذا قد اعتاد الحديث معها.. فى غضون أيام قليلة كانت تتحدث مه وراء حجاب الخجل والتطلع معاً.. أما هو فقد كان سعيداً بهذه الخطوة الايجابية التى تدل على أنها على نفس الطريق.. كانت كلما مرت الأيام كلمات امتدت الوشائح بينهما فالنظرة والكلمة جرتا الابتسامة ثم الضحكة ثم تم.

فى كثير من جلساتهما الفردية القليلة أو النادرة كادت الكلمات تظفر بالخروج ولكن شىء من هذا لم يحدث وهو نفسه لم يكن يعلم لهذا سبيلاً.. كان يدرك فى أعماقه أنها صرح لا يمكن أن يحبه وهكذا هوى إلى دائرة الشك مرة أخرى.. لم يكن الوحيد الذى يبحث عن قرابتها.. فإذا بخصمه اللدود وابن عمته يتجه صوبها وهو يعلم

تماماً مقدار ابن عمه فى ميزان حواء فقد سمع عنه الكثير ورغم الابتسامات المتبادلة إلا أن كل منهما كان يشعر بأن ثمة حائطاً بينهما كبيراً.. كان كل يوم يمر وهو يراه فى منزلهايهدد حياته ويسحق قلبه ولكنه لم ييأس فقد أدرك أن صراعاً سيتم بينهما لا شك.. وإن كان هناك صراعاً بالأعوام الخوالى فالصراع بهذا الصدد سيكون مصيرى، كثير ترددهما على المنزل بشكل آثار الريبة والشك والقيل والقال وكان يجن عندما يذهب فيجده مع الأسرة وكأنه معهم منذ سنين.

استشار صاحبنا أحد الأصدقاء فى ذلك فدله على وسائل عديدة كان الرد الوحيد لا أستطيع وهنا قال الصديق ليس لها إلا الخطاب.. بالفعل سطر الصديق له خطاباً مفعماً بكلمات ذات عبير خاص ومعانى رقيقة بحيث تقول كل شىء.. خرج من بيت الصديق متجهاً شطرها وهو مصمم على ما يريد.. كم كانت سرعة اللحظة التى انهدمت فيها كل الأحلام فمن بعيد بجانب النهر وجدهما.. هى وهو.. كانت يدها بين ثنايا يده والنظرات متجاذبة والابتسامات شفافة.. ساعتها مزق الخطاب وقرر أن ينساها.. لم يكن انسيان المرأة بالشىء السهل فى يوم من الأيام فقد كان فراقها يلهب نار حبه وبعد عدة أسابيع أيقن أنها مستقرة فى أعماقه.. فراح وحيداً يحدث كل

من يستطيع الحديث معه دون أن يبث السر إلى غيره.. راح يكلم النهر فأخذ كلماته وراح بها إلى الأفق البعيد.. وكلم السحائب فإذا بها تهجره وتتجه إلى مكان معلوم آخر.. وكلم الهواء عله ينقل إليها وإلى صدرها وقلبها عبير كلماته ولهيب حبه ولكنه لم يكلم انساناً واحداً.. حتى صديقه الوحيد لم يرد أن يحدثه فى ذلك الأمر ورغم أنه لم يستطع أن يمثل دور المتماسك إلا أن صديقه أطلق حريته ولم يسأل بعد ذلك عنها.

رغم كراهيته الشديدة التى تضاعفت لابن عمه إلا أنه كان يشفق عليها.. أراد أن ينتقم بأن تركها معه حتى يهملها.. فقد كان يستطيع أن يواجهها بكل شىء ولم يكن ضميره ليقف حائلاً بينه وبين ذلك، كان يستطيع أن يقول لها فى بساطة: أنت دميته الجميلة.. سينال منك رغبته وحبك وبعدها سيتركك كما فعل مع كثيرات.. لم يكن ليقف عند هذا الحد بل كان يستطيع القول: إننى أحبك.. لم يفعل ذلك، رغم أن حبه لها كان يتأجج يوما بعد يوم إلا أنه لم يستطع أن يفعل ذلك.. فى يوم صمم أن يفعلها.. بعد كل هذا التردد المضنى، صمم أن يُعلمها كل شىء بل وبالدليل القاطع.. مضى ومعه أرقام تليفونات لفتيات كن لعبته فى يوم من الأيام واتجه إليها

وجلس فى الحجرة التى إعتاد الجلوس بها ولكن هذه المرة لم يجدها بمفردها.. وجد معها صديقة لها وجارة أيضاً.. ساعتها شىء عجيب قد حدث فقد أحبها فى نفس المكان وهنا أيضاً سيحب من جديد.. شعر أن صدره يتزلزل وأن شيئاً ما لا يستطيع وصفه يهز قلبه ويجعله كالمجنون المحموم فيرسل نبضاته على غير هدى.

شعر أن دماءجديدة لم يكن قد اعتادها تجرى فى عروقه.. وأيقن لأول وهلة وهكذا فجأة أنه الحب ولم يستطع أن يشعر كيف نسى بل نسي صاحبتنا فقد أخذا يتحدثان ويبثان المعلومات من المنزل ومكانه.. الخ.. الخ.

وبدلاً من أن يعطى اليها الأرقام نسى كل الأرقام وتذكر عينين جديدتين..

فى المساء لأول مرة تذكر وجهاً آخر غير هذا الوجه الذى استهلكته الأحلام وسفحه الواقع، تذكر.. عينين زرقاوين.. شعر أسود مموج.. ابتسامة وردية.. أنامل تشير فى لهفة وكلمات توجز وتطنب المعانى.. وبدون موعد سابق التقيا فى نفس الحجرة.. ولكن هذه المرة لم يجد عينين فقط بل وجد أربعة عيون فقد رأى أن عينى الأولى تتطلع إليه هذه المرة فى شكل لم يعتاده منها.. فى لمح البصر اختل ميزان نفسه

وأصبح على وشك صراع هى أم هى؟

لأول مرة شعر أنه المتحكم فى زمام الأمور، بزع السؤال وماذا عن ابن عمه؟ كانت الاجابة مستقرة فى ذهنه باليوم التالى عندما رأى ابن عمه مع أخرى فى نفس المكان.. هورجل، لهذا اختارها هى.. كان لابد أن ينتقم فهو الآن يسترد حباً كان ويعيش حباً يكون.. إذن عليه أن يجعلها تعيش مثلما عاش، هو.. أراد أن يعذبها كما عذبته ويحطمها كما كاد أن يتحطم فعرج إليها وطلب منها أن تُبلغ حبيبته أنه يحبها.

opeikandl.com

(٥٧)
(صراعه)

الصدمات تلاحقه كأنها بتحث عنه فى شغف وهو نفسه أو حتى أصحابها لا يستطيعون أن يحددوا كيف يمكن أن يحدث كل هذا؟

وهو إنسان طيب لا يحمل لإنسان آخر أى غضب أو حقد ولكن كان كل ذنبه هو أنه لا يستطيع أن يقدر الأناس بما فى جيوبهم..

فى البداية كان مكتفياً بطيبته مبجلاً لما يقوله البعض عنه مثل الشفافية أو الخير أو.. ولكن البدايات لا تعنى أبداً أنها تشابه النهايات ففى غضون شهور قليلة تحول المخلوق البرئ إلى آخر يضع نصب عينيه المادة ولا يجد عنها تحولاً.. كل هذا لأن القلب قد اختار من دون القلوب قلباً يضخ مصهور المادة وبدلاً من أن يعرج القلب الشفاف إلى آخر على سجيته إذابه يتجه إلى ذلك القلب أكثر وأكثر.. بدلاً من أن يحطم وثنية الحب اتجه يعبد مزيف الحب فإذا به يتحطم.. يشعر أن صدره أصبح خاوياً.. الحياة ذاتها أضحت بلا نكهة

obeikandl.com

أو مذاق.. وتساءل الحبيب ماذا يمكن أن أفعل؟

بؤرة التساءل لم تتوقف إذ انتفض اليأس من ممكنه يحمل تساؤلات أخطر فاتجه إلى القدر يسأله ويحاسبه وقد تناسى أن القدر أول من أعطاه القلب ليحب به.. عاش وقد تحطم قلبه ولا يجد شيئاً يفعله سوى أن يلوم الأيام لماذا خُلق فقيراً.. نعم هو فقير وإلا ماكان لوثنية الحب من أثر عليه؟

لم يجد بديلاً من الانزلاق.. فى غضون أيام قليلة- إلى هاوية التردد والقلق وفقد الثقة فى النفس.. فما أن يتحدث بكلمة حتى يشك هى كانت منطقية؟ هل كانت صحيحة المعنى؟ هل كان يجب أن يقولها؟

حتى إن ارتدى رداءً أخذ ينظر إلى نفسه بالمرآة وهو لا يصدق أنه سوف يكون على ما ير ام.. لم تكن نفسه لتستطيع أن تقف عند هذا الحد فقد أرادت أن تظهر بمظهر الهادئ غير المهتم ولكن كيف يستطيع أن يخفى نزيف غطى جسده؟

لم يجد سوى الاضواء ليخفى الحقائق المستترة فإذا بضحكاته تتصاعد واحدة تلو الأخرى، ولكنها لم تكن ضحكات بل كانت صرخات.. كنا قد عهدنا ضحكته الهادئة ولكن الآن كانت الضحكات المرتفعة تعنى أن ثمة جرحاً غائراً يؤلمه ولا يزال يؤلمه حتى تكف

الصرخات الضاحكة عن صراخها.. كان السؤال الذى يحيره هو كيف يستطيع أن يثبت أنه يستطيع أن يهدم هذا الحب أمامها خاصة وهو فى قرارة نفسه يعلم أن كل محاولة فاشلة فاشلة؟

فاتجه إلى أخرى وأصاب منها غرضه الذى لم يكن يتصوره فى يوم من الأيام. فهو فى أمور الغرام لا يثق فى نفسه كثيراً ولطالما نهر نفسه ومنعها عن الالتجاء إلى حواء حتى لا يُصدم.. كأن الصدمة التى جعلته يعيش فى محيطها وتديره حتى تُفقده وعيه أعطت له الفرصة لكى يحطم الضمير بهذا الشأن.. تمردت نفسه وأقنعت ضميرها بأنه لم يعد يمكن الحفاظ على شىء فقد أُهدرت العاطفة.. لم يجد الضمير أى ذريعة يتمسك بها فقد هَربت الحياة من بين أنامله أدلة القانون فما كان منه إلا أن رفع (مؤقتاً) الراية البيضاء.

نفسه المتمردة لم تستطع أن تقتل الحب الأول رغم أنها سمعت كلمات حب من أخرى.. حدث عكس ما كان يريد فقد كانت كلمات الحب الثانية قوت نار الحب الأول فإذا به يهيم إلى الوثنية التى لم تغب عنه ويدور فى كونها.. بدأت مرحلة جديدة هى.. لماذا لا يحتقر المرأة؟

وكأن هذا الاحتقار لم يكن للمرأة نفسها بل لهاهى خاصة وكأنه بذلك يقتل روح الحب التى ترعرعت بداخله فالحل الوحيد هو أن

يقنع نفسه بأن المرأة عامة لا تستحقه هو فإذابها تترفع عن الحب كله ولكن نفسه لم تقتنع بهذا كله.. وظلت تتجه إلى الطريق الذى رسم لها.

من يوم إلى آخر بدأ وزنه المعنوى يتلاشى.. أدرك أن حياة الضياع قد تستطيع أن تُنسيه إياها.. عليه إذن أن يتحدث دون أن يحاسب نفسه وأن يرى جمال هذه ويتمنى هذه ويرغب فى أخرى.. عليه أن يعيش بلا قلب، ضائع.. حتى يستطيع أن يقنع أساسه أنه لابد أن يتغير، لقد نشأ على الصحيح ولكن ما وجده حتى الآن تيار من اللاواقع الذى تربى عليه ونشأ فى كنفه.. تحولت الأحداث إلى تطور جديد فى صراعه مع نفسه فبدلاً من أن يقاتل نفسه أراد أن يغير معالم ضميره.. أراد أن يدمجها بين خبايا الواقع وهو بذلك يريد أن يكتسح مقاومة ضميره أمام تيارات الواقع فاتحاً كوة فى جدار شرفة ينفذ منها إلى الباطل وهو يعلم جيداً أن الباطل هو الذى يستطيع أن يأتى بسائل جديد يتخذ من الشرايين طرقاً له.. ليس هذا فقط ان هذا السائل الجديد هو الوحيد القادر على أداء مناسك الاتجاه اليها وشراء وثنيتها.

فى مرة واحدة اكتشف أنه لا يستطيع أن يفعل هذا بسهولة

فقد دُعى إلى البغاء ولم تستطع قدماه الوقوف فى طريق المقاومة وكان هذا الموقف كان السبيل الوحيد للقضاء على الضمير فى أول تجارب عملية حياتية فكل ما مضى لا يستطيع إلا أن يقوله.. ها هو يرى أنثى مثلها مسجاة أمامه تنفث رغبتها اليه ولم يستطيع أن يقاوم لأول وهلة قوة عينيها فأنساق إليها.. اللحظة الأخيرة هب الضمير من مكمنه فبدد كل شىء.. بدد محاولاته لتحطيم تعاليم الماضى الطويل ولكن هذا التحطيم أرجعه سليماً إلى دائرة الانكسار مرة أخرى فقد وضعه بمواجهتها من جديد.. وكأن الضمير انتشله ليعانى من جديد.. له صديق من بين أصدقائه يحبه ويحبه وكان كلما أراد أن يتحدث عن نفسه لجأ إليه فهو يشعر أنه لا يجد حرجاً فى الحديث معه عن كل ما يريد.. فى هذه المرة كان الزمن قصيراً بحيث أنهما لم يتصارحا.. أعتاد أن ينصت إلى نبضات قلبه ولكن فى هذه الآونة فقط شعرأن نبضة جديدة لم تلبث أن تتواجد.. نبضة قد ولدت قوية تستطيع أن تحطم هذه التجربة القاسية القديمة.. نبضة شعر معها أنه يستطيع أن يقهر العالم وأن يعيد صلته بنفسه وضميره.. كان هذا اليوم.. فقد كان يسير مع هذا الصديق.. الذى تحدث معه وأقنعه بأشياء قليلة أو كثيرة، كان يشعرتجاه هذا الصديق أنه لا يستحق صداقته فهو حتى الآن لم يسد

إليه خدمة واحدة.. كل ما يفعله أن يتجه إليه يُسر إليه بعض الأسرار ويتحدث معه لأنه مقتنع أنه لن يجد الإجابة إلا عنده.

ود لو أن صديقه يحتاج إليه فى شىء ما ولكن لم يجد هذا الشىء فقد تناسى أن الصداقة يجب أن تنزه عن كل الأخذ والرد ولكن اقتناعه بأن هذه الصداقة لا ترضى غروره فى العطاء فى نفس الوقت الذى يأخذ باسمها كل شىء جعله لا يستطيع أن يعتبر نفسه صديق بحق إلا اذا أعطى كما يأخذ.

أخيراً وهبه القدر اختيار عصيب فقد قال له الصديق إنه يريد هذه النبضة نفس حبيبته وبالطبع الصديق لم يكن يعلم أن هذه النبضة قد استقرت إليه ولكن لم يكن هذا كل شىء فقد كانت نبضة الصديق متبادلة.. وهنا بزغ الاختيار خاصة أن صاحبنا كان هو الجسر الصديق إليها.. كان عليه أن يقدمه إليها وأن يزكيه اليها..

لقد وجد أخيراً الطريق الذى يثبت عن طريقه أنه يستحق كلمة صديقه الشخصى الذى لطالما تمنى أن يساعده.. ولكن هذا الطريق يعنى شىء آخر أنه لابد أن يهيم مدة طويلة أخرى حتى يجد طريقاً جديداً.

(٥٨)
(الشروق أو الغروب)

عاش بالفترة السابقة رغم قصرها فى جحيم.. فقد ثار البركان عندما تساءل فى مرارة، هل يمكن لها أن تخوننى؟ كانت له القطرة الندية التى تخللت أيامه الجافة فراح معها يحبها.. يضع على عاتقه سعادتها وينفق عمره فى الاتيان مع أعماقها بالرضى.. وعندما كان يسير فى طريقه إليها اعتملت أفكاره ربما للمرة الأخيرة.. وكأن قدماه اللتان تقودانه إلى نهاية المطاف قد أوحت بما تعمد إليه بالاعتراف.. راح يمر على أطراف الأغصان التى تتلوى تحت نير الريح. هزأ بها فقد أدرك أن أعماقه ستعصف بكل شىء لا هذه الأغصان التى تتلوى مشنوقة.. ركل حجرة بيساره ولم يتتبع مسارها فى الظلام وراح يطلق زفرة طويلة حارة.. صرخ فى صمت ملتهب: يجب قتلها.. يجب قتلها. وكأن كلمة القتل قد بعثت الخوف للحظة فى نفسه إلا أنه أنكرها وصار قدما إلى رغبته حتى إذا ما صعب عليه الانكار توسل بصره هذه

obeikandi.com

الأشجار الكافورية منصة قضاء.. راح يهتف وهو بالطبع من يسكب الاتهامات.. قال فى حرارة الجريح المنتقم.. نعم.. نعم اعترف بأننى كلب شريد.. ضال.. منذ الصبا وأنا هائم إلى اللاشىء.. ذهبت عن أسرتى.. احترفت السرقة.. اعترف يا سادة بكل هذا. ولكن لأنى اعترفت بكل هذا فأنا لا أنكر أننى رجل.. الرجل دائماً يحب الهوى وهذاهو الذى أوقعنى معها.. ترددت إلى ديار الدعارة.. أنا اعترف يا سادة فلا تنظروا إليّ هذه النظرة.. رأيتها هناك.. هل تريدون وصفها؟.. لماذا تريدون؟ أنتم ثنايا الجمال والطبيعة تستطيعون تخيل القمر إذا أخذت ثناياه تتجمع من جديد فتعطى هالة الجمال والضوء. أنها داعرة أنا لا أنكر ذلك ولكنى أحببتها.. أحببها ذلك الرجل الذى كرهته من قبل.. صدقونى قاومت حبها بكل كيانى ولكن سرها أنزوى إلى ركن لم استطع اقتلاعه من نفسى.. من أعماقى. وهبتها كل هذا.. الرجل والمال.. أحبتنى.. صدقونى.. مالى أراكم لا تصدقونى؟

أقسم أنها قد تكون حقاً لم تحبنى.. ولكنى أحببتها هذا واقع.. ماذا تنتظر؟ رجل جاء يسعى إليها طالباً رفقتها ويسامح فى كل هذا جاء بالمال يريد حياته معها.. قبلت.. طرت محلقاً إلى السماء مع أحلامى.. شهر، شهور هذا لا يعنينى.. الزمان هنا توقف وامتد.. حتى

إذا ماجاء موضع ووقت الزواج.. ماذا فعلت.. راحت إلى أحضان رجل آخر.. ثرى.. ومثلى سارق.. آه أراكم تعترضون؟!!

الا يجب أن أقتلها؟ الا يجب أن أنتقم منها.. لقد وهبتها كل شىء سامحتها.. فتحت لها من آفاق الدنيا كل ما استطعت وأكثر مما تطلب أى رفات مثلها. وكأنه قضى الأمر ولم يعد يشعر بتلك المشاعر البغيضة التى كانت تمزق صدره.. الآن استطاع أن يتخلص من كل هذا.. ضغط على جيبه الأيسر فاصطدمت يده بأداة عدله.. دار ببصره فى كل مكان.. ها هو يلج بداية الحارة.. الهدوء صنع نيران جديدة فخطا أول خطواته.. فجأة سمع صوت يصرخ.. ارتجت أعماقه وخارت قطرات العرق على وجهه.. كان على استعداد أن يغمد أداته فى جمجمة أى معترض عدله الرجولى.. وفى الظلام تقابلت العيون.. أطلق زفرة حارة.. وتمتم إنه شحاذ.. المتعت عينى الشحاذ بالدموع وهوت على وجنتيه.. وكأن الأمر قد استغلق عليه فتلوى وجهه معترضاً مفكراً.. همس فى صوت خائف يدعى الثبات.. ماذا تريد؟ ولم يتحدث الرجل بينما تسللت نظرات الآخر إلى جسده المحرون وقطرات الدم المتجلطة على وجهه. لاحظ دموعه المتقطرة فلاحظ أنها دموع حمراء. وقع تأثير هذا وقعاً شديداً فى نفسه بل

كادت عيناه أن تدمع.. كرر سؤاله: ماذا تريد؟

وأمعن الشحاذ فى صمته القاتل.. فقط أدمع ووجهه يعتصره الألم شعر أن قلبه يحثه على شىء عبث بجيبه الأيسر فلم يجد شيئاً يعطيه إياه، عندما أغمد يده فى الأيمن خرج بقطعة صغيرة من النقود.. تلألأت لها النظرات.. أعطاها الشحاذ.. فرفع بصره إليه وجفف دمعه الأحمر وسار بخطوات عرجاء بطيئة.. أما هو فقد أراد أن يعطيه كل ما لديه.. ما يضمن له السعادة الأبدية مما يعتقد أنه قادر على هذا ولكنه لم يعطه إلا الشىء الوحيد الذى كان يحمل.. تردد لحظة وفى النهاية ضغط عليه وصعد الدرجات الحجرية حتى وصل إلى دركته هناتلك سُمع صرخة مكتومة.

openkandl.com

obeikandi.com

(٥٩)
العودة

اعتصره الألم عندما تذكر الماضى المجيد.. كان ماضى الشهرة والمجد.. الممثل العظيم الآن ينزوى فى إحدى الأماكن.. شقته المتواضعة.. ليجتر الماضى ويتألم للحاضر.. انه الآن فى زوايا النسيان.. أين الاهتمام؟.. أين المجد..؟ بل أين الحياة؟

زوجه ماتت منذ زمن بعيد.. ابنته فى رحلة طويلة إلى بريطانيا مع زوجها.. وحيد.. متفرد بالألم والتجاهل والنسيان.. هَرِم.. وكأن هَرِمه قد باعد بينه وبين العمل التمثيلى قاطبةً.. وهذا ما حدث.. ليجد نفسه بعد سبعة عقود فى شقته المتواضعة يعانى اهمال الجميع.. قرر الا يستسلم لليأس.. ولا يستسلم للنسيان.. ولكن كيف؟ ان له مئات المحاولات للعودة للتمثيل ولكنه لم يوفق.. قالوا له إنه قد كبر ولم يعد نجم شباك.. قال: إنه مازال قادراً على العطاء، وأنه ماز ال قادراً أن يمثل أدواراً يكاد يكون الوحيد فى مصر الذى يستطيع تمثيلها.. قالوا:

لا.. لأنه قد صبح هَرِم.. سخر قائلاً: هَرِم أم هَرَم)؟ قبل أن يضرب ضربته اتصل بابنته كأنه يلتمس عندها آخر امارات الحياة.. وقد حدث.. أسعدته المكالمة التليفونية.. فقد بثت فيه أمارات السعادة.. خاصة أنه قد اطمأن على ابنته.. لم يكن ذلك كل شيء، إذ أنها طلبت منه أن يحضر بصفة نهائية إلى بريطانيا.. رفض، لأنه لا يستطيع أن يعيش الا فى مصر.. قالت له انه قد كبر ولم يعد نجم شباك وعليه أن يدرك ذلك.. أصر أن له رسالة وأنه سيكملها.. رغم أن المكالمة كانت ودية إلا أنها كانت عاصفة لأن الابنة لا توافق على توجه ابيها الذى يصر على العودة إلى أوج المجد.. قرر تنفيذ الضربة..

بعد اسبوع.. اختار الصحفية اللامعة التى دائماً ما تكون فى صفه ليقول لها إنه قد اختفى من منزله بعد أن سئم كل شىء وأنه سينتحر بعد غد وأنه الآن فى معزله بعيداً عن الجميع.. ردت عليه فى حماس ولهفة.. لا تفعل.. سأفعل.. لأننى أصبحت كما مهملاً.. طلبت منه باصرار الا يفعل وأنها سوف تُدبر الأمر.. اتفقا أن يتصل بها فى الغد فى تمام الساعة السادسة مساء.. مر ليله فى صعوبة.. لقد هدد بالانتحار لأنه أصبح كما مهملاً.. لأنه يائس.. ولأن المجتمع قد نسيه ولأن الوسط الفنى قد تجاهله.. ولان الإعلام قد شطبه من الوجود.

قرر أن ضربته ما لم تفلح فلسوف ينتحر بالفعل.. ليؤكد ذلك تذكر.. دوراً قديماً قام به فى أحد المسرحيات عن انتحار مظلوم. قرر أن يؤدى دوره فى معزله.. محص ذاكرته جيداً فأتى منها بمعظم الدور.. وبدأ الأداء.. استمع الى صوت الجماهير مجيبه اياه فى الماضى فانتشى.. توقع إذا ما قام بنفس الدور أو غيره يحوز نجاحاً أكبر، لأنه الآن اكثر نضجا وحنكة.. عاوده الأمل بعد أداء الدور لأنه مازال الفنان الكبير عقلاً وموهبة ولياقة وذاكرة، لم يستطع النوم فى هذه الليلة خاصة أن فكرة الانتحار قد استولت عليه إذا ما استمر تجاهل العالم له.. اقشعرت نفسه إذ أدرك أنه ربما يكون على أعتاب الموت.. هفت: (أنا مضطر إلى ذلك. لا يمكن أن تستمر الحياة بهذا التجاهل الرهيب.. انه حكم بالموت.. وأنا لا أقبل كل ذلك)..

مر الليل الطويل فى بطء شديد فإذا ما جاء النهار كان اعتقاده ان الفشل سيلاحقه لا محالة، لأن المجتمع قد اكتسحه عدم تكريم الماضى، والحفاظ على كوادر اليوم.. زاد تصميمه على الانتحار مع الفشل.. تصفح الصحف التى جاء بها معه فى معزله.. انها صحف الشهر الماضى.. لا جديد.. الأخبار هى هى.. الأحداث هى هى.. العالم راكد.. وانى له أن يتحرك.. يكاد ينسلخ من هذا العالم إن أصر على

تجاهله.. داهمته فكرة أن يستعد بأفكار إذا ما عاد أو إذا ما سمحوا له بالعودة إلى التمثيل.. أخرج الورق والقلم من من حقيبته.. أخذ يكتب.. اكتسحته السعادة. منذ زمن طويل لم تتدفق عليه هذه الأفكار الجميلة.. داهمته فكرة الحب.. قرر أن يمثل الآن.. وفى وحدته ومعزله.. هذا الدور.. على الفور ابدل ملابسه بأقرب ما يكون إلى الدور.. حفظ السطور التى سطرها وأزاد عليها ارتجالاً.. كان فى قمة قوته وأدائه ولياقته.. أدرك نجاحه وأدرك نجاحه فى المستقبل.. فأصر على خطته.. فى تمام السادسة مساءً اقترب من المسرة يسحقه الشك فى نجاح محاولة العودة إلى الحياة. كان مفاجأة ساحقة.. ان العالم كله يعتذر له.. والوسط الفنى.. واليوم. يقام له حفلة فى أحد الفنادق الكبرى لا للتكريم ولكن لإمضاء عقد فيلم سيمثل فيه دوراً هاماً. لم يصدق ان الموعد مع الحياة فى تمام العاشرة مساء اليوم.. أى أن البقية أربعة ساعات فقط.. ان العالم كله يطلب منه أن يعود الى الحياة.. لأن لا حياة بدونه.

كان نجم الحفل بالفعل. صفقوا له نصف ساعة كاملة.. واعتذروا له للخطأ غير المقصود.. امهر عقد الفيلم وتبرع بنصف أجره.. كالعادة.. للعمل الخيرى.. وتم تحديد موعد ومكان التصوير..

اقتربت منه الصحفية فى نهاية الحفل.. وقالت:

كأنى أراك لأول مرة

ورد..

- كأنى ولدت من جديد..

- أنت مازلت نجم النجوم

- هى رسالة.. والباقى من زمنى أيام

- أطال الله فى أجلك

- أشكرك.. وأدعوك إلى التصوير لتخوض تجربة إعلامية جديد..

- سأفعل..

- الوداع

- الوداع.

obeikandi.com

obeikandl.com

الفهرس

(1) إليه الملاذ؟ 5

(2) ويا قلبى لا تحزن 8

(3) رياح الغـُربة 11

(4) الحب الذى ضاع 14

(5) إشراق الدمع 16

(6) (حى على الصلاة) 19

(7) احبها 21

(8) إنه أراد.. ولكن.. 24

(9) (زائر الليل) 26

(10) "لا" 28

obeikandi.com

(11) الشهيد 32

(12) (قطرة من نهر) 34

(13) (المنية) 37

(14) (امرأة تتذكر) 41

(15) «اعتراف» 44

(16) «بين ثنايا الابتسامات» 47

(17) «المواجهة والنجاة» 49

(18) نداء الغريزة 52

(19) «الدمعة والطوفان» 67

(20) (موقف) 72

(21) عزيزى.. إننى أكرهك!! 89

(22) "شاعرة البيت الواحد" 103

(23) "السقوط" 128

obeikandi.com

(24) «المقتول القاتل» 147

(25) «البعث الذى أفل» 169

(26) (خطوة) 175

(27) (الورقة الأخيرة) 180

(28) (ابن الحارة) 186

(29) الجبهة والقاع 196

(30) الحائر ة (أو) زهرة بلا عبير 201

(31) تصبرون 206

(32) من أجل قصيدة 210

(33) «حديث الغسق» 215

(34) فجران 218

(35) (دمعتان) 225

(36) (اعترافات اللحظة الأخيرة) 229

obeikandl.com

(37) (الطريق لا يزال طويلاً) 239

(38) (الملعب) 253

(39) (رسالة) 257

(40) (الجريمة) 263

(41) (رد) 270

(42) «الثالث» 271

(43) سأواصل 274

(44) الكائنن الصغير 277

(45) ليلة التفوق 281

(46) صاحبه 284

(47) مرور 286

(48) المحطة 287

(49) (خيال المآتة) 289

obeikandi.com

(50) «كبرياء» 296

(51) «الحب الكبير» 301

(52) «مازالت فى ظله» 305

(53) (هو والأفعي) 307

(54) (عبد الدايم) 309

(55) صفحة من المذكرات 314

(56) (إنه الحب) 318

(57) (صراعه) 324

(58) (الشروق أو الغروب) 330

(59) العودة 334

obeikandl.com